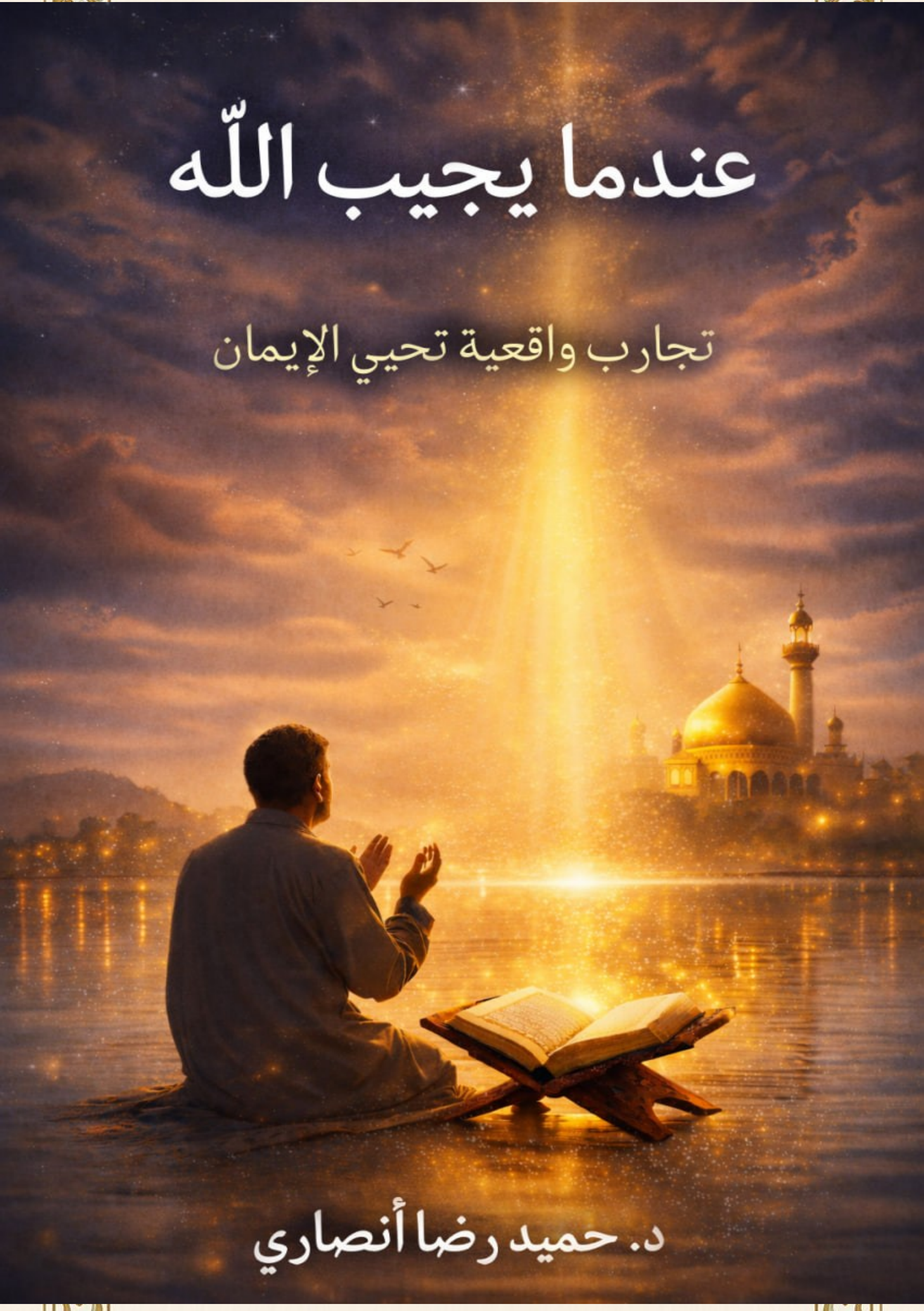

عندما يجيب اللّه
تجارب واقعية تحيي الإيمان
د. حميد رضا أنصاري

البيان القانوني وشروط الانتفاع العام

هذا الكتاب وُضع ابتغاء نشر المعرفة وتيسير وصول الوعي إلى الجميع، وقد أتاحه المؤلف للعموم مجانًا وبمحض إرادته الحرة، دون أي مقابل مادي أو منفعة تجارية. وتخضع الاستفادة منه للأحكام والضوابط الآتية:

1. الملكية الفكرية والترخيص

هذا العمل خاضع للترخيص الدولي:

Creative Commons (CC BY-NC-ND 4.0)

وبموجب القوانين الدولية وقوانين حماية حقوق المؤلف والملكية الفكرية، فإن جميع الحقوق المعنوية محفوظة للمؤلف وحده. ويُعدّ أي استعمال مسيء للاسم أو للمحتوى، أو أي تصرّف يخلّ بأمانة النص أو ينتهك شروط هذا البيان، اعتداءً قانونيًا يعرّض صاحبه للمساءلة وفق الأنظمة المعمول بها.

2. ضوابط المشاركة والنشر المجاني

أ. وجوب ذكر اسم المؤلف:

عند كل مشاركة أو نشر أو إعادة توزيع لهذا الكتاب، يجب ذكر الاسم الكامل للمؤلف وعنوان الكتاب صراحةً وبشكل واضح، دون حذف أو تحريف.

ب. منع التعديل أو الاختصار:

يُحظر منعًا باتًا إدخال أي تعديل أو تصرّف أو تلخيص أو تحوير في نص الكتاب أو محتواه.

ويجب تداول الكتاب كاملًا كما هو، دون زيادة أو نقصان، وبنفس صورته الأصلية المعتمدة.

3. القيود التجارية وحقوق الطباعة

أ. تحريم البيع والاتجار:

هذا الكتاب وُضع للاستخدام المجاني فقط، ولا يجوز شرعًا ولا قانونًا بيعه بأي صورة من الصور، ولا تحقيق أي ربح مباشر أو غير مباشر من خلال توزيعه، أو التوسّط في نشره، أو ربطه بأي نشاط تجاري.

ب. حصرية الطباعة الورقية:

يقتصر هذا الإذن على النسخة الإلكترونية من الكتاب فقط.

وأي طباعة ورقية، أو نشر في صورة كتاب مطبوع، أو توزيع مادي، تستلزم الحصول على إذن خطي مسبق وصريح من المؤلف.

4. المرجع الرسمي والتحقق من الأصالة

لضمان الحصول على النسخة الأصلية المعتمدة، والاطلاع على آخر تحديثات الكتاب، يرجى الاعتماد حصريًا على القناة الرسمية للمؤلف:

قناة التلغرام الرسمية:

https://t.me/nahvalnoor

إن مخالفة أي بند من البنود المذكورة في هذا البيان تُعدّ انتهاكًا صريحًا لحقوق المؤلف الفكرية والقانونية، ويحتفظ المؤلف بحقه الكامل في اتخاذ جميع الإجراءات القانونية اللازمة لدى الجهات المختصة، بما يكفل حماية هذا العمل وصيانة رسالته وأمانته العلمية والروحية.

مقدمة الكتاب

ليس بين قلب الإنسان والحقيقة مسافة؛
وأحيانًا تكفي تجربة واحدة ليرتفع هذا الحجاب وتزول تلك المسافة.

يمرّ الإنسان في مسيرة حياته بلحظات تبدو في ظاهرها عادية وبسيطة، غير أنّها في باطنها تحمل معنًى عميقًا. فقد تكون دعوة صادقة، أو فرجًا مفاجئًا، أو مواجهةً أمينةً مع النفس، سببًا في انكشاف سترٍ عن عين القلب، ليظهر أن الحقيقة ليست بعيدة ولا عصيّة المنال كما يتصوّر المرء. وهذا الكتاب محاولة لرواية مثل هذه اللحظات؛ لحظاتٍ انبثقت من صميم الحياة الواقعية، فغيّرت نظرة الإنسان إلى الله، والدعاء، ومعنى الوجود.

ما يقرؤه القارئ في هذه الصفحات ليس ضربًا من الخيال ولا حكايات عن أمور بعيدة المنال، بل هو عرضٌ لتجارب معيشة: بعضها للكاتب نفسه، وبعضها نُقل عن أشخاص عُرفت صداقتهم، وسلامة نياتهم، واستقامة أقوالهم،

فكانت محلَّ ثقة واطمئنان. وقد تشكّلت هذه الروايات في سياق الحياة اليومية، بين أناس عاديين، لهم همومهم ومخاوفهم وآمالهم واحتياجاتهم الحقيقية. وفي الموضع الذي يقلّ فيه توقّع التدخّل الإلهي، قد تظهر أحيانًا علامة تضيء درب القلب.

وقد رُوي القسم الأكبر من هذه التجارب في إطار الطريقة العليّة القادرية الكسنزانية، وهي طريقةٌ قامت في سلوكها على الالتزام بالشريعة، والمداومة على الذكر، وتهذيب النفس، والتربية الروحية. والطريقة، في معناها الدقيق، هي منهجٌ واعٍ للسير إلى الله تعالى، أصلُه مستمدٌّ من القرآن الكريم وسنّة النبي الأكرم ﷺ. يقول الله تعالى:

﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا﴾

أي: ولو ثبتوا على الطريق القويم لسقيناهم ماءً كثيرًا غزيرًا.

والطريقة العليّة القادرية الكسنزانية إحدى الطرق الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي، يتصل سندها الروحي بالنبي الأكرم ﷺ عبر سلسلة من المشايخ المربين. وكلمة "الكسنزان" في اللغة الكردية تعني: "لا أحد يعلم". وسيجد

القارئ في ثنايا هذا الكتاب ما يبيّن له سرّ اختيار المشايخ الكرام لهذا الاسم. وشيخ هذه الطريقة في الوقت الحاضر هو الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني، وهو من ذرية الإمام الحسين عليه السلام، وخليفة والده الكريم الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدّس الله سرّه. وكثير من الروايات الواردة في هذا الكتاب يتعلّق بأتباع هذين الشيخين وخلفائهما، وهي انعكاس لسلوكهم، ودعائهم، وتوكّلهم، وتجاربهم المعيشة في طريق الله. (والخليفة هو المريد الذي يتلقّى من شيخ الطريقة إذنًا بالإرشاد وإدارة التكية. والتكية هي المكان الذي يجتمع فيه أتباع الطريقة لإقامة الذكر الجماعي وسائر شعائر الطريقة).

وفي هذا المسار قد يواجه الإنسان ظاهرة يُعبَّر عنها في الاصطلاح الصوفي بـ"الكرامة"؛ وهي أمرٌ خارق للعادة يظهر على أيدي بعض عباد الله الصالحين، وكل ذلك بإذن الله تعالى ومشيئته. غير أنّ الكرامة ليست هدف السالك أبدًا، فالغاية هي القرب من الله، والصدق في العبودية، ونيل رضاه سبحانه. والكرامة إنما هي علامة في الطريق، لا محطة يُتوقّف

عندها. وما ورد في هذا الكتاب من هذا القبيل إنما هو إشارات للقلوب، لا مشاهد للاستعراض أو إثارة العجب.

إن جمع هذه الروايات لم يُقصد به إثبات مقامات الأشخاص، ولا الدعوة إلى الانبهار أو الإثارة، بل المقصود تذكيرٌ بحقيقة بسيطة وعميقة في آنٍ واحد: أن طريق الله حيٌّ متجدّد، وأن دلائل رحمته ما زالت تتجلّى في حياة الناس؛ تارةً في سكون، وتارةً في خفاء، وتارةً في أبسط الصور.

وقد كُتب هذا الكتاب لمن أبقى في قلبه مساحةً للتأمّل والصدق والبحث عن المعنى؛ لمن يريد أن يسمع ويفكّر قبل أن يحكم. فإن استطاعت إحدى هذه الروايات أن تفتح في قلب القارئ نافذةً جديدة نحو الأمل، والثقة، والعودة إلى الله، فقد بلغ هذا الكتاب غايته.

تنبيهات قبل هذه الروايات

1) هذه روايات لا أحكام عامة

ما يَرِد في هذا الكتاب إنما هو تجارب شخصية معيشة، ولا يُراد بأيٍّ منها أن يكون حكمًا مطلقًا، أو قاعدةً عامة، أو وصفةً قابلةً للتكرار، أو معيارًا يُقاس به الآخرون. فكل تجربة وقعت في إطار زمانها وظروفها ونيّة صاحبها وحاله الباطنة، ولا ينبغي أن تُتلقّى على أنها نموذجٌ ملزم للجميع.

2) غاية الكتاب ليست صناعة الدهشة

قد يجد القارئ في بعض الروايات أحداثًا تبدو "خارجة عن المألوف". غير أن ذكرها ليس للتسلية، ولا لإثارة الانفعال، ولا لتحريك حسّ العجب، بل للتنبيه إلى المعنى، والتوكّل، والدعاء، وحضور رحمة الله في حياة الإنسان. فالأصل هو السير في طريق العبودية، لا غرابة الوقائع.

3) استحضِروا الفروق بين المفاهيم

في التراث الديني تمييزٌ واضح بين هذه المصطلحات:

المعجزة خاصّة بأنبياء الله عليهم الصلاة والسلام،

والكرامة علامة على صدق الطريق لأولياء الله، وكل ذلك بإذن الله تعالى ومشيئته،

والمعونة هي مددٌ خفيّ من الله لعباده العاديين، يجري عبر الدعاء، والتوسّل المشروع، ولطف الله تعالى.

وما ورد في هذا الكتاب يقع في الغالب ضمن نطاق الكرامة والمعونة، ولا يجوز أن يُخلَط بمقام المعجزة.

4) الكرامة ليست غاية بل علامة

في السلوك العرفاني، المقصد الأسمى هو القرب من الله، والصدق في العبودية، وتهذيب النفس، ونيل رضوانه سبحانه. فإذا ظهرت كرامة، فهي مجرد إشارة إلى سلامة المسير، لا محطة يُتوقّف عندها، ولا وسيلة للتفاخر أو طلب العلوّ. بل إن الإفراط في الالتفات إلى الكرامات قد يتحوّل إلى عائق في طريق النموّ الروحي.

5) احتمال الخطأ في الفهم قائم دائمًا

يبقى واردًا أن يخطئ الإنسان في تفسير بعض الوقائع، أو ينسب أمرًا إلى التدبير الإلهي مع احتمال وجود أسباب

أخرى. لذلك ينبغي قراءة هذه الروايات بعقلٍ هادئ، ونظرٍ متزن، بعيدًا عن طلب القطع والجزم. فالتعجّل في الحكم، قبولًا كان أو رفضًا، لا ينسجم مع روح هذا الكتاب.

6) المعيار النهائي هو الأثر التربوي

إن دفعتك روايةٌ إلى الصدق، والتوكّل، والطمأنينة، والرجاء، وحسن الخلق، والاقتراب من الله، فقد أدّت وظيفتها. أما إن لم تُثمر إلا انفعالًا عابرًا، أو جدلًا، أو فضولًا بلا ثمرة، فقد ابتعدت عن المقصود منها.

7) هذا الكتاب دعوة إلى الإصغاء والتفكّر

ليس دعوةً إلى التسليم المطلق بلا نظر، ولا نداءً إلى الإنكار المتسرّع. إنما هو فسحةٌ للتأمل، ومجالٌ لإمهال القلب لحظةَ سكون؛ فلعل الحقيقة، في بساطتها وتجردها من الادّعاء، تتجلّى للنفس من حيث لا تحتسب.

فهرس المحتويات

الرواية 1 – حكاية يقظة

رواية بقلم طبيبة (اختصاصية في أمراض النساء والتوليد)

وُلدتُ في أسرةٍ متديّنة إلى حدٍّ ما. ومنذ سنوات المراهقة الأولى، كانت تساؤلاتي وهواجسي حول الله، والمعنى، ولماذا نعيش، أعمقَ وأوسعَ مما كنتُ أجده في التعاليم العائلية التي نشأتُ عليها. قرأتُ كتبًا دينية، وحرصتُ على حضور كل مجلسٍ ديني أسمع به، غير أنّني — إن أردتُ الصراحة — كنتُ أعود في الغالب بشعورٍ يشبه إضاعة الوقت.

بقيتُ أنا، وأمامي كومةٌ من الأسئلة، والمجهولات، بل وأحيانًا بعض الفهوم الملتبسة.

ومع دخولي الجامعة تغيّر المسار. وجدتُ الله في روائع الجهاز التنفسي، وفي دورة الدم، وفي الهضم، وفي الخلية والجزيء. كان هذا الإدراك العلمي يملأ شيئًا من فراغي الداخلي. ثم دخلتُ مرحلة الاختصاص، فرأيتُ الله في لحظة ولادة الأطفال، في ذلك الحدّ المدهش بين العدم والوجود.

كان كل شيء يسير على ما يرام... حتى توفّي أخي، وكان في السادسة والعشرين من عمره.

وبقيتُ أنا، ومعي ركامٌ من الجحود...

بقيتُ مع حزنٍ ثقيل، وإحساسٍ بالغربة عن الله.

بقيتُ مع أمٍّ ثكلى، بين قبضاتٍ من أدوية الطبّ النفسي.

كنا نعيش أيامًا متعبة، ساخطين على كل شيء، متألّمين من الله – إن جاز التعبير. بل إن التنفّس نفسه كان يؤلمنا. لم يكن في الأفق أي أمل بالعودة إلى حياةٍ طبيعية.

بسبب امتناع والدتي عن الطعام والشراب والحركة، أصيبت بجلطةٍ في ساقها، ومكثت قرابة شهرٍ كامل في حالةٍ حرجة جدًا في قسم العناية المركزة. لم تكن الجلطة تذوب بأي شكل، وكان الخوف من انتقالها إلى القلب أو الدماغ ينهكنا جميعًا.

كانت أمي تتمنّى الموت، وكنتُ أتمنّى أن تستقيم قامتها من جديد.

بعد بضعة أشهر عدتُ إلى عملي؛ لكن عودتي كانت جسدية فحسب. لم أكن أملك حتى القدرة على الحديث مع المرضى. لم يكن بوسعي إنجاز أي عملٍ نافع.

بعد ثماني سنوات، وبمحض صدفة، التقيتُ في المستشفى بصديقةٍ مقرّبة جدًا من أيام الدراسة الثانوية والجامعة. لم تكن تعلم شيئًا عن حالي. رويتُ لها كل ما مررتُ به. واليوم، حين أتأمّل الأمر، أشعر وكأنها كانت ملاك نجاة لنا.

حين سمعتُ اقتراحها، أجبتُها:

"أنا شخصياً لا أقتنع بمثل هذا المكان، ولا أرى حاجةً إليه، لكن من أجل أمي... ومن باب الاضطرار، سأصطحبها. لعلّنا نجد مساعدة، ولو كانت يسيرة."

كنتُ مستعدةً أن أقدّم كل شيء من أجل أمي، فقط كي لا أسمع بكاءها المرّ.

وجاء اليوم الموعود، فاصطحبتُ والدتي — مُكرهةً — إلى جلسة تعارف مع الطريقة العليّة القادرية الكسنزانية. كانت الكلمات بسيطة، بل أبسط بكثير مما قرأتُ وسمعتُ عبر

السنين. لكن هذه المرة لم أشعر بأن الوقت يُهدَر. كنتُ أبكي بلا إرادة، وإن كنتُ أعزو ذلك إلى اكتئابي.

وعندما عدنا إلى البيت، كانت أمي – للمرة الأولى – أفضل حالًا؛ أفضل من كل المرات التي اصطحبتُها فيها إلى الطبيب النفسي، حيث لم يكن أثر الجلسات يدوم أكثر من ساعات.

هذه المرة، نبت الأمل في قلبي.

تدريجيًا، وبحجّة مرافقة أمي، بدأتُ أنا وبقية أفراد العائلة نحضر تلك الجلسات. شيئًا فشيئًا خفّ اكتئاب أمي، وتوقّفت عن الأدوية، وسكن في داخلها سلامٌ لم يستطع مرور الزمن أن يمنحها إياه.

وكان ذلك مجرد بداية الطريق...

ومع أنّ الطمأنينة التي حلّت في نفس أمي كانت تدهشني، فإن مقاومةً خفيّة ظلّت كامنة في داخلي. عقلي – الذي اعتاد الحذر – لم يُرِد أن يستسلم بسهولة. ومع ذلك، كان في سلوك أمي، وفي نظرتها، وفي طريقة تنفّسها، ما كان

يقرّبني رويدًا رويدًا من هذا المسار، من غير قصدٍ مني، ومن غير قرارٍ مسبق.

لكن امتحاناتٍ أخرى كانت في الطريق.

لم تمضِ مدة طويلة حتى أصابت أسرتنا حادثة أشدّ قسوة من سابقتها. فقد سقط جسمٌ ثقيل جدًا – يزن عدة أطنان – على قدم والدي. كانت عظام أصابع قدمه شبه مهشّمة، ولم يبقَ أثرٌ سليم لوريدٍ أو عصبٍ أو وترٍ أو عضلة. أُجريت له جراحة، لكن بعد إزالة الجبس، كانت أصابع القدم قد اسودّت.

استشرنا عددًا من الأطباء المهرة.

وكان رأيهم جميعًا واحدًا:

بتر الأصابع.

أنا، بوصفي طبيبة، كنتُ أعلم أن خطر العدوى مرتفع، وأنه إن لم تُبتر الأصابع اليوم، فقد نُضطر غدًا إلى البتر من مستوى أعلى. ومع ذلك، لم أُعطِ موافقتي مطلقًا. لم يكن ذلك عنادًا، بل كان صادرًا من موضعٍ أعمق في داخلي؛ إحساسٌ باطني كان يقول إن ثمة طريقًا آخر لم يُسلك بعد.

هذه المرة، لم يكن الأمر من أجل أمي وحدها؛ بل ذهبتُ أنا نفسي – بتردّدٍ أقل – إلى المكان الذي كان يجذبني منذ مدة. ذهبتُ إلى مجلس الذكر. كان قلبي يقول لي: لا تشكّي؛ هذا هو الموضع الذي ينبغي أن تكوني فيه.

وأما قدم والدي...

فعلى نحوٍ عجيب، وخلافًا لكل التوقّعات الطبية، شُفيت. لم تحدث عدوى، ولم نحتج إلى بتر الأصابع. كان ذلك التنبيه الجادّ الثاني؛ تنبيهًا لم أعد أستطيع أن أتجاوزه بسهولة.

شيئًا فشيئًا، بدأ زوجي يرافقني إلى تلك المجالس. في البداية لم يكن راغبًا، لكنه جاء بإلحاحٍ مني. وبعد مدة أجرى فحوصاتٍ دورية. جاءت النتائج صادمة بمعناها الإيجابي: التحاليل كانت طبيعية.

لقد كان مصابًا منذ سنوات بمرضٍ مناعي ذاتي في الغدة الدرقية (هاشيموتو)، ويتناول الأدوية باستمرار، وهو مرض لا يُتوقَّع شفاؤه طبيًا. كانت هذه ثالث مفاجأة طبية في أسرتنا.

كأن الله أراد أن يوقظني؛

لكن بلغتي أنا، وبالأسلوب الذي أستطيع فهمه.

وكأنني كنتُ غارقةً في نومٍ عميق لسنوات طويلة.

وبعد مدة قصيرة، أجرى أحد أقربائنا — وهو فتى في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من عمره — فحوصاتٍ روتينية. كان أحد مؤشرات دمه مرتفعًا، علامةً مقلقة. الفحوصات الإضافية والتصوير المقطعي أشارا إلى احتمال وجود ليبوساركوما:

سرطان في الأنسجة الرخوة داخل الصدر؛ مرضٌ لا يستجيب عادةً للعلاج الكيميائي ولا للعلاج الإشعاعي.

كانت الكتلة قد شغلت معظم قفصه الصدري.

مجرد النظر إلى وجهه ووجه أمه كان يملأ عينيّ بالدموع دون إرادة.

كنتُ أقول في نفسي: يا رب، ما هذه الحكمة؟ كيف تجتمع كل هذه الابتلاءات خلال ثلاث سنوات فقط؟

هذه المرة، شعرتُ أنني انكسرتُ حقًا.

ومرةً أخرى، قادني قلبي إلى المكان ذاته؛ الدعاء، والتوسّل، والابتهال.

كان الجرّاح المعالج – وهو من أبرز المختصين في هذا المجال – متردّدًا. كان يقول: لا أعلم إن كانت قابلة للجراحة أم لا. لكن بعد أن رأى حالي وحال أم الطفل، ومع كثير من الرجاء، قرر إجراء العملية.

يوم الجراحة، توسّلتُ إلى شيخ الطريقة. ابتهلتُ من أعماق قلبي. لم نكن نملك طاقة لتحمّل توترٍ جديد.

كانت الكتلة تزن ثلاثة كيلوغرامات ونصف تقريبًا. كانت العملية شديدة الصعوبة وطويلة للغاية. قال الجرّاح لاحقًا لزوجي إنه طوال مسيرته الطبية لم يُجرِ جراحةً بهذا الثقل من قبل.

أثناء العملية، قُطع العصب الحجابي الأيسر، وتضرر العصب الأيمن. وهذا يعني احتمال اعتماد الطفل الدائم على جهاز التنفّس. بقي يومين في العناية المركزة، فاقد الوعي، يتنفس عبر الجهاز. كنتُ أنا وأمه نقف يومين كاملين أمام باب العناية، في قلقٍ لا يوصف.

ومع كل ذلك القلق، كان في داخلي نورُ طمأنينة.

بعد يومين، أزيل أنبوب التنفّس.

وبدهشةٍ لا تُوصف، أخذ يتنفس بنفسه بصورة طبيعية.

في الصور اللاحقة، كانت عضلة الحجاب الحاجز في موضعها الطبيعي. لم تظهر أي علامة على قطع العصب أو شلله، مع أن العصب — من الناحية الطبية — كان داخل الكتلة وقد قُطع أثناء الاستئصال.

وجاءت نتيجة التحليل النسيجي:

ليبوما.

كتلة دهنية كبيرة، مع وجود غدة التيموس.

لم نكد نتمالك أنفسنا من الفرح.

وبعد شهر، حال قريبنا العزيز ممتاز — ممتاز جدًا. ولأكون صادقة، فإن حال قلبي اليوم أفضل من حاله.

عندما أعود بذاكرتي إلى الوراء، أرى أن الله نبّهني مرارًا وتكرارًا لأجد طريقي. ربما لا يعلم أحد — سوى الله — ما حقيقة هذا الطريق، لكنني أعلم يقينًا أن الله حاضرٌ في جمع من يسيرون فيه.

أعلم فقط أن هذا الجمع هو المكان الذي يجد فيه قلبي سكينته.

لقد طرقتُ أبوابًا كثيرة مغلقة حتى وصلتُ إلى هنا، لكنني أفهم الآن أنه لولا تلك المحاولات، ولولا ذلك الألم، لما استيقظتُ من نومي.

أنا في هذا الجمع مستيقظة.

وحين أكون هنا، يكون قلبي وروحي بخير... بخيرٍ تام.

الرواية 2 – شفاء يدٍ صدر قرارٌ ببترها

رواية لإحدى سالكات الطريقة

قبل بضع سنوات، حين لم أكن قد دخلتُ في الطريقة بعد، تعرّضتُ لحادثٍ أليم نتجت عنه حروقٌ عميقة بسبب اندلاع حريق. كانت الإصابات شديدة إلى درجة أنّ يدي اليمنى جفّت تمامًا بعد مدة، وفقدت قدرتها على الحركة والعمل. وبعد فحوصاتٍ متكررة، عُقد مجلسٌ طبي، وانتهى الأطباء إلى قرارٍ واحد: لا بد من بتر اليد.

في تلك الليلة، نمتُ وقلبي مثقلٌ بالحزن، وروحي منكسرة.

رأيتُ في المنام شخصًا نورانيًّا لم أره من قبل، قد أقبل إلى جواري. وبيدي اليسرى – التي كانت لا تزال تتحرك – أمسكتُ بطرف ثوبه، وقلتُ متوسّلة:

"أسألك بالله أن تدعو لي."

تحرّك ذلك الشخص النوراني من جهة رأسي إلى الجهة اليمنى، فأمسكتُ بطرف ثوبه مرةً أخرى وقلت:

"أرى في وجهك أنك رجلٌ من أولياء الله، أسألك بالله أن تدعو لي." فعاد إلى جهة رأسي، وقال:

"السلام عليكِ يا فاطمة."

فقلتُ متعجبة:

"سيدي، اسمي ثريا." فقال مرةً أخرى:

"سلام الله على أمةَ الله يا فاطمة، لا تقلقي، فقد جئتُكِ بالشفاء من عند الله."

ثم مسح بيده على رأسي. وكان لهيبة ذلك المشهد أثرٌ عظيم، حتى إنني استيقظتُ فجأةً من النوم.

فلما فتحتُ عينيّ، رأيتُ — بدهشةٍ لا توصف — أن يدي اليمنى قد انفتحت وعادت تعمل بصورة طبيعية.

انفجرتُ بالبكاء، وصرختُ من شدة الفرح، ولم أملك نفسي من شدّة التأثر. استيقظ أهلي على صوتي، ولما رأوا يدي عمّت الفرحة البيت.

اتصلتُ بوالدتي — وهي امرأة مؤمنة صاحبة قلبٍ حيّ — وأخبرتُها بما جرى. فجاءت في الليلة نفسها إلى منزلنا. وعندما سمعت القصة، اغرورقت عيناها بالدموع، وقالت:

"يا ابنتي، اسمكِ الباطني واسمكِ في الآخرة هو فاطمة."

في الصباح الباكر، اصطحبني أهلي — وهم ما زالوا في حالة ذهول — إلى الطبيب المعالج. ففحص يدي بدقةٍ ودهشةٍ واضحة، ثم قبّلها وقال:

"هذه اليد قد شفاها الله بإذنه، وهي يدٌ مباركة."

مرّ نحو عامين على تلك الحادثة. وخلال تلك الفترة، ظللتُ أبحث بشوقٍ عجيب عن ذلك الشخص النوراني. كنتُ أرتاد المساجد، والتكايا، والأماكن المباركة المختلفة، دون أن

أعرف على وجه التحديد عمّن أبحث، لكنني كنتُ على يقين أن عليّ أن أجده.

وفي يومٍ من الأيام دخلتُ المسجد الجامع، فرأيتُ جماعةً يتلون القرآن الكريم. جلستُ بينهم برهةً أستمع إلى التلاوة. وبعد أن انتهوا، دار بيني وبينهم حديث. فأخبروني أنهم من أتباع الطريقة الكسنزانية، وأن لهم تكيةً يجتمعون فيها. واتفقنا أن أزورهم مساء الاثنين، فذهبتُ إلى التكية.

ما إن دخلتُ حتى اجتاحني ارتجافٌ شديد في جسدي. ولما دخلتُ القاعة، وقعت عيناي فجأةً على صورةٍ كبيرة معلّقة، كانت صورة ذلك الشخص النوراني الذي رأيته في المنام.

سارعتُ أسأل الحاضرين، وهناك علمتُ أن الذي شفاني هو شيخ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدّس الله سرّه.

في تلك اللحظة أدركتُ أن ذلك الشفاء لم يكن نهاية ألمٍ فحسب، بل كان بداية طريقٍ دُعيتُ إليه منذ سنوات، من غير أن أعلم .

الرواية 3 – نورٌ دلَّ على الطريق

رواية بقلم مؤلف الكتاب

قبل بضع سنوات، سافرتُ إلى بكين في الصين برفقة أخي – الذي يصغرني بثماني سنوات، وهو أيضًا من مديري الشركة – وذلك لإنجاز مشروعٍ تجاري، ومعنا فريقٌ من المهندسين.

وبعد انتهاء الأعمال الإدارية، عدنا إلى الفندق ليلًا. اقترح أخي أن نخرج لتناول العشاء مع مهندسي الشركة في مطعمٍ خارج الفندق. فقلتُ له إنني لا أشتهي الطعام كثيرًا، ولا أرغب في الذهاب إلى الأماكن التي ينوون قصدها.

قرابة الساعة العاشرة ليلًا، خرج هو مع المهندسين، وبقيتُ في الغرفة منشغلًا بأذكاري.

حوالي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، عاد أخي، وارتدى ملابس النوم، ثم نام بعد وقتٍ قصير. أما أنا فواصلتُ الذكر، والحمد لله غمرني حالٌ طيب. وفي تلك اللحظات كنتُ شاكرًا لله تعالى ولشيوخ الطريقة الذين هدوني

إلى هذا السبيل، وشعرتُ برضا عميق لأني لم أخرج مع المهندسين.

نظرتُ إلى أخي وهو نائم، وقلتُ في نفسي:

"والله، لستُ أهلًا لهذا الطريق. أخي هذا، الذي كان منذ صغره أفضل مني خلقًا، أحقّ أن يُدعى إلى هذا السبيل مني."

وبينما كنتُ مستغرقًا في هذه الخواطر، استيقظ أخي من نومه. حدّق إليّ متعجّبًا بضع دقائق، ثم ذهب إلى الحمام، وعاد فنام مرةً أخرى. أما أنا فواصلتُ الذكر بتلك الحال الطيبة، وكنتُ أتمنى في قلبي لو أن شيوخ الطريقة يهدونه كذلك.

وبعد نحو ساعة، استيقظ مرةً ثانية. هذه المرة نظر إليّ بدهشةٍ أكبر، كنتُ جالسًا على الأرض أذكر الله. ذهب مرةً أخرى إلى الحمام، وشرب كوبًا من الماء، ثم عاد إلى النوم.

مرّ عامان على تلك الحادثة. وفي أحد الأيام، خرجتُ مع أخي في نزهةٍ مشيًا على الأقدام. كنتُ قد تحدّثتُ معه مرارًا

عن الطريقة، لكنه كان يغيّر مجرى الحديث دائمًا بقوله: "أنا راضٍ بحياتي، ولا أشعر بحاجةٍ إلى الانضمام إلى الطريقة."

وفي ذلك اليوم أيضًا فتحتُ معه الحديث من جديد. وبعد لحظة صمتٍ قال:

"على كل حال، في هذا الطريق حقائق. والحق أنني قبل عامين، حين كنا معًا في فندق بكين، وقع لي أمرٌ لم أخبرك به، حتى لا تُلحّ عليّ مجددًا بالانضمام إلى الطريقة."

ثم تابع قائلًا:

"في تلك الليلة، وبعد أشهرٍ طويلة لم أرَ فيها أي حلم، رأيتُ حلمين متتاليين."

قال:

"حين كنتَ أنت مشغولًا بالذكر ونمتُ أنا، رأيتُ في المنام أنني متُّ وسقطتُ على الأرض، وأنت واقفٌ فوق رأسي تبكي. وفجأةً خرج نورٌ من فمك، فدخل في فمي، فعُدتُ إلى الحياة."

ثم استيقظ من ذلك الحلم، وعاد فنام.

وأضاف:

"وفي الحلم الثاني، رأيتُ نفسي في صحراء وقد ضللتُ الطريق، أمشي في دربٍ ضيق. وكان بالقرب مني تلٌّ يقف على قمته جماعةٌ بملابس قديمة. وكان أحدهم – يعتمر عمامةً سوداء – قد مدّ يده إليّ وقال:

"يا بنيّ، لا تسلك هذا الطريق الذي أنت فيه؛ فإنه لا يوصلك إلى المقصد. تعالَ من هذا الطريق".

وأشار إلى مسارٍ آخر."

ثم قال أخي:

"أُلهمتُ في المنام أن ذلك الرجل هو الإمام الحسين (ع)."

فسألته:

"هل قيل لك في المنام إنه الإمام الحسين؟"

قال:

"لا، ولكنني كنتُ أعلم ذلك؛ كأنه علمٌ مستقرّ في قلبي."

ثم سألته:

"هل ترى الأحلام عادةً؟"

فقال:

"بصراحة، أنا لا أرى أحلامًا أصلًا، وإن رأيتُ فلا أتذكرها. لا أدري لماذا في تلك الليلة رأيتُ حلمين متتابعين."

الرواية 4 – عودة الإيمان بتذكّر الكرامات المنسيّة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

اتصل بي يومًا أحد الدراويش، وقال بنبرةٍ جادّة: "لا بد أن أراك الليلة."

فقلت له: "لديّ ضيوف هذا المساء، فإن أمكن فلتأتِ غدًا."

لكنه أصرّ بإلحاحٍ شديد قائلاً:

"لا، لا بد أن آتي الليلة."

كان إصراره لافتًا. وفي النهاية وافقت. وحين جاء، سلّم ببرودٍ على غير عادته، وجلس في زاوية. كان حاله غير طبيعي. اقتربتُ منه وجلستُ إلى جانبه. ومن دون أي تمهيد قال:

"خليفة، أتذكر يوم حدث لي كذا وكذا؟"

وانفجر بالبكاء.

ثم استحضر حادثةً أخرى، فبكى من جديد.

وثالثةً، ورابعةً، ومراتٍ عديدة، كان في كل مرة يذكر واقعةً عجيبةً وخارجةً عن المألوف وقعت له في حياته ببركة الطريق، ويستعيدها باكيًا.

كانت كلماته كلّها مشبعةً بإشارات لطف الله، وكراماته، وبركات الطريق.

وبعد مدة، شرب الشاي الذي قُدّم له، وقال بهدوء:

"إن أذنتَ لي، أودّ أن أنصرف."

قلتُ متعجبًا:

"كيف ذلك؟ لقد أصررتَ كل هذا الإصرار على رؤيتي الليلة، فلماذا تريد المغادرة الآن؟"

قال بصوتٍ خافتٍ يشوبه الخجل:

"لقد جئتُ الليلة لأخبرك أنني أريد ترك الطريق...
لكن حين جلستُ هنا وأخذتُ أتذكّر هذه الأحداث واحدًا تلو الآخر، أدركتُ كم كنتُ جاهلًا. هذا القدر من

الكرامات، وهذا الفيض من اللطف، وهذه العلامات الإلهية في حياتي، وقد نسيتُها جميعًا.”

ثم أضاف متعجباً:

“ولا أدري كيف مُحِيَت هذه الأمور من ذهني قبل أن آتي إلى هنا.”

فقلتُ له:

“الأمر واضح. من يبتعد عن العبادة، وعن الذكر، وعن التكية — وهي موضع ذكر الله — يفتح تدريجياً المجال لسيطرة الشيطان على فكره وقلبه.

وأول ما يفعله الشيطان أن يمحو من ذاكرة الإنسان كل ما يقوّي إيمانه، ليجعله ينسى النعم والكرامات الإلهية، فيقع في التردّد تجاه طريقه.”

في تلك الليلة، لم يأتِ ليودّع،

بل جاء ليجد إيمانه الذي كاد أن ينساه.

تأمّل ختامي

أوردتُ هذه الرواية في مطلع الكتاب عن قصدٍ ووعي، لا بوصفها ذكرى شخصية، بل باعتبارها تنبيهًا لكلّ سالكٍ في الطريق. فإن من أوائل علامات الابتعاد عن المسار، ليس الوقوع في ذنبٍ ظاهر، بل نسيان النعم؛ نسيان الكرامات التي كانت يومًا دعامةً لإيمان الإنسان.

فالكرامات لم تُجعل لإثارة الدهشة فحسب،
بل جُعلت للتذكير.

تذكيرًا بأن الإنسان ليس وحده،
وتذكيرًا بأن يد العناية الإلهية قد تجلّت بوضوح في لحظاتٍ من حياته،
وتذكيرًا بأن الإيمان، إذا لم يُقيَّد ويُصَن، يُمحى شيئًا فشيئًا من ذاكرة القلب.

وإنما وُضعت هذه الرواية في صدر الكتاب ليعلم القارئ منذ البداية أن طريق الطريقة لا يُحفَظ بمجرد الحضور الجسدي أو الانتساب بالاسم، بل يستمرّ بحفظ الذكريات

النورانية، واستحضار دلائل لطف الله، وإحياء اللحظات التي تقوّى فيها الإيمان.

إن كثيرًا من الشكوك لا تنشأ من غياب الكرامة، بل من نسيانها.

والشيطان، قبل أن يدفع الإنسان إلى الإنكار، يدفعه إلى النسيان.

ومن هنا، فهذا الكتاب ليس مجرد مجموعة روايات،
بل هو دعوةٌ إلى تدوين العلامات التي أودعها الله في حياة عباده، وحفظها، وإعادة قراءتها؛
لئلا يضيع الإيمان في غبار الانشغال اليومي،
وليجد السالك – كلما اعتراه تعبٌ أو تردّد – مصباحًا يهديه إلى الرجوع.

الرواية 5 – يوم لم يجد الموت طريقًا

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في زمنٍ امتدّ فيه ظلّ جائحة كورونا على العالم بأسره، واستقرّ الخوف في القلوب، وأصبحت حياة الناس فجأةً محاصرةً بشبح الموت وانعدام الأمان، وقع في مدينة السليمانية حادثٌ لم يُثر دهشة الأطباء والخبراء فحسب، بل وجّه قلوب كثيرين إلى حقيقةٍ تتجاوز الحسابات المادية.

في تلك الأيام، لم يكن كورونا مجرّد مرض، بل أزمةً شاملة؛ أزمةً طالت النظام الصحي، والاقتصاد، والعلاقات الاجتماعية، وحتى الشعائر الدينية. خلت المساجد، وأُغلقت المزارات، وأُقيمت مناسك الحج بقيودٍ غير مسبوقة. وكان العالم غارقًا في صمتٍ مشوبٍ بالقلق.

في خضمّ هذه الظروف، انتشر خبر وفاة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان، الشيخ السابق للطريقة العلية القادرية الكسنزانية، في الولايات المتحدة الأمريكية. وعلى الرغم من القيود الصارمة التي فرضتها الجائحة، نُقل جثمانه بطائرةٍ

خاصة إلى السليمانية ليُوارى الثرى في مركز الطريقة. وكان لهذا الخبر وقعُ الشرارة في قلوب آلاف الدراويش، فتوجّهوا إلى تلك المدينة الجبلية غير آبهين بالخوف من العدوى.

وفي ذلك الوقت، كانت السليمانية نفسها تعيش حالة إنذارٍ صحي. المطاعم شبه مغلقة، والتجمّعات مقيّدة، والقلق من موجة إصابات جديدة يشغل بال المسؤولين الصحيين بشدّة. ومع ذلك، دخل المدينة أكثر من ثمانية آلاف درويش من مختلف مناطق العراق وإيران، معظمهم من دون تصاريح رسمية أو فحوصات طبية، واجتمعوا في التكية المركزية للطريقة.

بلغ الازدحام حدًّا جعل التباعد الوقائي أمرًا متعذّرًا عمليًّا. كان الناس متقاربين، يتصافحون، ويتعانقون، ويشربون من أوانٍ مشتركة، ويمكثون ساعاتٍ طويلة جنباً إلى جنب. وكان أطباء المدينة ومسؤولو الصحة يترقّبون بقلقٍ بالغ كارثةً إنسانية بدت - من الناحية العلمية - محتملةً بل وشيكة.

وقال طبيب التكية لاحقًا:

"من منظورٍ تخصّصي، كانت الظروف كفيلةً بأن يتسبّب

شخصٌ واحدٌ مصاب في عدوى مئات الأشخاص. كنتُ أتوقّع أن نواجه في الأيام التالية موجةً هائلة من المرضى".

لكن الأيام مضت...

ولم تأتِ موجةٌ، بل لم تُسجَّل حالةُ إصابةٍ واحدة بين المشاركين.

كان هذا الأمر عصيًّا على التفسير الطبي. فقد خالفت النتائج جميع التوقّعات الوبائية، وكأنّ قانونًا آخر، يتجاوز القوانين المألوفة للطبيعة، كان جاريًا.

أمّا دراويش الطريقة الكسنزانية، فلم يكن ذلك جديدًا عليهم. فقد اعتادوا الحديث عن الكرامات والحفظ الإلهي؛ عن شفاء مرضى ميؤوسٍ منهم، وعن دفع البلاء، وعن عناياتٍ خفيّة ترافق السالكين في طريقهم إلى الله. وهم لا ينسبون ذلك إلى أنفسهم، بل إلى رحمة الله ولطفه، ويرونه علامةً على صدق الطريق الذي يسلكونه.

وقد وردت في كتب الطريقة وتقاريرها السابقة حوادث مشابهة؛ من شفاء مصابين بحمّى الضنك في الهند، إلى توقّف الهزّات الأرضية المتكرّرة في بنجوين إبّان مشيخة الشيخ عبد

الكريم الكسنزان. وكانت رواية السليمانية حلقةً أخرى في تلك السلسلة الغامضة.

ورأى بعضهم في هذه الواقعة إشارةً إلى تثبيت مشيخة الشيخ الجديد، الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان، وكأنّ السماء نفسها تشهد بأن هذا المسار ما يزال مشمولًا بعنايةٍ إلهية خاصة.

تأمّل ختامي

ليست هذه الرواية مجرّد حكاية "مناعةٍ جسدية" من المرض، بل هي رواية حصانة القلوب من الخوف.

حين يكون الإنسان في ظلّ اليقين والتوكّل والاتصال الروحي، فإنّ رهبة الموت تفسح المجال لطمأنينةٍ عميقة؛ طمأنينةٍ قد تتقدّم أحيانًا على القوانين المعروفة للطبيعة.

ولعلَّ سرّ هذه الحادثة لا يكمن في كسر القواعد الطبية، بل في التذكير بحقيقةٍ منسيّة:

أنّ الإنسان، حين يتّصل بينبوع الرحمة، لا يبقى مجرّد كائنٍ

بيولوجي، بل يصير كائنًا روحيًا يتجاوز - في ظلّ العناية الإلهية - حدود المادّة الضيّقة.

إنّ رواية السليمانية لا تدعونا إلى التخلّي عن العقل أو العلم، بل تذكّرنا بأنّ العلم ليس المحطّة الأخيرة للحقيقة.

فوراء الحسابات، ثمّة إحصاءٌ آخر يتجاوزها:

إحصاء القلوب التي أُودعت عند الله.

الرواية 6 – شفاءٌ على أعتاب السفر

رواية لأحد سالكي الطريقة

سنواتٌ طويلةٌ كنتُ أحمل في قلبي شوق التشرّف بالحجّ. كنتُ أوفّر من مالي عامًا بعد عام، عسى أن يُكتب لي يومًا هذا السفر الروحي. والحمد لله، بعد أعوامٍ من الانتظار، جاء ذلك اليوم.

في اليوم الموعود نُقلنا إلى المطار. جلستُ في صالةٍ واسعة، وقد وضعتُ حقيبتيّ أمامي، غارقًا في صمتٍ وتأمّل. وكان في

الجهة اليسرى من جبيني ورمٌ بحجم بيضة الحمام، رافقني سنوات طويلة.

قلتُ في نفسي:

"يا غوث الجيلاني، أنا عبدك الفقير ومريدك. أستحيي أن أذهب بهذه الغدّة إلى الكعبة وإلى حرم سيّدنا رسول الله ﷺ. ليتني أصل إلى حضرة فخر العالمين بجبينٍ صافٍ."

وما هي إلا لحظات حتى ثقل جفناي وغلبني النوم.

فجأةً أيقظني أحد الأصدقاء وهو يقول:

"حاجّي، حاجّي! لقد تأخّرت!"

انتبهتُ مسرعًا، حملتُ الحقائب ووقفتُ مع الآخرين في الصفّ. فُتّشت الأمتعة، وسُلّمت، واستلمنا جوازات السفر، وتوجّهنا إلى الطائرة. ركبنا، وبعد نحو خمس عشرة دقيقة بدأ الإقلاع.

في بداية الرحلة، وكعادتي، قرأتُ آية الكرسي، ثم مسحتُ بيدي على وجهي ورأسي. في المرّة الأولى لم أتنبه؛ في المرّة الثانية اضطرب قلبي. لمستُ وجهي بيدي اليمنى...

لم تكن هناك غدّة.

قلتُ بدهشة:

"يا غوث الجيلاني... ماذا حدث؟"

التفتُّ إلى مرافقيّ وقلت:

"بالله عليكم، من عنده مرآة صغيرة؟"

قال أحد الإخوة: "عندي ."

أخذتُ المرآة ونظرتُ إلى جبيني، كان قد صفا، ولم يبقَ إلا أثرُ خطّ دقيق.

فصرختُ بلا إرادة:

"يا هو... يا غوث، هذا من فعلك!"

وغمرتني أحوالٌ عجيبة. سقطت العمامة عن رأسي، وانسدل شعري الطويل—الذي كان يبلغ خصري—متناثرًا. وأخذتُ أذكر الله بلا اختيار، مردّدًا: "الله... الله... يا غوث". وارتفعت الأصوات في الطائرة، وأخذ المرافقون يكبّرون ويصلّون على النبي ﷺ.

وبعد برهة هدأتُ، جمعتُ شعري وجلستُ في مكاني. كان بعض أفراد الطاقم واقفين يسألون عمّا جرى. فقال أحد

المرافقين:

"هذا الحاجّ درويش، وقد غلبه حال الذكر."

سألوه: "وماذا يعني ذلك؟"

قال: "الدراويش أهلُ ذكرٍ، وقلوبهم متعلّقة بالله. أحيانًا يغلبهم الشوق فيذكرون الله بلا تكلّف."

جلستُ صامتًا، غير أنّ الدموع كانت لا تزال تنهمر من عينيّ فرحًا وشكرًا. وعاهدتُ نفسي أن أظلّ إلى أن نصل الوجهة مداومًا على الصلاة على النبي ﷺ وقراءة الفاتحة.

إنّ مشاهدة هذه الكرامة غيّرت حالي. والحمد لله، منذ ذلك اليوم قلّت غفلتي. وأعلم يقينًا أنّ هذا اللطف من بركة مشايخ الطريقة، وأنّي في الحقيقة لم أكن أهلًا لمثل هذه الكرامة.

الرواية 7 – صورةٌ لحضرة عبد القادر الجيلاني

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

دُعينا إلى إحدى التكايا للإرشاد وإقامة مجلس ذكر. وفي مستهلّ اللقاء، قدّم لي خليفة التكية لوحةً وقال:

"قبل ثلاثة أسابيع، كان بين ضيوف التكية رجلٌ ليس بدرويش، لكنه رسّام. وأثناء حلقة الذكر غلبته حالةٌ خاصّة، فرأى شخصًا ظهر أمامه وقال له:

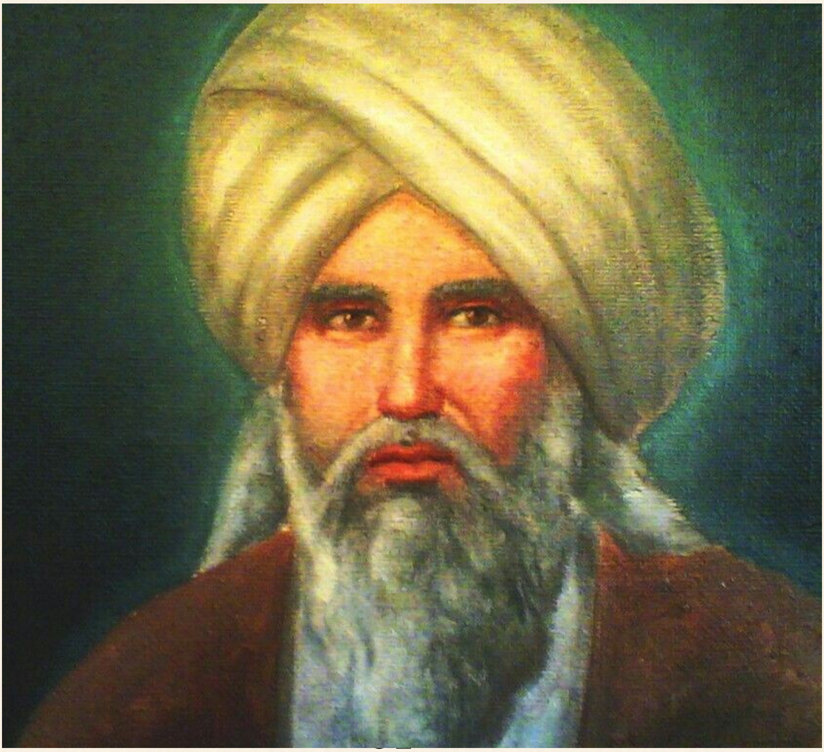
أنا عبد القادر الجيلاني. انظر إليّ جيّدًا، ثم ارسم صورتي بعد ذلك."

وكان يقول إنّ ذلك الشخص وقف أمامه بملامح تجمع بين الوقار والنور والهيبة، ونظر إليه نظرةً عميقة نافذة، كأنّها تخترق أعماق الإنسان كلّها. وبعد انتهاء الذكر وعودته إلى حالته الطبيعية، قصّ الضيف ما جرى للحاضرين. وبعد أيّام أرسل إلى خليفة التكية صورةً رسمها، وقال:

"هذه هي الملامح التي ظهرت لي في تلك الحال."

أعطاني خليفة التكية اللوحة. وما إن نظرتُ إليها حتى وجدتُ في قلبي إحساسًا عجيبًا، كأنّها لم تكن مجرّد عملٍ فنّي، بل حاملةً لمعنى وحضور. كان فيها سكونٌ مهيب، ووقارٌ، وجلالٌ صامت يتجلّى في تفاصيلها.

احتفظتُ بالصورة، ثم نشرتها في الموقع الإلكتروني الذي كنتُ أملكه آنذاك. وبفضل الله، انتشرت خلال مدّة قصيرة في أنحاء مختلفة من العالم، وتأثّر بها كثيرون من بلدانٍ متعدّدة.



تأمّل ختامي

إنّ أولياء الله لا يحتاجون إلى صورةٍ أو رسمٍ ليُعرَفوا؛ حضورهم حيٌّ في القلوب لا على الورق. غير أنّ الله قد يأذن أحيانًا بظهور علامةٍ حسّية، لتكون سببًا في إيقاظ القلوب الغافلة، وصرف النظر من ظاهر الدنيا إلى حقيقة الباطن.

والمهمّ في هذه الحادثة ليس الصورة ذاتها، بل الرسالة التي تحملها:

أنّ أولياء الله أحياءٌ، حاضرون بنورهم، يواصلون تربية القلوب بما يتجاوز حدود الزمان والمكان.

فإذا كان القلب مهيّأً، فإنّ نظرةً في منام، أو خاطرًا في ذكر، أو حتى صورةً بسيطة، قد تكون جسرًا بين الأرض والسماء. الصورة إذا اقترنت بالإخلاص صارت آيةً.

أمّا إذا خلا القلب من الإخلاص، فإنّ رؤية الحقيقة نفسها قد لا تُحدث أثرًا.

الرواية 8 – هديةٌ من الغوث الأعظم

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في أحد مجالس الذكر يوم الخميس، تقدّم إليّ درويشٌ لم يمضِ على انضمامه إلى الطريقة سوى أسبوعين، وكان ذا بنيةٍ ضخمةٍ وجسمٍ عريض، وعلى وجهه أماراتُ اضطراب.

قال لي:

"يا خليفة، حدث لي أمرٌ لا بدّ أن أرويه لك."

أخذته إلى زاوية وقلت:

"تكلّم، ماذا جرى؟"

قال:

"رأيتُ الليلة الماضية في المنام شيخًا مسنًّا، طويل القامة نسبيًّا، نحيفًا عظميّ البنية، له وجهٌ تملؤه الهيبة، ولحيةٌ وشعرٌ أبيضان طويلان. كان جالسًا على سريرٍ عظيم يشبه عروش الملوك، وفي يده عصًا ذات رأسٍ كرويّ كبير، يمسكها من وسطها. وكانت نظرته مشوبةً بجلالٍ وجذبةٍ تُرعد لها القلوب.

قال لي: اقترب.

فدنوتُ منه، فرأيته يُعطي خاتمًا لرجلٍ كان واقفًا إلى جانبه، ثم أشار إليّ وقال:

"هذا من أوليائنا."

ثم قال لذلك الرجل:

"ألبِسْه هذا الخاتم."

فأمسك بيدي وأدخل الخاتم في إصبعي. ثم قال الشيخ:

"انتبه. إن سرتَ في طريقنا فلك الفلاح، وإن انحرفتَ فبانتظارك سقوطٌ شديد."

وفي تلك اللحظة استولى عليّ خوفٌ عظيم، فاستيقظتُ مذعورًا... وإذا بالخاتم موضوعٌ فوق المصحف الذي كان بجوار سريري!"

سألته:

"أتقصد أنّك رأيتَ الخاتم في المنام؟"

قال: "لا، في اليقظة."

قلت: "أي عندما استيقظتَ كان الخاتم موجودًا فعلًا؟"

قال: "نعم."

قلت: "وأين هو الآن؟"

فمدّ يده وكشف عن ساعده وقال: "انظر، ما إن أروي القصة حتى يقف شعر ذراعي. في الحقيقة لم أجرؤ على لمسه. ما زال كما هو فوق المصحف في غرفتي."

قلت له:

"توضّأ، وضع الخاتم في منديلٍ نظيف، وائتِ به غدًا."

وفي اليوم التالي جاء به. فإذا هو خاتمٌ من فضّة، بفصٍ شفّاف كأنه زجاجٌ نجفي، يعكس النور من خلفه كالمِرآة. وعلى جانبيه نقشٌ بارزٌ لكلمة "علي" بخطٍّ عتيق. لم يكن يشبه النقوش المعاصرة، بل بدا كأنه أثرٌ من قرونٍ مضت. وكان الخاتم نفسه متآكلًا كأنما تداولته أيدي رجال الله عبر أزمنةٍ طويلة.

أمسكتُ بيده وألبستُه الخاتم. وعلى الرغم من ضخامة إصبعه، كان الخاتم مناسبًا تمامًا؛ لا ضيّقًا ولا واسعًا، كأنه صُنع لتلك اليد بعينها.

قلت له:

"يا بُنيّ، في جميع سنيّ سلوكي في الطريقة لم أرَ أمرًا أعجب

من هذا. أظنّ أنّ الذي رأيتَه في المنام هو حضرة الغوث الأعظم عبد القادر الجيلاني (قدّس الله سرّه). فاحفظ هذا الخاتم بأقصى درجات الاحترام، وخذ وصيّته على محمل الجدّ."

وفي الأسبوع التالي حضر مجلس الذكر والخاتم في إصبعه. قلت له:

"دع الخاتم في يدي أثناء إدارة حلقة الذكر."

لبسته، وكان عليّ واسعًا، غير أنّي شعرتُ ببركةٍ عجيبة، كأنّ روحي تُسحب نحو السماء. وبعد انتهاء المجلس أعدته إليه، وأكدتُ عليه مرةً أخرى وصيّة الغوث الأعظم.

وتكرّر الأمر في الأسبوع الذي يليه.

ثم غاب فجأةً ثلاثة أسابيع.

ولما عاد، رأيتُ لحيته قد طالت، وملامحه مضطربة. قال إنه تعرّض لحادثٍ اصطدمت فيه سيارةٌ بقوةٍ بالجهة اليمنى من سيارته، فمات أخوه الذي كان جالسًا إلى جانبه. حزنتُ كثيرًا، لكنّ إحساسًا داخليًا كان يقول إنّه تعرّض لزلّةٍ خطيرة في طريقه.

ثم انقطع قرابة ثلاثة أشهر. وعندما رجع، كان وجهه قاتمًا مثقلًا، كأنّ نورًا كان فيه قد خبا. لم يعد ذلك الإنسان نفسه. رأيتُ الخاتم في إصبعه، فاطمأنّ قلبي قليلًا وقلت في نفسي:

"الحمد لله، لعلّ همّة الغوث الأعظم لا تزال تشملُه."

أخذتُ الخاتم كعادتي وألبسته. وفجأةً شعرتُ كأنّ ثقبًا أسود انفتح في صدري، وانحدرت طاقتي الروحية بقوة. فسارعتُ إلى نزعه ورددته إليه.

وكان ذلك آخر لقاءٍ لي به؛ فلم يعد بعده إلى التكية.

وأعجب ما في الأمر أنّ الخاتم الذي كان يومًا مصدر نورٍ وبركة، تحوّل - بسبب سقوط صاحبه - إلى مصدر ظلمة.

تأمّل ختامي

تعلّمنا هذه القصة أنّ الأشياء المقدّسة، والعلامات، والكرامات، ليست في ذاتها نورًا ولا ظلمة، بل هي مرآةٌ لحال الإنسان الباطن.

فالذي يجعل الخاتم بركةً هو صفاء قلب حامله، والذي يجعله مصدر ظلمةٍ هو سقوط صاحبه في الغفلة وعدم الوفاء.

الكرامة أمانة، لا مُلك.

والبركة مسؤولية، لا امتياز.

إن كان الإنسان حاملًا للنور، صار كلّ ما معه نورًا.

وإن تلوّث القلب بالظلمة، فقدت حتى أقدس العلامات أثرها.

لقد حذّره الغوث الأعظم في المنام:

"إمّا فلاح، وإمّا سقوطٌ شديد." وهذا هو سرّ طريق السلوك:

في هذا الدرب لا مقام للجمود.

إمّا صعود... وإمّا سقوط.

الرواية 9 – تكبيرةٌ أيقظت القلب

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كان ذلك يوم خميس حين عرّفتُ أحد مهندسي المصنع بالطريقة. في البداية لم يبدِ اهتمامًا يُذكر، ولم يكن مرحّبًا

بالفكرة. ومع ذلك، أعطيته كتيّباً صغيراً بعنوان "باز أشهب" يتضمّن سيرةً وأشعاراً لحضرة الغوث الأعظم عبد القادر الجيلاني (قدّس الله سرّه)، وطلبتُ منه أن يطالعه.

وفي يوم السبت، وعلى خلاف توقّعي، جاءني مُصرّاً على أن أُدخله في الطريقة. سألته عمّا حدث، فقال:

"بالأمس، وكان يوم عطلة، كنتُ مستلقياً على سريري في البيت أقرأ ذلك الكتاب. فوصلتُ إلى هذا البيت من الشعر:

يا ربّ، اغفرْ لمن بعد موتِنا

يذكرُ روحَنا بتكبيرةٍ حيناً بعد حين

فقلتُ في نفسي بسخريةٍ خفيفة: إن كان قولُ التكبير سبباً للمغفرة، فلأُجرّب إذن. فبدأتُ أقول:

الله أكبر... الله أكبر...

ولم أُكمل التكبيرة الثالثة حتى دخل نورٌ عظيم إلى قلبي فجأةً. كانت شدّته بحيث شعرتُ أنّ قلبي يكاد ينفجر. ومن شدّة ما أصابني، وضعتُ الوسادة على وجهي لئلا يفزع أهل بيتي، وكنتُ أصرخ بلا إرادة. كان ذلك النور قويّاً شاملاً، أحاط بكياني كلّه."

ثم قال بصوتٍ خافت، وعيناه ممتلئتان دهشةً:

"منذ تلك اللحظة أدركتُ أنّ هذا الطريق ليس موضع سخرية. لقد استيقظ في داخلي شيءٌ لم أعرفه من قبل. ولذلك جئتُ اليوم لأتلقّى الطريقة منكم."

الرواية 10 – وعدُ عودةِ النور

رواية لأحد سالكي الطريقة

قبل أن أدخل في الطريقة، كنت أعيش حالةً من الحيرة والاضطراب الروحي. لم يكن لديّ سكونٌ داخلي، ومن الناحية النفسية لم تكن حياتي تسير وفق نظامٍ واضح. وكأنّ شيئًا في داخلي قد ضاع، ولم أكن أعلم ما هو، ولا من أين ينبغي أن أبحث عنه.

كان أخي الأكبر أولَ من انضمّ إلى الطريقة في العائلة. وبعد ذلك أخذ يحاول شيئًا فشيئًا أن يعرّف سائر أفراد الأسرة بهذا الطريق. وفي إحدى الليالي، حين عاد من التكيّة، جاء ومعه كتاب. كان اسم الكتاب "الباز الأشهب".

وعلى غلافه صورةُ طائرٍ عظيمٍ يقف على قدميه، وقد بسط جناحيه، وعلى رأسه نور.

أرانا الكتاب وقال:

"هذا كتابٌ عن طريقتنا، اقرأوه".

مع أنّني كنت قد ذهبت إلى التكيّة عدّة مرّات من قبل، وكنت قد رأيت غلاف هذا الكتاب، إلا أنّني في ذلك الوقت لم يكن لديّ ميلٌ أو شوقٌ لأخذ الطريقة، ولم يكن الأمر يثير في نفسي اهتمامًا كبيرًا. ومع ذلك، كنت في قرارة نفسي أؤمن بأنّ الأساتذة والمشايخ الذين كان أخي يتحدّث عنهم أناسٌ عظام ومن أولياء الله. ولهذا السبب لم يكن في قلبي ولا على لساني أيّ إساءةٍ أو جسارةٍ تجاههم.

وكنت بين الحين والآخر أسمع من أخي كلامًا عن مقام وشخصية "الباز الأشهب". وكان الزمن يمضي، وهو لا يزال يحاول أن يدعوني إلى الطريقة، لكنني كنت أقاوم وأستمر في طريقي الخاطئ نفسه.

إلى أن رأيت ذات ليلة حلمًا عجيبًا.

في المنام رأيت نفسي أمام بيتنا، وكنت ألعب. كان جسدي يشبه جسدي في أيام الطفولة، لكن وجهي كان هو وجهي الحالي نفسه. وعندما رفعت رأسي نحو السماء، رأيت النجوم والمجرّات وامتداد السماء اللامتناهي بوضوحٍ مدهش.

وفجأةً لمع نورٌ عظيم في السماء، كأنه الشمس، وهبط نحو الأرض مثل نيزك. ومن شدّة الخوف غطّيت رأسي بيديّ. وكان ذلك النور قد هبط على الأرض أمامي مباشرة.

رفعت رأسي ببطء. فرأيت أولًا قدمي طائرٍ كبيرٍ جدًا. ثم رفعت بصري إلى أعلى، وفجأة أدركت أنّ الصورة نفسها التي كنت قد رأيتها على غلاف كتاب "الباز الأشهب" تقف أمام عينيّ.

وببساطة الطفولة ومن شدّة المحبة قلت:

"هل أنت الباز الأشهب؟ هل تسمح لي أن أقبّل قدمك؟"

اقتربت منه، لكنه تراجع ولم يسمح لي.

وفي المرة الثانية قلت متوسّلًا:

"أرجوك، اسمح لي أن أقبّل قدمك".

لكنه منعني مرةً أخرى.

وفي المرة الثالثة، وبحزنٍ عميق واضطرارٍ داخلي قلت:
"ألستَ أنت الباز الأشهب؟ اسمح لي أن أُقبّل قدمك"...
لكنه لم يسمح لي مرةً أخرى.
عندها قال بصوتٍ عالٍ نافذٍ مهيب:
"يا بني، نحن غير راضين عنك. سأذهب الآن. وكلما صرتَ إنسانًا صالحًا، أعود إليك حتى تستطيع أن تقبّل قدمي".
وبعد هذه الكلمات تحوّل وجوده إلى نجمةٍ كبيرةٍ متألقة، فشقّ السماء واختفى في فضائها مثل شهابٍ مضيء.
وفي تلك اللحظة استيقظت من النوم وأنا أرتجف بشدّة.
لقد أثّر هذا المنام في نفسي وروحي تأثيرًا عميقًا، حتى كأنّ ستارًا قد انكشف عن عينيّ. وللمرة الأولى شعرت أنّني قد واجهت حقيقةً لا أستطيع الهروب منها. وبعد أيامٍ قليلة ذهبت إلى التكيّة، وأخذت الطريقة، وتركت طريق السوء.
كان ذلك المنام نقطةَ تحوّلٍ في حياتي؛
لا بوصفه حلمًا مخيفًا، بل بوصفه دعوةً سماويةً جعلتني أفهم أن:
النور لا يأتي إلا إلى قلبٍ مستعدٍّ لأن يتغيّر.

الرواية 11 – نور الطريقة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

أنقل لكم رؤية لأحد الخلفاء المسنّين في زمن حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان (جدّ الشيخ الحاضر)، وهي رؤية تعود إلى نحو خمسين سنة مضت.

كان هذا الخليفة المسنّ وذو الخبرة، في الوقت الذي كان فيه خليفة شاب يبايع رجلاً، يحدّث شيخه في قلبه ويقول: يا سيدي، إن هذا الخليفة الذي يبايع الناس عنكم لا يعرف شيئًا من الطريقة، وأنا لا أقبله!

وفجأة رأى في عالم الباطن عرشًا يجلس عليه حضرة الغوث الأعظم عبدالقادر الجيلاني (ق)، وفي صفّ أدنى منه جلس مشايخ الطريقة القادرية الكسنزانية: حضرات الشيخ عبدالكريم شاه الكسنزان، والشيخ قادر، والشيخ حسين، والشيخ عبدالكريم الكسنزان. وكان هؤلاء ـ في ذلك الوقت ـ جميعهم قد انتقلوا إلى رحمة الله، ما عدا الشيخ عبدالكريم.

وفي صفّ أدنى من الشيخ عبدالكريم كان يقف ذلك الخليفة الشاب الذي كان يبايع رجلاً.

وعند إعطاء البيعة رفع حضرة الغوث الأعظم يديه إلى السماء، فنزل نور من السماء إلى كفّيه المباركتين، فاتخذ هذا النور شكل كرة من أنوار بيضاء ممزوجة بالخضرة، وبدأت تدور في يديه المباركتين، ومع كل دورة يزداد لونها إشراقًا وقوة.

وبعد مدة أخذ حضرة الغوث الأعظم تلك الكرة النورانية إلى الأسفل، فوضعها في يدي حضرة الشيخ عبدالكريم شاه الكسنزان، ثم وضعها حضرة شاه الكسنزان في يد حضرة الشيخ قادر، ثم وضعها هو في يد حضرة الشيخ حسين، ثم وضعها حضرة الشيخ حسين في يد حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان. وكما في السابق كان نورها يزداد قوة في يد كل شيخ (ولعل همّة كل شيخ كانت تزيد هذا النور).

ثم وضع حضرة الشيخ عبدالكريم ذلك النور على رأس الخليفة الشاب الذي كان يبايع المريد الجديد، فبدأ النور يدور داخل جسد الخليفة. وعندما قال الشخص الذي كان

يأخذ الطريقة: «قبلتُ»، انتقل هذا النور من اليد اليمنى للخليفة إلى اليد اليمنى للمريد، ثم دخل إلى جسده وبدأ يدور في كيانه. وبعد انتهاء البيعة بمدة خفّ هذا النور ثم تلاشى.

وبعد وقوع ذلك قال حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان لذلك الخليفة المسنّ الذي كان قد اعترض في قلبه على بيعة الخليفة الشاب:

ليس هذا الخليفة هو الذي يعطي البيعة، بل نحن الذين نعطي البيعة، والخليفة إنما هو واسطة لنقل نورنا.

الرواية 12 - كلمات غامضة على شاشة الحاسوب

رواية لأحد سالكي الطريقة

في يومٍ من الأيام جاء إلى شركتنا أحد معارفنا، وكان خليفةً في الطريقة الكسنزانية. فتحدّث عن كرامات الطريقة، ودعا موظفي الشركة إلى التوبة وأخذ البيعة، غير أنّ كلامه لم يترك أثرًا عميقًا في قلوب الحاضرين، وكان معظمهم ينظر إلى الأمر بشيء من التردّد.

وفي صباح اليوم التالي، عندما فتحت باب الشركة في وقتٍ مبكر، فوجئت بمشهدٍ غريب: فقد كانت جميع حواسيب الشركة تعمل، وكان واضحًا أنّ شخصًا ما قد دخل إلى الشبكة عبر الحاسوب المركزي بإدخال كلمة المرور (Password) وقد كان هذا الأمر يثير دهشتي الشديدة؛ لأن كلمة مرور الشبكة لم تكن معروفة إلا لي وللمسؤول عن الشبكة، كما أنّ المسؤول عن الشبكة لم يكن يستطيع دخول الشركة أصلًا، إذ إن مفتاح الشركة كان موجودًا عندي

وحدي. ومهما بحثنا وحققنا، لم نجد أي تفسير منطقي أو تقني لهذا الحدث.

وبعد بضعة أيام، وعندما فتحت الشركة مرة أخرى في الصباح الباكر، رأيت من جديد أنّ الحواسيب تعمل؛ غير أنّ أمرًا أعجب قد وقع هذه المرة. فقد ظهرت على شاشة الحاسوب الرئيسية ثلاثة أسطر من الكتابة الغامضة، بخطٍّ غير قياسي تمامًا. ولم تكن هذه الكتابات تشبه خطوط النظام المعتادة، كما لم تكن مكتوبة بالطريقة العادية للطباعة.

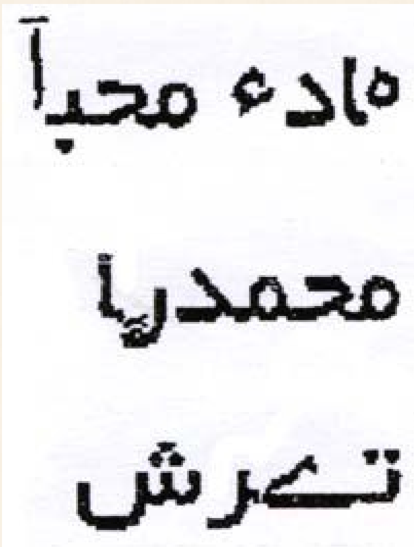
توجد هنا صورة لهذه الأسطر الثلاثة، حيث تظهر فيها كلمات غير مفهومة؛ غير أنّ كلمة "محمد" في السطر الثاني يمكن تمييزها بوضوح تام.

وهذه الكتابات لم تُنشأ باستخدام الخطوط الحاسوبية القياسية، بل تكوّنت بطريقة نقطية وبكسلية، نقطةً بعد نقطة.

والأشخاص الذين لديهم معرفة بالبنية التقنية للحاسوب يدركون جيدًا أنّ كتابة الحروف بهذه الطريقة، وبهذا القدر

من الدقة والوضوح، أمرٌ بالغ الصعوبة، بل يكاد يكون مستحيلًا على الأشخاص العاديين.

وبعد وقوع هذا الحدث الخارق للعادة، الذي أظهر بصورة عينية وعملية كرامة الطريقة، تحوّل ثمانية عشر شخصًا من موظفي الشركة – كانوا من قبل يسخرون من الطريقة – فتحوّلت قلوبهم، وآمنوا، وأخذوا البيعة بإخلاص.



تصوير الخطوط التي ظهرت على شاشة الحاسوب

تأمّل ختامي

في هذه الكرامة، ليست العلامة في تشغيل الحواسيب ولا في تجاوز الأقفال التقنية، بل في اختيار الرسالة. ففي وسط أسطرٍ غامضة وبكسلية، يظهر اسمٌ واحد بوضوحٍ كامل، اسمٌ أيقظ القلوب منذ قرون» :محمد .«وكأنّ المعنى قد انتزع نفسه من قلب الفوضى.

وتذكّرنا هذه الواقعة بأنّ الخطاب الإلهي قد يأتي أحيانًا لا عبر الموعظة والاستدلال، بل من طريقٍ لا يتوقّعه العقل الحسابي كثيرًا. فحيث تعجز أدوات الإنسان عن السيطرة والتفسير، تبقى الرسالة. لم تُكسَر الأقفال، بل أصبحت بلا أثر. وفي ذلك فرقٌ كبير.

وفي هذه الرواية، يجد الشكّ الذي ظهر في اليوم الأول جوابًا صامتًا، ولكنه باقٍ. جوابًا لم يُكتب بلغة البشر، ولم يُقرأ بالطريقة المعتادة، غير أنّ معناه يتجلّى لمن يتأمّل قليلًا.

الرواية 13 - جواب الملائكة لشكّ القلب

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كنّا قد ذهبنا إلى إحدى المدن لإرشاد الناس، فبايعت امرأة تعمل معلمة في إحدى المدارس الثانوية وأخذت الطريقة.

وبعد مدة اتصلت بي وقالت:

"مع أنني في البداية كنت أعيش حالة روحية جميلة جدًا وأشعر بسكينة عجيبة، إلا أنني شيئًا فشيئًا تأثرت بكلام بعض المحيطين بي. فقد بدأوا يثيرون الشكوك حول قدرات شيخ الطريقة ومقامه، وتسللت هذه الشكوك تدريجيًا إلى ذهني حتى شعرت وكأن إيماني بدأ ينهار.

كنت أقول في نفسي: إذا كان شيخ هذه الطريقة حقًّا، وله كل هذه الكرامات، فلماذا لا يعرفه جميع الناس في العالم؟ وكيف يمكن أننا لم نسمع باسمه من قبل؟ كانت هذه الأسئلة تتكرر في ذهني باستمرار وتسلب مني راحتي."

ثم قالت:

في أحد الأيام، بينما كنت وحدي في المنزل منشغلة بعملي، عادت إليّ هذه الأفكار مرة أخرى. وفجأة رأيت أمامي شابًا نورانيًا حسن الهيئة، يرتدي ثوبًا أبيض طويلًا، وله شعر أسود طويل؛ حتى إنه لم يكن واضحًا أهو رجل أم امرأة. فبدأ يتحدث معي. ومن شدة الخوف تجمدت في مكاني وقلت:

"أستحلفك بالله ألا تتحدث معي، فأنا خائفة".

فمدّ يده نحوي ورفع كفّه باتجاه وجهي. وعندما نظرت إلى كفّه رأيت أن جواب جميع أسئلتي وشكوكي قد ظهر فيها بنورٍ ساطع، كأنه صفحة حية شفافة؛ وكأن شاشة من نور قد فُتحت أمام عيني. وفي اللحظة نفسها انفصل ذلك النور من كفّه ودخل مباشرة إلى قلبي.

حدث كل شيء في لحظة واحدة. فقد غمرتني سكينة عميقة ويقين كامل. ثم اختفى ذلك الشخص فورًا، لكن الأثر الذي تركه ذلك النور في قلبي بقي إلى الأبد. ومنذ تلك اللحظة أدركت أن شكوكي كانت من جهة العقل، أما الحقيقة فقد دلّتني على طريقها مباشرة إلى قلبي.

الرواية 14 – الملائكة الحافظة

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

تكرّر ظهور ذلك الشخص، بالوصف نفسه الذي ذُكر سابقًا، في حادثةٍ أخرى أيضًا.

كانت هناك سيدة تعاني دائمًا من خوفٍ شديد وقلقٍ مستمر، وكانت تشعر أن كائناتٍ غير مرئية تؤذيها وتضايقها. وقد كانت هذه الحالة تعكّر صفوها النفسي وتُفقدها الطمأنينة على الدوام. وبعد أن أخذت الطريقة، بدأ يتغيّر حالها الداخلي تدريجيًا، وظهر في نفسها تحولٌ عميق.

وبعد مدة، قالت لزوجتي – وكانت خليفتهم:–

«أرى أحيانًا شابًا حسن الوجه مشرق النور، يلبس ثوبًا أبيض طويلًا وله شعر أسود طويل، حتى إنه لا يُدرى أهو رجل أم امرأة. ومنذ أن بدأت أرى هذا الشخص، لم يعد أي كائن يؤذيني، واختفى ذلك الخوف الدائم الذي كان يلازمني تمامًا» .

غير أن الجانب الأكثر إدهاشًا في هذه الحادثة ظهر في موقفٍ آخر، إذ خرجت هذه السيدة يومًا من حلقة الذكر لبضع لحظات، وتوجّهت إلى مطبخ التكية لقضاء أمرٍ ما. وبعد انتهاء الذكر، جاءت إحدى النساء — من غير أن تكون لديها أي معرفة بتجربة تلك السيدة أو بما ذكرته من قبل — إلى زوجتي وقالت:

«عندما كانت هذه السيدة تتجه إلى المطبخ، رأيتُ شخصًا بثوبٍ أبيض طويل وشعرٍ أسود طويل يسير خلفها ويرافقها».

لقد كان هذا التوافق العجيب بين تجربة تلك المرأة الشخصية ومشاهدة شخصٍ آخر للأمر نفسه ذا دلالة واضحة لنا جميعًا، وكأن عنايةً غيبية وحفظًا إلهيًا قد وُكِّلا بها، وأن الملائكة الحافظة قد جُعلوا — بأمر الله — حُرّاسًا لطمأنينة قلبها وأمان نفسها.

الرواية 15 – الملائكة حاملو الرايات

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كانت هناك سيدة كان زوجها يشتغل بالسحر وكتابة الأدعية، فاتصلت بي عبر واتساب وقالت إنها تعاني مشكلةً جدية في الصلاة والعبادة. كانت تشرح أنها كلما تنوي الصلاة، ترى فجأة البيت ممتلئًا بالسيوف وتشعر أن رائحة الموت قد ملأت المكان (مع أن مقصودها الدقيق من «رائحة الموت» لم يكن واضحًا لي تمامًا). وقد كان هذا الحال يثير فيها خوفًا شديدًا حتى إنه سلبها القدرة على أداء الصلاة.

بعد أن أخذت الطريقة، أرسلت لي رسالة ووصفت رؤيا رأتها. وأنا أنقل لكم مضمونها كما هو:

«شكرًا لك... حفظك الله.

دخل نور أخضر اللون من جهة القبلة إلى البيت، واستقر فوق سقف البيت كله. بعد ذلك بدأ مطر من نور أخضر يتساقط.

لا إله إلا الله...

وفي تلك اللحظة، بدأ أناس كانت معهم سموم وسيوف يخرجون من البيت جماعات.

حتى لو أهديتُ الدنيا كلها، فلن أستطيع أن أجازيكم على ما بذلتموه من جهد من أجلي.

بعد ذلك رأيتُ ملائكة يحملون رايات. وكان مكتوبًا على الرايات:

محمد رسول الله

وكانوا يمسكون بأيدي بعضهم بعضًا، يسيرون ويذكرون الله. ومن قراءتهم وحركتهم كان نور أبيض كأنه نجوم ينتشر في جميع أرجاء البيت ويملأ المكان كله».

كانت هذه الرؤيا نهاية مخاوفها واضطراباتها السابقة، وكأن دخول الملائكة حاملي الرايات قد طهّر بيتها من كل ظلمة، وترك فضاءه للنور والأمان والسكينة الإلهية.

الرواية 16 – تجديد البيعة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في يومٍ من الأيام جاء أحد الخلفاء الكبار والقدامى في الطريقة إلى تكيّتنا للإرشاد. وفي ذلك المجلس، بالإضافة إلى الدراويش، كان هناك عدد من الأشخاص غير الدراويش أيضًا. أُقيم ذكرٌ نوراني مؤثر، وكان للمجلس حالٌ خاص.

وفي النهاية، دار الحديث عن أن الدرويش الحقيقي لا يُعرف فقط من سلوكه، بل يمكن تمييزه حتى من ملامحه وهيئته الظاهرة. فالتفتُّ إلى الخليفة وقلت له:

«أنتم من الخلفاء القدامى وأهل البصيرة في الطريقة، فهل تستطيعون أن تميّزوا بين الدراويش وغير الدراويش في هذا الجمع؟»

توقف الخليفة لحظة، ثم أرسل الصلاة على النبي، وبعد ذلك طلب من الجميع أن يقفوا في صفّين. وبدأ يفرّق بينهم واحدًا واحدًا:

الدراويش في صف، وغير الدراويش في صف آخر.

كان الجميع ينظرون باهتمام. والمثير للدهشة أن تشخيصاته كانت صحيحة تمامًا، إلا في حالة واحدة:

فقد وُضع درويش قديم، كان في الطريقة منذ سنوات طويلة وله شعر طويل أيضًا، في صف غير الدراويش.

بعد ذلك أعطى الخليفة الطريقة لجميع الذين كانوا في صف غير الدراويش فبايعوه، ومن بينهم ذلك الدرويش القديم.

وفي اليوم التالي جاء ذلك الدرويش إلى الخليفة، وقبّل يده وقال:

«يا خليفة، جئت أطلب منكم المسامحة. البارحة عندما وضعتموني في صف غير الدراويش قلت في نفسي: ما هذا الخليفة؟ لا يعرف الباطن ولا حتى الظاهر. قلت في نفسي: كيف يمكن أن يكون شخصٌ له هذا الشعر الطويل، الذي هو علامة سنوات من الدرويشية، غير درويش؟

لكن احترامًا لكم لأنكم كنتم ضيفًا، لم أقل شيئًا وبايعتُ مرة أخرى».

ثم تابع كلامه:

«رأيتُ البارحة في المنام حضرة عبدالقادر الجيلاني (ق).
فقال لي:
يا درويش، قبل عدة أيام عندما جلست مع أصدقائك القدامى السيئين، وكنتم تتحدثون عن ذكريات الذنوب الماضية وتستمتعون بتذكّرها، أخذنا الطريقة منك.
وأما البارحة، فببركة حضور هذا الخليفة الذي جاء للإرشاد، جعلناك تقف في صف غير الدراويش حتى تُعطى لك البيعة مرة أخرى وتتجدد طريقتك».
وقال ذلك الرجل بعينين دامعتين:
«الآن فهمت أن ما حدث لم يكن خطأً، بل كان رحمة».

التأمل ختامي

هذه القصة تذكّر بحقيقة عميقة:
الطريقة ليست عنوانًا ولا مظهراً ولا تاريخًا.
ليس الشعر الطويل علامة البقاء في الطريق،
ولا سنوات الحضور في مجالس الذكر ضمانًا لسلامة القلب.

إذا تلوّث القلب، فإن أقدم البيعات قد تنهار.

وإذا تاب القلب، فإن أحدث بيعة تحيا من جديد.

إن الله يرحم عباده أحيانًا لا بالمداعبة، بل بكسر غرورهم.

حين يظن الإنسان أنه أصبح في أمان، فهناك يبدأ الخطر.

وما أجمل رحمة الله التي تفتح طريق الرجوع حتى من خلال خطأ ظاهري.

أحيانًا يجب أن يُخرج الإنسان من صفّه،

لكي يفهم من جديد أن الوقوف في الصف نعمة يجب أن يُشكر الله عليها كل يوم.

الرواية 17 – سلسلة الاستمداد

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في زمنٍ كان فيه حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان (ق) في كركوك، أمر مجموعةً من الخلفاء والدراويش أن يستعدوا للذهاب إلى بغداد؛ ليقوموا، بحضور جمعٍ من غير المسلمين،

بأعمال خارقة للعادة، وليُظهروا القدرة الإلهية ومعجزة حضرة رسول الله ﷺ وكرامات أولياء الله.

فامتثالًا لأمر حضرة الشيخ، توجّهت المجموعة إلى بغداد. وكان بينهم درويش يُدعى علي، معروفًا بالقيام ببعض الأمور الخارقة؛ ومنها أنه كان يمسك سلك الكهرباء بيده ولا يصيبه أذى. فلما جاء دور علي، قال في نفسه:

«الآن وأنا في بغداد، من الأفضل أن أستمدّ العون من سلطان الأولياء، حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني».

وبهذه النية توجّه إلى كابل الكهرباء. ولكن ما إن أمسك بالكابل حتى قذفته قوة الكهرباء عدة أمتار إلى الخلف. وفي المرة الثانية وقع الأمر نفسه. أما في المرة الثالثة، فقد استمدّ علي هذه المرة من حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان؛ فأمسك الكابل دون أن يتحرك. وفي تلك اللحظة نفسها انقطع التيار الكهربائي عن بغداد لمدة من الوقت.

وبعد عودتهم إلى كركوك، استدعى حضرة الشيخ عبدالكريم عليًّا، وسأله بابتسامة ذات معنى:

«يا درويش علي، أيّهما كان أقوى: كهرباء بغداد أم كهرباء كركوك؟»

فأجاب علي بخجل: «سيدي، كهرباء كركوك».

فقال حضرة الشيخ:

«يا بني علي، الدرويش في الاستمداد لا يذهب من البداية إلى جميع المشايخ. بل ينبغي أن يستمد أولًا من شيخه، وشيخه يستمدّ، يدًا بيد، من شيخه، حتى تصل السلسلة إلى حضرة رسول الله ﷺ ثم إلى الله تبارك وتعالى. حضرة الغوث عبدالقادر الجيلاني سلطان الأولياء الإلهيين، ونحن جميعًا نستمدّ منه، ولكن لهذا الطريق مراتب، ويجب حفظ حرمة السلسلة. وكان ينبغي لك أن تطلب العون أولًا من شيخك».

الرواية 18 – صوت الغناء في لحظة البيعة

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

قبل سنوات عديدة، كنت ضيفًا في أحد البيوت ذات ليلة. وبطلبٍ من سيدتين راغبتين، أجريت لهما بيعة الطريقة. ولم تكد تمرّ بضع كلمات من عبارات البيعة على لساني حتى عمّ البيت فجأة صوتٌ مفعم بالفرح والحيوية.

كان صوت غناء طيور الكناري؛ قويًّا، منسجمًا ومليئًا بالحماس.

فقلت في نفسي:

«هل في هذا البيت طيور كناري؟

وإن كانت موجودة، فلماذا كانت صامتة حتى هذه اللحظة؟»

كان غناؤها مفعمًا بالنشاط كأنها نالت حياةً جديدة.

صوتٌ جماعي منسجم، يشبه نشيدًا يأتي من مكان أبعد.

واستمر هذا الغناء بلا انقطاع حتى نهاية آخر كلمة من كلمات البيعة. وفي اللحظة نفسها التي انتهت فيها البيعة، عاد الصمت. وكأن ستارًا أُسدِل، فعاد المكان إلى هدوئه السابق.

كانت لحظة عجيبة، لحظة أدخلت جميع الحاضرين في صمتٍ عارف.

بعد ذلك التفتُّ إلى صاحب البيت وسألته:

«هل لديكم في البيت طيور كناري؟»

فأجاب:

«نعم، ولكنها كانت صامتة تمامًا منذ الصباح. والآن بعد أن تجاوز الوقت العاشرة ليلًا، بدأت فجأة بهذا الغناء».

وكانت غرابة الأمر في أن طيور الكناري كانت محفوظة في مكان بعيد عن مجلسنا، بعيدًا إلى درجة أن الصوت العادي للإنسان لا يصل إليها. وحتى لو وصل، فإن عبارات البيعة البسيطة لا يمكن أن تُحدث فيها مثل هذا الفرح المفاجئ.

إن الذين يربّون الطيور يعلمون أن طيور الكناري تغنّي في النهار لا في الليل. فهي حساسة للضوء، وغناؤها مرتبط بالنور.

لكن في تلك الليلة، كان هناك نورٌ آخر.

نورٌ ليس من نور الشمس؛
نورٌ نهض من القلوب في لحظات البيعة، وأنار فضاء البيت.

شعاعٌ من عالم المعنى، لا يوقظ قلب الإنسان فحسب، بل يدعو أرواح الطيور أيضًا إلى الغناء.

الرواية 19 - شفاء سرطان طفل

رواية لأحد سالكي الطريقة

أُصيب ابني البالغ من العمر ثماني سنوات بمرض السرطان. راجعتُ كثيرًا من الأطباء. وكانت حالته نادرة جدًا، حتى إن الأطباء أنفسهم كانوا يقولون إن هذا النوع من السرطان نادر للغاية ولا يُعد من الحالات العادية. أجرينا له جميع أنواع الفحوصات، والتصوير، وأخذ العينات، والفحوصات الطبية الكاملة. وفي النهاية شخّصوا أن ابني مصاب بنوع نادر جدًا من السرطان.

بقي ابني تحت العلاج لمدة سنتين. خضع لخمسة وثلاثين جلسة من العلاج الإشعاعي في المستشفى، وتلقى أيضًا ما

يقارب ثلاثين إلى خمسٍ وثلاثين جلسة من العلاج الكيميائي. وبعد ذلك أُجريت له فحوصات كاملة مرة أخرى. فأخبرني الأطباء بصراحة أنه لم يعد هناك علاج له؛ لأن هذا المرض نادر جدًا، كما أن إجراء عملية جراحية غير ممكن. فقد كان الورم موجودًا في الأذن الوسطى، في مكان قريب جدًا من العصب السابع ومن الشرايين الحيوية للقلب والدماغ. وكانت الكتلة السرطانية تقع بالضبط بين شريانين: أحدهما ينقل الدم إلى الدماغ، والآخر يعيد الدم إلى القلب، أي في موضع بالغ الحساسية والخطورة.

وفي هذه الظروف القاسية واليائسة، ذهبتُ إلى السليمانية لأتوسل إلى مشايخ الطريقة. وكان ذلك الوقت مصادفًا لميلاد النبي الأكرم ﷺ، حيث أُقيمت هذه المناسبة بحضور حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان. وفي ذلك المجلس أُقيمت حلقة ذكر، وكان ابني حاضرًا معي أيضًا. قدّمنا الطفل إلى الأمام، فجاء حضرة الشيخ ووضع يده المباركة على رأسه.

وبدأ حال ابني يتحسن. وبعد نحو شهر، أو ربما أقل من ذلك، أجرينا لابني فحوصات كاملة مرة أخرى. فقال الطبيب بدهشة وتعجب:

«هذه معجزة إلهية. كان لابنك ورمٌ بحجم سنتيمتر ونصف بين الشرايين الدماغية وفي الأذن الوسطى، أما الآن فلا أثر له إطلاقًا».

الحمد لله رب العالمين، شُفي ابني شفاءً كاملًا من هذا المرض، مرض السرطان، وتعافى تمامًا. وهذه حقيقة رأيتها بعيني ولمستها بكل وجودي.

الرواية 20 – في ساحة أكرم الأكرمين

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في إحدى ليالي الذكر، دخل حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري إلى ساحة الذكر، وألقى كلماتٍ على الحاضرين. ثم فجأة تغيّر لحن صوته وصوته، وقال:

«أنتم الآن في ساحة ومحضر أكرم الأكرمين».

في ذلك المجلس كانت هناك امرأة مصابة بالشلل جالسة على كرسي متحرك، ولم تكن قادرة على الحركة. فوضع حضرة الشيخ عصاه المباركة على رأسها، ثم خرج من ذلك المكان.

وبعد لحظات قليلة بدأت تلك المرأة تتحرك. توقفت أولًا، ثم بكت، ثم طلبت من أهلها أن يتركوها. ثم وقفت... ومشت على قدميها لأول مرة.

اتجهت نحو الراية التي كانت في وسط الساحة، وأخذت تدور حولها وهي تبكي.

وامتلأت عيون الحاضرين أيضًا بالدموع من شدة التأثر والدهشة، وكان الجميع أمام ذلك المشهد في حالة من الذهول والتأثر.

تأمّل ختامي

لم يكن هذا المشهد شفاء جسدٍ فحسب، بل كان تجلّيًا لرحمة الله الواسعة. فالعصا لم تشفِ، وإنما كانت علامة على جريان الإرادة الإلهية. فالقوة ليست في يد الإنسان ولا في الأدوات، بل تجري فقط من عند أكرم الأكرمين.

وعندما قال حضرة الشيخ« :**أنتم الآن في ساحة أكرم الأكرمين**»، فقد كشف في الحقيقة عن حضورٍ جارٍ دائمًا، ولكن القلوب اليقظة هي التي تدركه.

لم تستعد تلك المرأة القدرة على المشي فحسب؛ بل أصبحت شهادةً على أنه عندما تتعلق إرادة الله، تتحول العجز في لحظة إلى قدرة، ويحل اليقين محل اليأس.

الرواية 21 - النجاة من أزمة روحية

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في يومٍ من الأيام جاءني شاب بحالةٍ مضطربة، وقال إنه منذ عدة سنوات يظهر له كائن على هيئة امرأة عجوز شديدة القبح، نحيلة وعظمية، تحمل عصًا تشبه غصن شجرة. وكان وجهها وجسدها مملوءين بالبثور، وتصرخ وتضحك ضحكات مرعبة، وتسبّه بأقبح الألفاظ وتهينه. وكانت لها رائحة كريهة جدًا، حتى إن تلك الرائحة تبقى في المكان لساعات بعد اختفائها.

وقد أثّرت هذه الحادثة على نفسيته تأثيرًا شديدًا حتى إن حياته قد تدمّرت تمامًا. كما أن زوجته وابنته الصغيرة بدأتا أيضًا برؤية أشياء في البيت، وأصبحن يعشن في خوف دائم. وكانت زوجته تخاف منه خوفًا شديدًا حتى إنها قررت الطلاق. وقال:

«ذهبتُ إلى عشرات الأشخاص الذين يكتبون الأدعية ويدّعون إبطال السحر. كل واحد منهم أخذ مني مبالغ

كبيرة، ولكن لم يحدث أي نفع. بل كانت تلك العجوز تظهر كل مرة بسخرية أكبر. حتى إن أحدهم نصحني مرة أن أربط الأدعية والكتّابات في جميع أجزاء جسدي، ففعلت ذلك. ولكن عندما ظهرت العجوز ضحكت ضحكة مخيفة وقالت:

أظننتَ أنني أخاف من هذه الأشياء؟

ثم عادت تؤذيني مرة أخرى».

فقلت له:

«خذ الطريقة، وتُب إلى الله، ولا تذهب بعد اليوم إلى مثل هؤلاء الأشخاص. سلّم أمرك إلى الله وإلى مشايخ الطريقة. واجمع كل تلك الكتّابات والأدعية والأشياء التي أخذتها منهم، وضعها في كيس وألقها في ماء جارٍ».

ثم أعطيته أربع صور فوتوغرافية ملوّنة:

صورة حضرة رسول الله ﷺ، وصورة حضرة عبدالقادر الجيلاني، وصورة حضرة شاه حسين الكسنزان (شيخ الطريقة قبل حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان، وللدراويش محبة خاصة له)، وصورة حضرة الشيخ محمد

المحمد الكسنزان قدّس الله أسرارهم. وقلت له أن يعلّق هذه الصور في بيته.

وفي اليوم التالي اتصل بي وقال:

«منذ أمس رأيت تلك العجوز عدة مرات، ولكنها هذه المرة تقف بعيدًا ولم تعد تجرؤ على الاقتراب. بل تبدو حزينة وعاجزة جدًا».

ثم حكى حادثة غريبة:

قال إن زوجته أيقظته ليلة البارحة نحو الساعة الرابعة فجرًا وهي خائفة، وقالت له:

«انهض، لقد دخل لصّ إلى البيت»!

فنهض فورًا وفتّش البيت كله، ولكنه لم يرَ أحدًا. فقالت له زوجته:

«رأيتُ رجلًا ذا لحية سوداء، وعلى رأسه عمامة سوداء، وكان قد لفّ حول عنقه قطعة قماش سوداء».

فجعل هذا الوصف يذكّره بالصور التي أعطيتُه إياها. فأحضر الصور وعرَضها على زوجته. فقالت فورًا:

«هذا هو... هذا هو الشخص الذي رأيته في بيتنا».

وكانت تلك الصورة صورة حضرة شاه حسين الكسنزان (ق). بعد هذه الحادثة لم يرَ ذلك الشاب تلك العجوز إلا مرة أو مرتين، ثم تخلّص منها نهائيًا. وزال الخوف من بيتهم، وعادت الطمأنينة إلى حياتهم، وعادت الأسرة التي كانت على وشك الانهيار إلى الأمن والسكينة.

تأمّل ختامي

هذه الحادثة ليست مجرد رواية نجاة إنسان من أذى كائنٍ مجهول، بل هي علامة واضحة على الفرق بين التوسل الحقيقي إلى الله وأوليائه، وبين اللجوء إلى طرقٍ تختلط فيها الخرافة والطمع والتجارة. لقد عاش ذلك الشاب سنواتٍ طويلة بين الخوف والإهانة واليأس؛ لا بسبب ضعف إيمانه، بل لأنه لم يكن يعرف الملجأ الصحيح. وكلما لجأ إلى أشخاص غير صالحين ازداد خوفه، وازداد عدوه جرأة.

بدأت الطمأنينة عندما تاب، وسحب ثقته من الناس، ووضعها في الله وأوليائه. وفي تلك اللحظة تغيّر الميزان. ذلك

الكائن الذي كان يظهر لسنوات بجرأةٍ وسخرية، وقف هذه المرة بعيدًا، عاجزًا وحزينًا. لأن القوة الحقيقية ليست في الأدعية المبيعة، ولا في الطلاسم والأوراد التجارية، بل في اتصال القلب بمصدر النور.

الرواية 22 – صفّ الجنة

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في يومٍ من الأيام جاء أحد الخلفاء مع نحو عشرين درويشًا من إحدى المدن إلى تكيّتنا. وكان بينهم امرأة أيضًا. فعرّفني الخليفة بها وقال:

«هذه السيدة وزوجها قد أخذا الطريقة حديثًا. وزوجها يملك مخبزًا، وبسبب عمله لم يستطع الحضور، لكنه أرسل زوجته وطفلهما الصغير».

ثم أضاف أن هذه المرأة كانت تعاني منذ مدة من اضطرابات نفسية شديدة. ففي أحد الأيام رأت في البيت هالة سوداء تشبه الدخان، وبعد ذلك ظهر لها كائن مخيف.

وكانت كلما رأته يرتجف جسدها، وأحيانًا كانت تفقد الوعي من شدة الخوف. واستمر هذا الحال مدة طويلة، حتى إنها عندما التحقت بالطريقة، وبفضل الله وهمّة المشايخ، تخلّصت تمامًا من ذلك الكائن الشيطاني.

وفي تلك الليلة كان الخليفة والدراويش ضيوفًا عندنا.

وقبيل الظهر، حين استيقظ الجميع ليجتمعوا لتناول الفطور، جاءت تلك السيدة إلى الخليفة وقالت إنها رأت حلمًا غريبًا جدًا. فقصّت علينا الحلم، وطلبتُ منها أن ترويه بصوتٍ عالٍ لجميع الدراويش.

فقالت:

«قريبًا من وقت صلاة الفجر كنت جالسة على كرسي. أغمضت عيني لحظة، وفجأة وجدت نفسي في مشهد عجيب. رأيت عددًا كبيرًا من الناس يقفون خلف سياج. النساء في صف، والرجال في صف آخر. وكان أمامهم بستان أخضر جميل جدًا، وكأنهم يريدون الدخول إليه.

وبجانب السياج كان يقف رجل طويل القامة، يلبس لباسًا كرديًا وعلى رأسه عمامة كردية. فسألت الذين في الصف:

لِمَ هذا الصف؟

فقالوا: نريد أن ندخل هذا البستان.

فقلت: فلماذا لا تتحركون؟

قالوا: ذلك الرجل لا يسمح لنا.

فتقدمت نحوه منزعجة وقلت له:

يا سيدي، هل هذا البستان ملكك؟

ابتسم وقال:

هذا البستان ليس لي، ولكن ما لم أسمح أنا، فلن تستطيعوا الدخول إليه.

فقلت:

إذن لماذا أبقيتنا منتظرين؟ لماذا لا تسمح لنا بالدخول؟

فقال:

يجب أن يأتي دوركم. كل شخص يدخل في وقته.

فقلت متعجبة ومعترضة:

ومن أنت أصلًا حتى تقف في الطريق؟

فابتسم ابتسامة أعمق وقال:

أتعلمين من أنا؟ أنا ذلك الذي طلبتِ منه المدد البارحة.

فقلت متعجبة:

أنا طلبت منك المدد؟

قال:

نعم. ألم تقولي في الذكر البارحة: "مدد يا شاه الكسنزان"؟

ثم قال في تلك اللحظة:

أنا شاه الكسنزان.

وعندما سمعت هذه الكلمات، استيقظت فجأة من النوم ».

وكان الأمر العجيب أن هذه السيدة كانت قد أخذت الطريقة حديثًا، ولم تكن تعرف شيئًا عن سلسلة الطريقة، ولا عن أسماء المشايخ، ولا عن مراتبهم. فقد كانت قد شاركت فقط في حلقة الذكر وكررت الذكر والاستمداد مع الآخرين، من غير أن تعلم ما للمقام العظيم لاسم **شاه الكسنزان** في الطريقة.

تأمّل ختامي

هذه الرؤيا لم تكن مجرد حلم بسيط، بل كانت صورة واضحة للنظام الإلهي، والعدالة المعنوية، ومقام أولياء الله في هداية العباد. فالبستان الأخضر رمز لرحمة الله وجنته، والصفوف تشير إلى أن الدخول إلى هذا الميدان ليس بغير حساب ولا بغير نظام. فلكل إنسان دوره، بقدر صدقه وطهارته واستعداد روحه.

وقد ظهر حضرة شاه الكسنزان (ق) في هذه الرؤيا لا بصفته مالك الجنة، بل بصفته مأمور الإذن وواسطة الرحمة الإلهية، إشارة إلى هذه الحقيقة أن أولياء الله هم حراس أبواب الرحمة، لا أصحابها. إنهم يأذنون، ولكنهم لا يملكون من أنفسهم شيئًا، فكل شيء من الله.

ولعل أجمل رسالة في هذه الرؤيا أن الإنسان، حتى وإن كان في بداية الطريق، إذا ذكر الله بصدق القلب فإن صوته يُسمع. وتُعرَف روحه، وإن لم يكن عقله قد عرف بعد.

وفي الطريقة، تبدأ المعرفة دائمًا من القلب، لا من كثرة المعلومات.

الرواية 23 – لقاء نوراني؛ تأكيد طريق الطريقة

رواية لإحدى سالكات الطريقة

منذ طفولتي كان في قلبي حبٌّ ومودّة عجيبة تجاه حضرة أمير المؤمنين علي (ع)، وكنت دائمًا أتمنى أن أتشرف يومًا برؤيته في المنام. وقد بقي هذا التمني سنواتٍ طويلة يعيش في قلبي.

وبعد أن دخلتُ أنا وإحدى زميلاتي في العمل — وكانت مثلِي امرأة متديّنة ملتزمة بالأحكام الشرعية — إلى الطريقة، تركت هي الطريق بعد مدة، وبدأت بكلامها السلبي والمليء بالشكوك تحاول باستمرار أن تُثنيني أيضًا. ومع أنني في تلك الأيام كنت أعيش حالة روحية طيبة جدًا وأشعر بسكينة عميقة، إلا أنني تأثرت بكلامها، وخوفًا من أن يتضرر إيماني، قررت أن أترك الطريقة.

وفي تلك الليلة نفسها، قريبًا من أذان الفجر، رأيت رؤيا غيّرت مسار حياتي. رأيت حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) جالسًا على سجادة الصلاة، وكان حضرة أمير المؤمنين علي (ع) واقفًا بالقرب منه. وكان هذان العظيمان يتحدثان معًا

بمودة وألفة كأنهما أخوان قريبان. وكنت أنا أقف على مسافة قليلة منهما. فناداني حضرة الشيخ وقال« :يا ابنتي، تعالي إلى هنا ».ثم عرّفني إلى حضرة علي وقال« :هذه من دراويش الطريقة».

فنظر إليّ حضرة علي – وكأنه كان يعلم بمحبة قلبي وتعلقي به – بابتسامة دافئة مملوءة باللطف، وقال:

«يا ابنتي، من الآن فصاعدًا لن تريني، ولكنني سأكون معك دائمًا».

وفي تلك اللحظة استيقظت من النوم، وكان قلبي مملوءًا بالسكينة والاطمئنان والنور.

وفي اليوم التالي عندما ذهبت إلى العمل، جاءت تلك السيدة مرة أخرى إليّ وبدأت تتحدث. لكنني هذه المرة قلت لها بحزم:

«إن حاولتِ مرة أخرى أن تتكلمي ضد طريقتي، فستسمعين مني ردًّا حازمًا».

وفي تلك اللحظة أدركت أن الشك قد زال تمامًا من قلبي.

وكان أمرٌ واحد يشغل ذهني مدة طويلة: لماذا في تلك الرؤيا، مع أن حضرة علي (ع) كان واقفًا، كان حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) — مع أن مقامه الظاهر أدنى — جالسًا ولم يقم احترامًا له؟ لقد كان هذا الأمر يثير عجبي، حتى سمعت بعد ذلك أن حضرة الشيخ محمد المحمد قال:

«في يومٍ من الأيام ظهر لي حضرة رسول الله ﷺ بصورة نور، فحلّ في وجودي حلولًا نورانيًا».

وعندها أدركت أن حضرة الشيخ ربما كان في تلك الرؤيا في حالةٍ يتجلى فيها نور حضرة النبي الأكرم ﷺ في وجوده، وأن ذلك المشهد كان من لحظات تجلي النور النبوي.

ومنذ ذلك الحين أصبحت تلك الرؤيا بالنسبة لي ليست مجرد علامة على تأكيد طريق الطريقة، بل عهدًا إلهيًا أحفظه في قلبي إلى نهاية عمري إن شاء الله.

تأمّل ختامي

إن ما ذكرته هذه السيدة في ختام روايتها حقيقة دقيقة ومتجذّرة في كلمات حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) نفسه.

فقد نقل حضرته في حياته مرارًا وبصراحة أنه في يوم من الأيام تجلّى له حضرة رسول الله ﷺ على هيئة نورٍ عظيم، ودخل ذلك النور إلى وجوده المبارك من طريق الفم والأنف؛ تجلٍّ لم يكن رؤيا عادية، بل كان شهودًا روحيًا وحضورًا حقيقيًا.

كما كان حضرة الشيخ يقول للدراويش:

«لقد أخذتُ الطريقة مرة من والدي الشيخ عبدالكريم (ق)، ومرة أخرى وصلت يدي إلى يد حضرة رسول الله ﷺ، والله سبحانه وتعالى شاهد على ذلك. ولذلك فإنكم — أيها الدراويش — قد تلقيتم نور الطريقة مرتين».

وهذا القول يبيّن المقام الخاص الذي انتقلت من خلاله الطريقة إلى السالكين؛ مقامًا يمتزج فيه الارتباط الظاهر بسلسلة المشايخ، مع الارتباط الباطني المباشر بالحقيقة النبوية. ومن هنا فإن الدرويش لا يكون وارثًا لتقليد مشايخ الطريقة فحسب، بل يكون أيضًا مستفيدًا من نورٍ جذوره في الاتصال المباشر بحضرة رسول الله ﷺ.

وهذا المعنى يدل على أن الطريقة ليست مجرد سلسلة تعليمية أو روحية، بل هي جريان حيّ من النور النبوي ينتقل من قلبٍ إلى قلب؛ نور أشرق على وجود الدرويش مرتين:

مرة عبر سلسلة مشايخ الطريقة،

ومرة أخرى من منبع الحقيقة المحمدية ﷺ.

الرواية 24 – معرفة قطب الزمان في حرم الإمام الحسين

رواية لأحد سالكي الطريقة

منذ سنوات كنت قد أخذت بيعة الطريقة الكسنزانية، لكنني لم أكن أعدّ نفسي ملتزمًا التزامًا جديًا بتعليمات الطريقة. كنت دائمًا في تردد بين المشايخ والطرق المختلفة، ولم أكن في أورادي وسلوكي العرفاني تابعًا لقاعدة واحدة ثابتة. ومع ذلك كنت كثير العبادة، وكانت في قلبي محبة عميقة لأهل البيت والصالحين.

وكان همّي الدائم معرفة قطب الزمان وغوثه. كنت أفكر فيه دائمًا، وأبحث عنه، وأسأل رب العالمين بإلحاح أن يهديني إليه وأن يعرّفني وارث هذا الزمان الحقيقي. وكانت زيارة حضرة الإمام الحسين (ع) جزءًا لا يتجزأ من حياتي، وقد تشرفت بزيارة مرقده الشريف مرات عديدة.

وفي زيارتي الأخيرة، سألت حضرة الحسين بإلحاح وتضرع شديدين أن يدلّني على قطب زماني ووارثه. وفي الحرم نفسه غلبني النوم.

فرأيت في المنام أنني في حرم عظيم واسع. ورأيت حضرة رسول الله ﷺ بهيبة عظيمة ونور باهر وجلال لا يوصف، جالسًا على كرسي مهيب. وعن يمينه ويساره كان جميع أهل البيت حاضرين، بوقار كامل وهيئة روحانية وعظمة ظاهرة.

فتقدمت إليهم بمنتهى التواضع والخضوع. وخفضت رأسي وعيني، ووقعت على الأرض، واقتربت من حضرة رسول الله ﷺ وقبّلت قدميه المباركتين. فقال لي بلهجة مملوءة بالمحبة:

«يا بني، وارثي وابني في هذا الزمان من العراق؛ وذلك الشيخ محمد الكسنزان. هو قطب الإرشاد في هذا الزمان».

وفي تلك اللحظة رفعت رأسي، فرأيت أن الكرسي الذي كان يجلس عليه حضرة رسول الله ﷺ قد صار يجلس عليه حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، وكان عن يمينه حضرة أمير المؤمنين علي (ع) واقفًا.

فنهض حضرة أمير المؤمنين بسرور ظاهر، وعانق حضرة الشيخ وقال:

«هو ابني، وهو روحي، ومن لحم دمي».

وفي تلك اللحظة، من شدة العظمة والنور والسرور، فقدت السيطرة على نفسي وانفجرت بالبكاء. وانهمرت دموعي شوقًا لرؤية غوث الزمان وقطب الإرشاد، الشيخ محمد الكسنزان الحسيني (ق)، والله شاهد أن فرحي لم يكن إلا من أجل ذلك. وبعد هذه الرؤيا الواضحة القاطعة لم يبقَ في قلبي أي شك. فجددت بيعتي بوعي ويقين كاملين على يد أحد مرشدي الطريقة، ووجدت الطريق الذي كنت أبحث عنه منذ سنوات .

تأمّل ختامي

في هذه الرواية، لا تكمن الكرامة في رؤية الوجوه والمقامات العالية، بل في نهاية حيرة الروح. إنسانٌ قضى سنواتٍ في العبادة، وحمل في قلبه محبة أهل البيت، لكنه كان في سلوكٍ متفرّقٍ غير مستقر، يصل أخيرًا إلى جواب السؤال الذي كان متجذرًا في أعماق روحه: من هو قطب زماني؟

وتبيّن هذه الكرامة أن كثرة العبادة لا تُغني عن وحدة الطريق. فالقلب الباحث، مهما كان طاهرًا ومشتاقًا، لا يهدأ ما لم يتصل بمحور زمانه. وما حدث في هذه الرؤيا لم يكن إضافةً إلى المعتقدات، بل كان توجيهًا لها، انتقالًا من التشتت إلى التركيز، ومن البحث الذهني إلى المعرفة القلبية.

إن حضور الرسول ﷺ وأهل البيت، والتعريف الصريح بوارث الزمان، يعبّر عن هذه الحقيقة: إن سلسلة الهداية غير منقطعة. فقطب كل زمان ليس منفصلًا عن الماضي، بل هو امتداد لذلك النور الذي ينتقل من جيلٍ إلى جيل، ومن قلبٍ إلى قلب.

وهذه الكرامة تذكّر بأن الإنسان عندما يسأل بصدقٍ كامل ويُلحّ في طلبه، فإن الجواب يأتي؛ لا غامضًا ولا مزدوج المعنى، بل واضحًا قاطعًا. وعندما يأتي الجواب، فلا يبقى مجالٌ للتنقل بين الطرق. فالطمأنينة ثمرة معرفة القطب، وبعدها فقط يأخذ السلوك معناه الحقيقي.

الرواية 25 – بيتٌ كان أمانة

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كنا قد تشرفنا، مع جمعٍ من الدراويش، بزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وكان معنا أحد الدراويش، له شعر درويشي طويل، رجل ملتزم هادئ، وكان يعمل في مصنعنا. وكان قد تزوج حديثًا وجاء مع زوجته، ولكنهما كانا يواجهان مشكلة جدية في السكن.

بعد الزيارة جاء إليّ. كانت عيناه مملوءتين بالدموع، وقال بصوتٍ مرتجف:

«في قلبي طلبت من حضرة الشيخ أن يهيئ لنا بيتًا... مجرد مأوى كريم».

وبعد مدة قصيرة من عودتنا، عرض عليه أحد معارفه قطعة أرض كبيرة. هذا الشاب لم يكن يملك مالًا نقديًا، ومع ذلك اشترى الأرض من غير أن يدفع شيئًا، بل بعدة شيكات مؤجلة.

وبعد شهرين فقط، وبسبب تغيير حدود المدينة، دخلت تلك الأرض ضمن منطقة البناء، فارتفع ثمنها فجأة إلى أربعة أضعاف.

فباع نصف الأرض، وبالمال الذي حصل عليه لم يسدد ديونه كلها فحسب، بل بنى على النصف الآخر الذي بقي عنده بيتًا جميلًا فخمًا. لقد استُجيبت دعوته في ذلك اليوم؛ بيتًا يفوق حتى ما كان يتصوره.

لكن القصة لم تنته هنا.

بعد مدة، وبسبب مخالطته لعائلة زوجته، بدأ هذا الشاب يبتعد شيئًا فشيئًا عن الطريقة. قصّ شعره الدرويشي، وبدأ

يشرب الخمر، وفقد التزامه القلبي بالطريق. وخيانة الطريقة سرعان ما ظهرت في صورة أخرى: خيانة زوجته.

فلم يمض وقت طويل حتى أقامت المرأة علاقة مع رجل آخر، وطلبت الطلاق، وباستخدام مهرٍ كبير كان يساوي تمامًا قيمة ذلك البيت، استولت على الملك. البيت الذي جاء بكرامة، ضاع بالخيانة.

وفي يومٍ من الأيام جاء هذا الشاب إليّ مضطرب الحال. كان يبكي وقال:

«لقد أخذوا بيتي مني»...

فقلت له« :من؟»

قال« :زوجتي».

فقلت له:

«لا... شيخ الطريقة هو الذي فعل ذلك.

أتذكر اليوم الذي جئت فيه إليّ باكيًا وقلت ماذا طلبت من حضرة الشيخ؟

لقد طلبت بيتًا، وقد أخذت البيت.

لكنّك لم تحفظ الأمانة».

فجأة أصبح وجهه شاحبًا كالجص. وظل صامتًا مدة طويلة، كأن حقيقة ثقيلة قد نزلت على قلبه.

وكان في أمر زوجته أيضًا شيء عجيب. فقد كانت امرأة لم تؤمن بالطريقة قط، ثم بعد ذلك استولت على البيت بالخيانة والحيلة والرشوة.

ومنذ اليوم الذي جاءت فيه إلى تكية حضرة الشيخ (ق)، وحتى رجوعنا من السليمانية، لم تستطع أن تأكل لقمة واحدة من طعام التكية. فكلما تناولت لقمة أصابها الغثيان فورًا وتقيأت. وكان زوجها يضطر إلى إخراجها من التكية لتناول الطعام.

في تلك الأيام كانت تبدو في الظاهر عروسًا بريئة هادئة، لكن مع مرور الوقت انكشف وجهها الباطني؛ إنسان لا يحتمل الكرامة، ولا ينسجم نور الطريقة مع طبيعته.

تأمّل ختامي

الكرامة ليست في العطاء فقط؛
أحيانًا تكون في الاسترداد.

الكرامة ليست في إعطاء البيت فقط،
بل في أخذ البيت من صاحبه الذي لم يحفظ الأمانة.
شيخ الطريقة أعطاه ما طلب،
لكن عندما انفصل القلب عن الطريق، تحولت تلك النعمة إلى مرآة للمحاسبة.
بيتٌ جاء بالدعاء،
وضاع بالغفلة؛
ليُعلم أن الكرامة ليست ملكًا ولا جدرانًا،
بل ثبات القلب على العهد مع الله.

الرواية 26 – طريقٌ فُتح في الزحام

رواية لأحد سالكي الطريقة

عندما كان والدي عازمًا على السفر لأداء الحج، أعطيته صورة لأستاذ الطريقة، حضرة الشيخ محمد الكسنزان (ق)، وقلت له:
«عندما تقع عيناك على بيت الله الحرام، فاذكر أستاذنا».

تقبل والدي هذا الكلام بقلبه، وانطلق في سفره.

وأثناء الطواف واجه ازدحامًا شديدًا من الناس؛ حتى إن الاقتراب من بيت الله الحرام كان يبدو أمرًا شبه مستحيل. وفي تلك اللحظة أخرج صورة شيخ الطريقة، وقال في قلبه:

«يا أستاذ، إن كانت لك قدرة، فاجعل يدي تصل إلى بيت الله الحرام».

ولم تكد هذه الكلمات تتم في قلبه حتى انفتح فجأة طريق في وسط ذلك الزحام الشديد. تفرّق الناس، ووجد نفسه – من غير أن يدري كيف – قد وصل إلى جوار بيت الله الحرام، فزار البيت بشوق ودموع.

وبعد أن أنهى الطواف وابتعد عن البيت، قال في نفسه:

«ليتني طلبت من أستاذ الطريقة أن يرزقني توفيق صلاة ركعتين أيضًا بجوار بيت الله الحرام».

وفي تلك اللحظة اصطدم أحد الحجاج بصدر والدي اصطدامًا شديدًا. فسقط والدي على الأرض وفقد وعيه.

وعندما أفاق، وجد أنهم قد نقلوه إلى حِجر إسماعيل – بجوار بيت الله الحرام – وأضجعوه على جداره القصير حتى

يستعيد عافيته. وما إن عاد إليه وعيه حتى دخل إلى داخل حِجر إسماعيل، وبسكينة كاملة صلى ركعتين بجوار بيت الله الحرام. فما تمناه في قلبه تحقق له بطريقة عجيبة، من غير أن ينطق به بلسانه.

الرواية 27 – كأس اللبن الذي جاء قبل السؤال

رواية لأحد سالكي الطريقة

في أول دورة كسنزانية كانت تُقام في التكية الرئيسية في بغداد، كلّف حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) أحد العلماء البارزين — من بين العلماء والأساتذة الجامعيين — بتدريس علم الحديث.

وكان أستاذ الحديث هذا يروي بنفسه قصة طريفة عن بداية تعرّفه إلى حضرة الشيخ.

كان يقول:

«كنتُ عالم دين في سوريا لسنوات، ثم ذهبت إلى السعودية وأقمت هناك مدة، وبعد ذلك جئت إلى العراق.

وفي العراق قالوا لي إن هناك شخصًا يُدعى الشيخ محمد الكسنزان، وهو شيخ طريقة، ومن السادة ومن أهل بيت النبي ﷺ. لم أكن أعرفه، فقلت في نفسي: ينبغي أن أختبره بنفسي لأعرف هل هو على حق أم لا».

ثم كان يضيف:

«وأنا في الطريق إلى لقائه قلت في نفسي: إن كان هذا الرجل حقًا على الحق، فسأطلب من الله أنه بمجرد أن أدخل، يُقدَّم لي كأس من اللبن».

ثم كان يبتسم ابتسامة ذات معنى ويقول:

«في حيّ مثل حيّ القضاة في بغداد — حيث كان يقيم حضرة الشيخ — لم يكن من العادة أن يُقدَّم اللبن للضيوف. عادةً كانوا يقدّمون الماء أو الشراب، لا اللبن».

ثم قال:

«دخلت، وسلّمت وجلست. ولم تمضِ إلا لحظات حتى دخل الخادم يحمل صينية، ووضع أمامي كأسًا من اللبن وقال:

هذا الكأس من اللبن من طرف باجي أم نهرو، زوجة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان».

وكان أستاذ الحديث يقول:

«فارتجف جسدي ارتجافًا شديدًا حتى لم أستطع أن أتمالك نفسي. وضعت الكأس على الأرض وصرخت بصوت عالٍ:

الله أكبر!

إذا كانت نساء هذا البيت هكذا، فكيف يكون رجالهم؟»

وفي تلك اللحظة سقطت كل شكوكه. لم يسأل سؤالًا، ولم يبقَ مجالٌ لامتحان. فقد جاءه الجواب قبل أن ينطق بالسؤال، في صورة كرامة واضحة.

الرواية 28 - حين كُسرت الحرمة

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كان أحد الدراويش يعمل مساعدَ مصوّر في شركة تصوير، فجاءني يومًا وقال إنه مضطر بسبب مشروعٍ ما أن يذهب مدةً إلى معسكر في قلب الصحراء، ولن يتمكن بعد ذلك من الحضور إلى التكية كل أسبوع، وإنما سيأتي فقط في أيام إجازته.

وفي المرة الثانية التي رأيته فيها، لم يكن في حالٍ طيب. قال بحزن:

«في ذلك المعسكر أصبح شرب الخمر، وتعاطي المخدرات، والعلاقات غير المشروعة أمرًا عاديًا. الجو ملوث جدًا، وأنا تحت ضغط شديد. ماذا أفعل؟»

فقلت له:

«البقاء في مثل هذا المكان — وأنت أعزب — أمر خطير جدًا. اطلب نقلًا إلى مكان آخر ولا تعد إلى هناك».

لكنه لم يقبل.

وبعد مدة جاء مرة أخرى، فرأيت أنه قصّ شعره الدرويشي الطويل، واختفت من وجهه تلك الهيبة والوقار اللذان يُعرفان بـ«هيبة الدرويش». لقد كان حقًا كأن نمرًا مهيبًا قد تحوّل إلى قطٍ عادي؛ القوة التي كانت في نظره قد خمدت.

بعد ذلك لم أره مرة أخرى.

لكن بعد مدة نقل ابن خالته — وكان من الدراويش الصالحين الملتزمين في التكية — حادثةً تجعل الإنسان يرتجف عند سماعها.

قال:

«في يومٍ عاد فيه ابن خالتي من إجازته، ذهبت إلى بيت خالتي لزيارته. كان جالسًا خلف الكمبيوتر يعمل. فوقعت عيني على دفٍ معلّق على الجدار، دفٍ كان يحمل شعار الطريقة.

فقلت له:

يا أخي العزيز، أليس هذا مؤسفًا؟ كنت درويشًا صالحًا، تضرب الدف وتذكر الله، والآن تركت كل شيء فجأة؟

فما إن قلت ذلك حتى لوّح بيده نحوي بغضب وقال:

«دعك من هذا يا أخي»!

ولم تكد آخر كلمة تخرج من فمه حتى انفجر الدف المعلّق على الجدار فجأة بصوتٍ غريب.

تكسّر الإطار الخشبي من حوله قطعًا.

وتمزّق جلد الدف – الذي كان عليه شعار الطريقة – تمزقًا كاملًا، حتى لم يبقَ من ذلك الشعار أي أثر.

كأن الطريقة في تلك اللحظة قد أجابت على كسر الحرمة.

تأمّل ختامي

الطريقة ليست ذكرًا ولا لباسًا ولا ظاهرًا فقط؛ إنها حرمة.

ما دام القلب في الحرمة،

فللأشياء حرمتها أيضًا،

والدف يذكر الله،

ويبقى شعار الطريقة محفوظًا.

لكن حين ينطلق اللسان بغير أدب،
وينفصل القلب عن الطريق،
حتى الرموز لا تحتمل البقاء.
ذلك الدف لم يكن مجرد آلة؛
بل كان مرآة أظهرت أن الطريقة لا تنسجم مع قلة الحرمة.

الرواية 29 – الختم بين العينين؛ علامة لا تُنسى

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

انضمّ أحد مهندسي شركتنا إلى الطريقة قبل سنوات عديدة. وبعد مدة، وبسبب مشكلات في العمل، ترك الشركة، ومع مرور الوقت انقطع ارتباطه بي وبالطريقة انقطاعًا كاملًا. واستمر هذا الانقطاع نحو ست سنوات؛ من غير خبر، ومن غير أثر.

وبعد مضي هذه السنوات، اتصل بي يومًا وقال إنه يرغب في لقائي وتجديد طريقته. وعندما جاء إليّ، سألني قبل أن يقول شيئًا:

«أتريد أن تعرف لماذا عدت بعد ست سنوات؟»

ثم قال:

«قبل مدة، كنت مع نحو عشرين مهندسًا من شركتنا في رحلة عمل إلى كردستان لمشروع كبير. وفي وقت الظهر كنا جميعًا نجلس في مطعم لنتناول الغداء. فجأة دخل رجل كردي مسن إلى المطعم. ومن غير تردد اتجه مباشرة نحوي. وقف أمامي، وقبّل ما بين عينيّ، ثم قال:

أنت أخي. كلما جئت إلى هذه المدينة فاتصل بي وتعال مباشرة إلى بيتنا.

ثم أصرّ أن يعطيني رقم هاتفه وخرج من المطعم».

ثم تابع حديثه: «كان جميع المهندسين يسألونني بدهشة: ما صلة هذا الرجل بك؟ ولماذا جاء إليك وحدك بين كل هؤلاء؟ في تلك اللحظة فهمت فجأة أن الطريقة التي أخذتها قبل ست سنوات لم تكن أمرًا ظاهريًا أو شعورًا عابرًا، بل كانت حقيقة جارية كنت أنا الغافل عنها».

وكان أكثر ما يشغل ذهنه تلك القبلة التي وضعها ذلك الدرويش المسن بين عينيه؛ حركة بسيطة، لكنها مملوءة بالمعنى.

وفي هذا السياق كنت قد سمعت قبل سنوات حكاية، لا أدري إلى أي حد يمكن الجزم بدقة تفاصيلها التاريخية، لكن معناها عميق ويستحق التأمل. يُروى أنه في زمن الشيخ عبدالكريم الكسنزان عرّفوا أحد الدراويش عليه وقالوا« :هذا من دراويش والدكم شاه قادر».

فنظر الشيخ إليه وقال:

«لا، هذا من دراويش أخي شاه حسين».

فتعجب الحاضرون وقالوا: «سيدي، كيف عرفتم ذلك؟»

فأشار الشيخ إلى الدراويش وقسّمهم إلى ثلاث مجموعات، وقال:

«هذه المجموعة بايعتني، وهذه المجموعة بايعت أخي شاه حسين، وهذه المجموعة بايعت والدي شاه قادر».

وعندما ألحّ الخلفاء المقرّبون عليه بالسؤال عن طريقة هذا التمييز، قال: «أنا أعرفهم من الختم الذي بين أعينهم».

الرواية 30 – وداع في سكينة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

أصيب والدي بجلطة، وكان في حالة غيبوبة. فانطلقنا لزيارته إلى المدينة التي كانت عائلتي تسكن فيها. وفي الطريق، وأثناء قيادتي للسيارة، سمعت فجأة صوت حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) – أستاذ الطريقة السابق – في أذني يقول لي: «اشترِ ماء الورد لأبيك، واغسله بماء الورد».

وعندما وصلنا إلى أول مدينة في الطريق – وكانت مصادفة مدينة مشهورة بإنتاج ماء الورد – توقفت لأشتري ماء الورد. اعترضت زوجتي بقلق شديد وقالت: ربما تخيّلت ذلك، وقد يبقى والدك حيًا. هذا العمل قد يسبب حزنًا بين الأقارب.

فقلت لها:

«عندما يصدر مثل هذا الأمر من أستاذ الطريقة، فمعناه أن والدي لن يبقى في هذه الدنيا».

وعلى الرغم من قلق زوجتي اشتريت ماء الورد وواصلنا الطريق.

بقيت ثلاثة أيام إلى جانب والدي. وفي الليلة الأخيرة جلست قرب سريره حتى قبيل السحر، وكنت مشغولًا بذكر أوراد الطريقة. ثم غلبني التعب فذهبت إلى الفراش لحظات.

وبعد مدة قصيرة رأيت في المنام حضرة الشيخ (ق) يقول لي: «انهض، واذهب إلى رأس أبيك، واقرأ سورتي يس والصافات حتى تسكن روحه».

فقمت مسرعًا من النوم، وأيقظت جميع أفراد العائلة، فاجتمعنا عند سرير والدي. وبدأت بتلاوة القرآن. ولمّا كان صدى آخر آية من سورة الصافات ما يزال يتردد في المكان، أخذ والدي نفسًا عميقًا ثم سلّم روحه بهدوء إلى بارئها.

وداعٌ بلا ضجيج، في سكونٍ وذكر؛

كأن روحًا عاشت سنوات في هذا العالم وجدت طريقها إلى مقصدها، في مرافقة هادئة.

الرواية 31 – عودة من العتبة

رواية لإحدى سالكات الطريقة

أبلغ من العمر نحو ثلاثين عامًا. قضيت سنوات طويلة من حياتي في الهند، في معابد مختلفة، وبين دروس موسيقى السيتار ومدارس التصوف الهندية. ومن حيث الحياة المادية لا أعاني من نقص، كما أن وضعي الاجتماعي مرفه. لكن الحقيقة أنني قبل التعرف إلى الطريقة، وبسبب معتقدات عائلتي، لم أكن أعرف شيئًا عن الإسلام، بل كنت عمليًا غريبة عنه.

وفي تلك السنوات التي قضيتها في الهند، اتخذت ثلاث مرات قرارًا جديًا بترك الإسلام والانضمام إلى المدارس الروحية الهندية. لكن في كل مرة، وفي اللحظة الأخيرة، كان يحدث أمر غير متوقع يقلب كل شيء.

ففي مرة، مرض الأستاذ الذي كان سيقبلني تلميذة لديه فجأة وأُلغي موعدنا. وفي مرة أخرى تعطلت الوسيلة التي كان من المفترض أن تقلني إلى المعبد. وفي المحاولة الأخيرة،

عندما تمكنت من لقاء أحد كبار الأساتذة، ما إن علم أنني مسلمة حتى رفض قبولي وقال:

«لماذا تريدين، وأنت مسلمة، أن تتركي دينك؟ نحن نحتاج إلى أن نعود إلى الحياة مرات كثيرة حتى نصل إلى المقام الذي أنتم فيه. أنتم في المرحلة الأخيرة، ولا تعادون إلى الوراء».

وبعد نحو خمس سنوات من الإقامة في الهند عدت إلى بلدي. ولم تمضِ مدة طويلة حتى بدأت أشعر بآلام حادة في ظهري، وضعف في ساقيّ، وتراجع في بصري. وكان والدي جراحًا، فأخذني إلى أحد أصدقائه الأطباء. وكان التشخيص صادمًا:

التصلّب المتعدد الحاد.(MS)

قالوا لي إن فرص بقائي على قيد الحياة ليست كبيرة، بسبب صغر سني وسرعة تقدم المرض.

ولم يلبث توقع الطبيب أن يتحقق. فقد شُلّت ساقاي، وفقدت البصر في إحدى عينيّ، وأصبحت أرى بعينٍ أخرى

رؤية ضبابية. وأُدخلت إلى أحد المستشفيات الخاصة – وكان والدي من المساهمين فيه.

وبسبب حساسية تجاه أحد الأدوية، تعرضت عند أول حقنة لرد فعل شديد...

وفارقت الحياة.

فجأة رأيت نفسي خارج جسدي.

كنت أشعر أنني معلّقة في الهواء قرب سقف الغرفة، وأنظر من الأعلى إلى جسدي الأصفر الساكن الملقى على السرير. لم أر فيه أي علامة للحياة. لمست نفسي؛ كنت كالبخار، سيّالة بلا وزن. ضربت يدي على ذراعي؛ فمرت يدي من خلالها. وضعت يدي على بطني؛ فمرت أيضًا.

ارتفعت إلى الأعلى، ومررت عبر سقف الغرفة. رأيت الطابق الذي فوقي؛ كانت هناك امرأة تلد، والطبيب ومساعدوه يعملون بجد. ارتفعت أكثر، فرأيت سطح المستشفى والمباني المحيطة.

قلت في نفسي:

أريد أن أصعد أعلى... إلى المكان الذي خلقه الله،
أريد أن أرى هل ما يقولونه عن الموت والقيامة حقيقة أم لا.

فجأة دفعتني قوة غامضة إلى الحركة. كنت أندفع بسرعة لا توصف عبر ممرات من نور، ممراً بعد ممر. يصعب عليّ وصف ذلك، كأنني كنت أنتقل من بُعد إلى بُعد آخر.

أمامي رأيت جدارًا عاليًا، مبنيًا بآجر ذهبي، وفيه باب عظيم لامع يشبه أبواب القلاع. وعلى الباب نقوش بارزة جميلة محفورة. وكان يأتي من خلفه عطر أزهار لا يشبه أي عطر أرضي.

كنت أشعر أنني تحت مراقبة كائنات عظيمة روحانية. فسألت:

أين أنا؟

ومن غير أن أرى أحدًا أو أسمع صوتًا، أُلقي المعنى مباشرة في قلبي:

«هذا مكان كل شيء فيه معكوس عن الأرض».

قلت: ماذا يعني ذلك؟

ففُهِمْت أن بنية هذا العالم معكوسة عن العالم المادي.

قلت: هل يمكنني الدخول؟

قيل لي: «يمكنك، لكنك لن تجد فيه راحة».

قلت: لماذا؟

قيل لي: « لأنك لم تفعلي شيئًا لدينك».

قلت متعجبة: ديني؟ أي دين؟ هل تقصدون الهندوسية؟

فأشير إليّ أن أنظر إلى أعلى الباب. رفعت رأسي فرأيت مكتوبًا بخط ذهبي بارز:

لا إله إلا الله، محمد رسول الله

خط قديم عربي بلا حركات.

وفجأة تغيّر المشهد. رأيت أساتذة هنودًا كنت قد رغبت قبل سنوات أن أبايعهم. تقدموا واحدًا بعد الآخر، ووضعوا أصابع السبابة على جبيني، وبايعوني. كانوا يلبسون ثيابًا بألوان صفراء وبرتقالية وليمونية.

وبعدهم رأيت نبي الإسلام، حضرة محمد ﷺ. كان يرتدي ثوبًا بلون بنفسجي، وكما أن اللون البنفسجي أعلى ألوان

الطيف، كان مقامه أعلى من الجميع. جثوت أمامه على ركبتيّ وتوسلت إليه أن يعيدني إلى الأرض. فأومأ برأسه موافقًا.

وعادت تلك القوة نفسها، ولكن بسرعة أكبر، فأرجعتني.

عندما فتحت عينيّ، كنت على سرير المستشفى. وكانت ممرضتان تقفان بقلق فوق رأسي. قالت إحداهما بهدوء: الحمد لله، لقد عادت.

سألت: ماذا حدث؟

قالت الممرضة المسؤولة: لم يحدث شيء، لقد أظهرتِ حساسية تجاه الدواء.

نظرت إلى أمي التي كانت تبكي بجانبي وقلت:

«أمي، خذي هذه الأصنام وارميها بعيدًا».

نزعتُ السبحة التي كنت أضعها في عنقي، وقلت:

«أحضري لي سبحة لأذكر بها الله وأصلّي على النبي».

وبعد ثلاثة أيام من خروجي من المستشفى، بينما كنت في حزن عميق، تعرّفت — عن طريق أحد أصدقائي — إلى الطريقة الكسنزانية، وأخذت الطريقة.

وبفضل الله وهمّة شيخ الطريقة، بدأت أعراض مرضي تتراجع بسرعة، وبعد عدة أشهر شُفيت من مرض التصلّب المتعدد.

وعندما عرضت نتائج الفحوصات الأخيرة على طبيبي، ظل يقلب الأوراق نحو نصف ساعة. ثم قال بدهشة وعدم تصديق:

« مرضك تحسّن تحسّنًا معجزًا بنسبة ثمانيةٍ وتسعين في المئة».

ومن شدة الفرح، بدأت أصرخ في عيادته كالمجنونة.

تأمّل ختامي

في هذه الرواية لا تتجلّى الكرامة في شفاء الجسد فحسب، بل في إعادة توجيه الروح أيضًا. رحلة بدأت بين المعابد والمدارس والبحث المتفرّق، توقفت عند عتبة نُقش عليها اسم الله ورسوله. وما يزيد هذه التجربة عمقًا أنّ الراوية لم تكن على معرفة سابقة بالنصوص الدينية، وهي إشارة تدلّ

على أن ما انطبع في قلبها لم يكن من الذاكرة، بل من حقيقةٍ أسمى.

تذكّرنا هذه الكرامة بأن الهداية قد تبدأ أحيانًا عبر المرض، وأحيانًا عند حافة الموت، وأحيانًا من عودةٍ لم يكن الإنسان يتوقعها. وربما كان على بعض الناس، قبل أَن يبلغوا مقصدهم، أن يصلوا إلى حدوده أولًا؛ ليعرفوا من أين يبدأ الطريق.

الرواية 32 – شفاء سرطان الثدي

رواية لإحدى خليفات الطريقة

كانت والدتي مصابة منذ مدة بسرطان الثدي، لكنها – بدافع المحبة والشفقة – لم تسمح لي ولا لأخي أن نعلم بذلك. فقد تولّت هي ووالدي وحدهما مراجعة الأطباء وإجراء الفحوصات والتصويرات اللازمة حتى يتأكدا تمامًا من التشخيص.

وبعد أن استقر رأي الأطباء على ضرورة إجراء عملية جراحية لاستئصال الورم، أخبرانا بالأمر. وعلى الرغم من القلق الطبيعي، وافقنا جميعًا على إجراء العملية متوكلين على الله.

وقبل الجراحة طلبنا الدعاء من حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (ق). فقال بهدوء عميق:

«إن شاء الله سيكون الأمر على خير».

والحمد لله، أُجريت العملية بنجاح. وبعد مدة راجعت والدتي الطبيب للفحص مجددًا، لكن الطبيب بعد المراجعة

قال إن هناك احتمالًا أن يكون المرض قد انتشر، وأنه لا بد من إجراء تصوير شامل لتحديد الوضع بدقة. وكان لهذا الكلام أثر كبير من القلق والحزن في قلب والدتي.

في تلك الأيام طلبت مرة أخرى من حضرة الشيخ ذكرًا خاصًا. فقال بثقة:

«هذا التشخيص غير صحيح، أمك سليمة».

فبدأت أنا وبعض الأصدقاء نذكر ذلك الذكر بعددٍ محدد، بقلوب مليئة باليقين. وخلال تلك الأيام كنت أدعو باستمرار، وأطلب في خلوتي من مشايخ الطريقة أن يأتوا إلى والدتي في المنام، ويشفوها، ويقولوا لها:

«لقد شُفيتِ».

وبسبب عطلة استمرت نحو أسبوع في البلاد، تأخر إعلان نتيجة التصوير كذلك قرابة أسبوع. وكان ذلك الأسبوع بالنسبة لي مليئًا بالدعاء والذكر والتوسل والانتظار.

وفي الليلة التي سبقت استلام النتيجة رأيت في المنام:

رأيت والدتي موضوعة على سرير، وكنا نستعد لإقامة مجلس عزاء. وفجأة فتحت والدتي عينيها. فصرخت باكية من الفرح:

«أمي عادت إلى الحياة... أمي عادت إلى الحياة»...

وفي اليوم التالي، وبعد أسبوع من الانتظار، ظهرت نتيجة التصوير. وكانت الإجابة واضحة وقاطعة:

لم يبقَ في جسد والدتي أي أثر للورم السرطاني.

وبعناية الله وتوجّه مشايخ الطريقة حصل الشفاء الكامل.

وبعد مدة كنت أتحدث مع والدتي عن هذه الحادثة. فقالت بهدوء عجيب:

«رأيت ليلةً حلمًا غريبًا. قبيل الفجر مباشرة، وقبل الأذان، سمعت صوتًا يهمس في أذني:

انهضي... لقد شُفيتِ».

وعندما سمعت هذا الكلام انهمرت دموع الفرح من عينيّ؛ لأنه كان بالضبط ما طلبته في خلوتي من مشايخ الطريقة، من غير أن أخبر والدتي بذلك يومًا.

وفي تلك اللحظة أدركت بكل كياني كم أن مشايخ هذا الطريق كرماء رحيمون عظماء؛
وكيف أنهم لا يردّون حتى دعاء عبدٍ مملوءٍ بالتقصير. الحمد لله ربّ العالمين.

تأمّل ختامي

ما يميّز هذه الرواية عن مسار علاجي عادي هو اجتماع علاماتٍ تتجاوز حدود الحس والتجربة المعتادة: إعلان الشفاء قبل ظهور نتيجة التصوير، والرؤيا الصادقة، والإلهام الذي بُشّر به المريض في السحر. هذا التوافق المعنوي بين كلمة الشيخ، والرؤيا، والإلهام، والواقع الطبي، يشير إلى نظامٍ يجري في مستوى أعمق من الحسابات البشرية.

وهنا لا تتجلّى الكرامة في نفي العلم، بل في سبق المعنى للمادة؛ كأن خبر الشفاء قد صدر أولًا في عالم الغيب، ثم تأكّد بعد ذلك في عالم الظاهر. وهذا التقدّم هو في ذاته جوهر الأمر الخارِق.

الرواية 33 – عنوانٌ للشفاء من السرطان

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في يوم جمعة، كنا نجلس في التكية مع عدد من الدراويش. وكانت تكيّتنا في ذلك الوقت تقع داخل مجمّع سكني، وكان بابها يفتح على درج المبنى. رنّ أحدهم جرس الطابق العلوي، وبعد قليل صعدت امرأتان ورجل في منتصف العمر على الدرج. ذهبوا أولًا إلى الطابق الأعلى وتحدثوا مع سكانه، ثم عادوا نزولًا. أدخلت إحدى السيدتين رأسها إلى التكية وقالت بحماس:

«تعالوا، تعالوا، إنه هنا»!

ثم قالت من غير مقدمة:

«زوجي مصاب بالسرطان. لقد أُعطيتُ في المنام عنوان هذا المكان، وقيل لي حتى الطريق المعقّد والدقيق للوصول إليه. وقيل لي: إذا أحضرتِ زوجك إلى هنا ودعوتم له، فسيُشفى. لكن هناك ملاحظة واحدة؛ قيل لنا إن المكان في الطابق الثالث، بينما هذا الطابق هو الثاني».

فقلت لها:

«في الحقيقة يُعد هذا الطابق الثالث، لأن هناك طابقًا آخر أسفل الدرج».

على كل حال، أخذ الثلاثة الطريقة في ذلك اليوم، ودعوناهم أيضًا إلى حضور الذكر الأسبوعي.

وفي اليوم التالي رأتني زوجة أخي — وكانت تسكن في الطابق الأعلى — وقالت:

«جاء أمس ثلاثة أشخاص وكانوا يصرّون على أننا يجب أن نشفي أحدهم. وكانت إحدى السيدتين تصف لي ترتيب تكيّتكم، وأرضية الباركيه، وحتى تفاصيل الديكور داخلها وصفًا دقيقًا. عندها فهمت أن المقصود هو تكيّتكم».

ومضت مدة ولم نسمع شيئًا عنهم. وبعد نحو عام، وفي أحد مجالس الذكر الأسبوعية، عادت السيدتان نفسيهما إلى التكية. وقالت إحداهما بامتنان عميق:

«بعد أن أخذنا الطريقة، شُفي زوجي شفاءً عجيبًا وفي مدة قصيرة».

الرواية 34 – سؤال ليلة القبر الأولى

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

في بيان أهمية الصلاة، أنقل حادثة عجيبة ومؤثرة رواها أحد عمّال مصنعنا، وذكرها عبرة لكل قلبٍ يقظ.

ورد في كتاب **نهج الفصاحة** عن رسول الله ﷺ قوله:

أول ما يُحاسَبُ به العبد يوم القيامة الصلاة

وجاء عنه ﷺ أيضًا:

«أفضل الأعمال عند الله الصلاة في وقتها، ثم برّ الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله»

وبالنظر إلى هذين الحديثين، تأملوا هذه الحادثة:

قبل عدة سنوات رأى أحد عمال مصنعنا في المنام أنه قد مات. رأى جسده يُغسَّل، وأهله يبكون وينوحون حوله. وكان يرى نفسه كمن يتحرك قريبًا من سقف المكان، يشاهد ما يجري من فوق. وبعد التكفين والدفن وضعوه في قبره.

وبعد لحظات جاءه ملكان بثياب بيضاء. يقول إنه لم تكن ملامحهما قبيحة ولا مخيفة، لكن هيبتهما وعظمتهما كانت بحيث استولى عليه خوف شديد.

وكان أول سؤال سألاه عن الصلاة:

«هل أديت صلواتك؟»

وكان في حياته غير ملتزم بهذه الأمور، فلم يجد جوابًا إلا البكاء. لم يقل الملكان شيئًا، بل هزّا رأسيهما؛ وكأن الجواب كان يُستخرج من أعماق نفسه لا من لسانه.

ثم سألاه مرة ثانية:

«هل أديت حق والديك؟»

فلم يكن جوابه إلا البكاء أيضًا.

ثم سألاه للمرة الثالثة:

«هل راعيت حقوق الناس؟»

وكان الجواب مرة أخرى بكاءً وصمتًا ثقيلًا.

وبعد مدة استيقظ من نومه فزعًا شديدًا.

وكان بكاؤه شديدًا حتى إن عينيه ظلتا تؤلمانه عدة أيام.

وقد قال بعد ذلك لأصدقائه:

«لقد فُهِمْتُ أنني لن أرى العيد».

وكان يفصلنا عن العيد حينها نحو ثلاثة أشهر.

ومنذ اليوم التالي تغيّرت حياته تمامًا. أقبل على الصلاة بجدية، وأكثر من العبادة، وطلب المسامحة من والديه ومن الناس من حوله. وكان هذا التغير المفاجئ شديدًا إلى درجة أن بعض زملائه كانوا يسخرون منه.

وبعد أربعين يومًا من هذه الحادثة، تعطّل مدفأ الغاز في بيته ذات ليلة. فأخذ زوجته وطفله الصغير إلى بيت والد زوجته، ثم عاد هو إلى منزله. وفي تلك الليلة نفسها مات أثناء نومه اختناقًا بالغاز.

وعندما كانوا يضعون جسده في القبر، نزل أحد إخوته الثلاثة إلى داخل القبر. فبكى أحد زملائه وذكر للحاضرين أن هذا الرجل عندما كان يروي رؤياه قال حرفيًا: **«عندما يضعونني في القبر سينزل أخي فلان إلى داخله».**

وقد وقع الأمر كما رآه في المنام تمامًا.

والأعجب أن ترتيب الأسئلة في رؤياه وافق تمامًا كلام النبي ﷺ:

الصلاة أولًا، ثم حق الوالدين، ثم حقوق الناس.

وبعد مدة كنت أذكر هذه الحادثة لشخص لا يؤمن بالصلاة وكان ينكرها بعناد. وفي تلك اللحظة دخل صديق لنا وهو طبيب، وشارك في الحديث دون مقدمات، ثم قال لذلك الرجل:

«من الأفضل أن تأخذ هذه الأمور بجدية. أحد مرضاي خرج حديثًا من الغيبوبة، وكل من يراه يقول له جملة واحدة: لا أعلم ماذا تفعلون في حياتكم، لكن لا تغفلوا عن الصلاة».

تأمّل ختامي

أحيانًا يري الله الإنسان نموذجًا من حساب الآخرة وهو لا يزال في الدنيا، لا ليخيفه، بل ليوقظه.

فالصلاة ليست مجرد عبادة ظاهرية، بل هي عمود اتصال الإنسان بالحقيقة. فإذا انهار هذا العمود، انهار بناء الحياة الروحية كله.

وتذكرنا هذه الرواية أن الموت قد يأتي فجأة، أما الأسئلة فليست مفاجئة أبدًا، فهي معدّة منذ زمن في أعماق نفوسنا.

الملائكة يسألون فقط، أما الجواب الحقيقي فيصدر من ضمير الإنسان.

فطوبى لمن هيّأ أجوبته بالأعمال قبل ليلة القبر الأولى، لا بالدموع.

الرواية 35 – المنديل المتبرّك

رواية لإحدى سالكات الطريقة

سافرتُ إلى مدينة السليمانية لأحضر احتفال المولد النبوي الشريف ﷺ. وكان الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (ق) حاضرًا في ذلك المجلس، وكنتُ جالسةً في مكان حظيتُ فيه ببركة رؤية وجهه الشريف.

وفي أثناء الحفل، رأيتُ حضرة الشيخ يأكل قطعة صغيرة من الشوكولاتة، ثم مسح فمه المبارك بمنديلٍ ورقيّ وسلّمه إلى أحد الخدَم. فأخذه الخادم باحترام ووضعه في جيبه.

وفي تلك اللحظة نفسها، خطر في بالي خاطرٌ عابر فقط:

“كيف يُستَخدم مثل هذا المنديل كبركة، وما فائدته؟ ولماذا يحتفظون به؟”

وفي تلك الليلة، وعن طريق شخصٍ ذهب لمقابلة حضرة الشيخ بنفسه، أُعطينا ثلاثة مناديل كبركة.

فجاءني المنديل نفسه الذي مُسِح به فمه المبارك—ومعه منديلان آخران وُضعا تحته وفوقه.

وبعد مدة، عدتُ إلى مدينتي. وفي تلك الأيام نفسها، أُصيبت إحدى قريباتنا—وهي طفلة في التاسعة من عمرها— بفيروس كوفيد-19. وتدهورت حالتها سريعًا حتى أصيب خمسةٌ وثمانون بالمئة من رئتيها بالعدوى. وفقد الأطباء الأمل في علاجها وقالوا لأمها:

“عودي إلى البيت وادعي فقط. فعادةً المريض في مثل هذه الحالة وهو فاقد الوعي لا يعود.”

وفي تلك الفترة رأيتُ رؤيا، كنتُ فيها جالسةً في حضرة الشيخ شمس الدين (ق)، وكان أبي—الذي توفي قبل سنتين—واقفًا في الممر المقابل لبيته، ومعه فتاة في عمر الطفلة المريضة واقفة إلى جانبه.

طرق أبي الباب، فذهبتُ إليه. فقال لي: "أعطيني منديلًا."

فقلتُ: "يا أبي، دعني أرجع أولًا من حضرة الشيخ؛ سنتحدث معًا—فالآن لا يليق."

ولما رجعتُ إلى الداخل، سأل حضرة الشيخ: "ماذا يريد؟"

قلتُ: "منديلًا."

فقال: "أعطيه."

فأخذتُ ثلاثة مناديل ورقية من بيت حضرة الشيخ وأعطيتُها لأبي.

وعند ذلك استيقظتُ من الرؤيا، وتذكرتُ فورًا المنديل المبارك.

فأرسلتُ فورًا—ليس المنديل المبارك نفسه، بل المنديل الذي وُضع فوقه وكان قد لامسه فقط—بسيارة أجرة إلى المستشفى إلى أم الطفلة.

ومع الدعاء والتضرع، مرّرت الأم ذلك المنديل على صدر ابنتها ورئتيها، ثم عادت إلى البيت.

وفي اليوم التالي اتصل بها المستشفى. فأجابت بقلق، ظنًّا منها أنهم يتصلون ليخبروها بوفاة ابنتها. لكن الأطباء قالوا:

"تعالي إلى المستشفى فورًا."

فلما وصلت، قال الطبيب:

"لا أستطيع إلا أن أقول إن شيئًا غير عادي قد حدث، وقد شُفيت ابنتك. هذا الصباح عندما جئنا لنتفقد حالتها، رأينا أن الأنبوب داخل رئتيها قد خرج، ومعه خرجت كل الالتهابات من رئتيها. وكانت الرئتان صافيتين، وحالة المريضة جيدة تمامًا. وهذا مع أن ابنتك كانت في حالة غيبوبة كاملة ولم يكن بإمكانها أن تتحرك ولو قليلًا."

وعلى كل حال، وبعد يومين من المراقبة، خرجت الطفلة من المستشفى وعادت إلى بيتها. وقد جلب هذا الحدث دموع الفرح والدهشة إلى عيوننا جميعًا.

وعندها فهمنا أنه في طريق أولياء الله،

أحيانًا يكفي حتى تماسُّ بركةٍ مع بركةٍ أخرى،

وأن الله يُجري الشفاء العظيم بأصغر الأسباب.

لن ننسى أبدًا هذه النعمة من الطريق.

الرواية 36 – طفلٌ بقي تحت العجلات ولم يُصب بأذى

رواية لأحد سالكي الطريقة

تتعلق هذه الرواية بحادثة وقعت لابني في صيف هذا العام. أرويها كما جرت معنا تمامًا.

في أحد الأيام ذهبنا مع العائلة إلى شاطئ البحر للتنزه. كان الوقت نحو الخامسة بعد الظهر وكنا نستعد للعودة، حين ابتعد ابني الصغير – الذي لم يتجاوز عمره سنتين ونصف – عنا للحظة قصيرة. لم يبتعد سوى بضعة أمتار حتى وقع أمر لن أنساه ما حييت.

فجأة بدأت سيارة أمريكية، كانت تعود لعائلة قريبة منا، بالرجوع إلى الخلف. وأمام أعيننا المذعورة تقدمت السيارة إلى الخلف ودهست الطفل، حتى إن عجلة السيارة مرّت تمامًا فوق صدره.

وبعد صراخ الناس انتبه السائق وأوقف السيارة. كان الطفل لا يزال تحتها. أخرجناه بأيدٍ مرتجفة، ووضعناه فورًا في إحدى السيارات، وانطلقنا به مسرعين إلى المستشفى.

وفي المستشفى، وبعد الفحوصات الكاملة والتصوير بالأشعة، حدث أمر لا يزال من الصعب عليّ تصديقه:

أعلن الأطباء أن الطفل لم يُصب بأي أذى يُذكر.

لا كسور، ولا نزيف داخلي، ولا حتى كدمة خطيرة. كان ابني سليمًا تمامًا.

وبعد أيام قليلة جاء السائق نفسه الذي دهس الطفل ليزورنا في المنزل. وعندما دخل رأى الطفل يلعب. احتاج وقتًا طويلًا حتى يصدق أن هذا هو الطفل نفسه الذي مرّت عليه عجلات السيارة.

توضيح

بعد عدة أيام أحضرت قميص ابني إلى التكية وأريته للحاضرين. كانت آثار إطار السيارة واضحة تمامًا على القميص.

وفي بعض المواضع كان ضغط العجلة شديدًا إلى درجة أن ألياف القماش انضغطت تمامًا بل وتمزقت.

ومع ذلك فإن جسد الطفل — وهو ألين وأضعف من أن يتحمل مثل هذا الضغط — لم يُصب بأدنى أذى.

الرواية 37 – التحام العظم في لحظات

رواية بقلم مؤلّف الكتاب

كان أحد الدراويش الصالحين في الطريقة يعمل في مصنعنا وكان لحّامًا. وأثناء العمل تعرّض لحادث شديد. ففي أثناء نقل حمولة ثقيلة علقت يده تحت خطاف الرافعة، فانضغط إصبعه الأوسط بشدة. وكانت الإصابة بالغة إلى حد أن السلاميتين العلويتين من الإصبع كادتا تنفصلان تمامًا، ولم يبقَ متصلًا إلا بقدر يسير من الجلد.

نقله زملاؤه فورًا إلى المستشفى. وبعد تصوير الأشعة أُدخل مباشرة إلى غرفة العمليات. وقد رأيت الصور بنفسي؛ كان العظم في السلاميتين العلويتين من الإصبع مكسورًا

طولياً ومنفصلًا تمامًا، وكانت المسافة بين طرفي العظم المكسور لا تقل عن ثلاثة إلى أربعة مليمترات، أي كسر واضح وكامل.

وبالنظر إلى شدة الإصابة، كان الجميع يتوقعون أن بتر الإصبع احتمال وارد.

لكن بعد إدخال المريض إلى غرفة العمليات وقع أمر أدهش الجميع. فعندما بدأ الجرّاح بفحص الإصبع، لاحظ أن العظام سليمة تمامًا، ولا أثر لأي كسر فيها. وظلّ عدة دقائق يتفحص العظم بدهشة، وكأن ما رآه في صور الأشعة لم يعد موجودًا.

وفي النهاية، وهو في غاية العجب، اكتفى الجرّاح بوضع بضع غرز وإجراء تضميد بسيط، ثم أخرج المريض من غرفة العمليات وسمح له بالمغادرة.

وقد قال الجرّاح بعد ذلك:

«في كل سنوات عملي في الطب لم أرَ مثل هذا الأمر. كانت كل الدلائل تشير إلى أن العظم مكسور ومتلف، لكن عند الجراحة كان العظم سليمًا تمامًا».

وبفضل الله، وبهمة مشايخ الطريقة، حُفظ ذلك الإصبع الذي كان بتره محتملًا جدًا، واستعاد هذا الدرويش سلامة يده كاملة.

الرواية 38 – لقاءٌ بين الخوف والرجاء

رواية لإحدى سالكات الطريقة

قبل نحو ثلاث سنوات، كان زوجي مسافرًا، وبقيتُ وحدي في البيت مع ابنتي الصغيرة التي لم تكن تتجاوز عامين من العمر. في تلك الفترة، وعلى الرغم من أنني كنت متزوجة، كان سلوكي ومظهري مضطربين، وكنت قد ابتعدت عن كثير من القيود الأخلاقية والروحية.

في إحدى الليالي، وبين النوم واليقظة، رأيتُ مكاشفة مرعبة من مشاهد جهنم؛ مشاهد هائلة هزّت كياني. كنت أستغيث بكل جوارحي أن يُغفر لي وأن أُمنح فرصة للتوبة. وعندما أفقتُ من النوم، كان جسدي مبلّلًا بالعرق، وكنت أرتجف من شدة الخوف، وما زالت أصداء الصرخات

والصور المروّعة تتردد في أعماقي. حملت طفلتي بين ذراعيّ، وذهبت فورًا إلى بيت أمي.

منذ ذلك اليوم تغيّر مسار حياتي. تركتُ أصدقائي السابقين، وقلّ خروجي من البيت، وصرت أقضي الليل والنهار في العبادة. أصبحت قليلة الكلام؛ خوفًا من أن يخرج مني ما يؤذي أحدًا أو يوقعني في غيبة. وكنت أسأل الله دائمًا أن يريني علامة تدلّ على أن توبتي قد قُبلت وأن طريقي صحيح، لكنني لم أرَ شيئًا، فبقيت أعيش بين الخوف والقلق.

وبعد نحو سنة من تلك الحادثة، وفي إحدى ليالي الخريف، كنت نائمة إلى جانب زوجي. ولأجل دخول الهواء، كان الباب الحديدي الذي يصل الدرج بفناء البيت نصف مفتوح. في نحو الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، كنت في حال من العبادة والبكاء، وقلت بقلب منكسر: «يا رب، منذ أن نبّهتني إلى أخطائي، فعلت كل ما ظننت أنه صحيح، فلماذا لا أرى علامة؟ فأين أولئك الذين كنت ترسلهم لهداية الناس؟»

وفجأة دوّى صوت فتح الباب الحديدي للفناء — وهو باب كان يُفتح بصعوبة. فصرخت من الخوف وأيقظت زوجي، لكنه لم يُبدِ أي استجابة. بل إنني ضربته عدة مرات بيدي على صدره وجانبه، لكنه ظلّ كأنه فاقد الوعي. ثم سمعتُ صوت خطوات على الدرج الحديدي المؤدي إلى الفناء.

تجمّدت في مكاني. نظرتُ من خلال شق الباب، فرأيت أولًا عصًا، ثم ظهر رجل في منتصف العمر يرتدي معطفًا أسود، وعلى رأسه شال كردي. اقترب مني دون أن يتكلم بكلمة. والعجيب أن سكينة عميقة نزلت على قلبي.

اقترب الرجل، ووضع عصاه على الأرض، ثم جلس أمامي على ركبتيه ونظر في عينيّ. فسألته دون إرادة مني:

»هل أنت رسولٌ من عند اللّٰه؟«

ابتسم ابتسامة هادئة، وأومأ برأسه موافقًا.

فقلت:

«هل غفر الله لي ذنوبي؟»

فأومأ مرة أخرى برأسه.

ثم سألته:

«هل يمكن أن يترك زوجي إدمانه؟»

ثم قلت:

«وأخي أيضًا؟»

وفي كل مرة كان يومئ برأسه بهدوء. ثم نهض، وابتسم ابتسامة لطيفة، وتلاشى في الفضاء كما يتلاشى البخار.

لم تمضِ أكثر من أسبوع حتى جاء أخي إليّ وقال إنه وجد مكانًا يساعده على التوبة، ومنذ أن بدأ الذهاب إليه انقطعت رغبته في تعاطي المخدرات. في تلك اللحظة تذكرت تلك الليلة وذلك اللقاء. فسألته:

«هل يقبلون توبتي أنا أيضًا؟»

فقال:

«نعم، تعالي ليلة الخميس وسنذهب معًا.»

وعندما دخلنا ذلك المكان، وقع بصري على صورة معلّقة على الجدار، فإذا هو الرجل نفسه، بالمعطف نفسه. عندها أدركت أن ذلك الرجل لم يكن إلا الشيخ محمد المحمد الكسنزان، قدّس الله سرّه.

وبعد مدة قصيرة، جاء زوجي أيضًا إلى التكية، وكما بُشّر في تلك الليلة، ترك هو وأخي – اللذان عانيا طويلًا من الإدمان – تلك العادة نهائيًا.

تأمّل ختامي

قد لا تتجلّى الهداية دائمًا في أجوبة فورية، بل تظهر أحيانًا في صبرٍ ممتزجٍ بالخوف والرجاء. فإذا عاد القلب بصدق، جاءت العلامات في وقتها؛ لا بالضرورة كما نتوقع نحن، بل كما يكون أكثر شفاءً للنفس.

وفي هذا الطريق، قد تدخل رحمة الله من بابٍ لم يخطر لنا على بال، فتُعيد الحياة—في هدوءٍ ولكن بحزم—إلى اتجاهها نحو النور.

الرواية 39 – من خوف الطفولة إلى شفاء العائلة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

مشابهةً للرواية التي ذُكرت في الحكاية السابقة، تَحسُنُ روايةٌ أخرى بالذكر، غير أن نقطة بدايتها هذه المرة لم تكن بحثًا واعيًا، بل خوفًا طفوليًا صادقًا.

كان أحد دراويش الطريقة — وهو اليوم من خلفائها — متزوجًا من امرأة لم تكن تؤمن بالطريقة أصلًا. وعلى الرغم من الدعوات المتكررة والإلحاح المستمر، لم تأتِ إلى التكية قط، بل كانت تمنع ابنهما ذا الاثني عشر عامًا من الذهاب مع أبيه إلى التكية. وقد أدّت هذه المعارضة، ولا سيما مع ما كانت تعانيه من اضطرابات عصبية شديدة، إلى توترات واضحة داخل الأسرة.

قبل مدة، جاءني هذا الخليفة وقال لي:

«ابني لا ينام وحده في الليل، لأنه رأى حضرة الشيخ في

غرفته، ولذلك صار لا بد أن أنام أنا أو أمه إلى جانبه حتى يهدأ» .÷

في البداية ظننت أن الطفل رآه في المنام، فطلبت منه أن يحضر ابنه لأتحدث معه. لكن حين تحدثت مع الطفل، أدركت بوضوح أن رؤيته كانت في حال اليقظة، لا على هيئة نور أو هالة غير مألوفة، بل على صورة طبيعية تمامًا. فقد كان يشرح بدقة كيف أن الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) أنزل قدميه من أعلى خزانة ملابسه، ثم خرج منها.

فقلت له:

«يا بني، إن حضرة الشيخ بعيد عنك بآلاف الكيلومترات. لقد أراك نفسه فقط لتعلم أنه معك دائمًا ويرعاك، فلا ينبغي أن تخاف.»

فقال الطفل فجأة بلهجة صادقة مليئة بالدهشة:

«يا خليفة! لو خرج شخص من خزانة غرفتك، أما كنت ستخاف؟»

فضحكت أنا ووالده من غير قصد، ضحكة لم تكن من باب الإنكار، بل من صدق النظرة الطفولية البريئة. بعد ذلك

تحدثت معه بهدوء أكبر، وأدخلته في الطريقة. ومنذ ذلك الحين تحوّل الخوف الذي كان في قلبه إلى محبة عميقة.

ولم تقتصر بركات تلك الرؤية على طمأنينة الطفل وحده؛ بل تغيّر جوّ الأسرة كله. زالت كلمات السوء والشكوك التي كانت زوجته تُبديها تجاه الطريقة، فانضمت هي أيضًا إلى الطريق. والعجيب أن حالتها العصبية بدأت، في الوقت نفسه، تتحسن شيئًا فشيئًا.

تأمّل ختامي

أحيانًا يبدأ الله هدم جدران الإنكار والشك من القلوب البسيطة. فالطفل، ما دام عقله لم يتلوث بعد بالحسابات والأحكام المسبقة، يكون مرآةً أكثر صفاءً لتلقي الطمأنينة الإلهية. وحين يتحول الخوف إلى محبة، لا يتغير قلب طفل واحد فحسب، بل قد يتغير مصير أسرة كاملة. تلك هي طبيعة الهداية؛ هادئة بلا ضجيج، لكنها عميقة الأثر وباقية.

الرواية 40 – تلاوة القرآن من سيارةٍ متوقفة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كان أحد الفتيان الذين تشرفوا حديثًا بالانضمام إلى الطريقة الكسنزانية يعتزم السفر مع زوج خالته – وكان هو الآخر حديث العهد بالطريق – من مدينتهما إلى مدينتنا، لزيارتنا والمشاركة في مجلس الذكر الجماعي. وكان ذلك الفتى قد فقد والده منذ سنوات، وكان يعيش مع أمه.

وكان من المقرر أن يستيقظا في الصباح الباكر، ويؤديا الصلاة، ثم يتناولا الإفطار وينطلقا في السفر. وكان هذا الفتى عادةً يجد صعوبة في الاستيقاظ في الساعات الأولى من الصباح، غير أنه في ذلك اليوم استيقظ من تلقاء نفسه على صوت الأذان، دون أن يوقظه أحد. فقام بهدوء، وتوضأ، وأدى الصلاة، ثم استعد للسفر مع زوج خالته.

وأثناء تناول الإفطار، لاحظ هو وزوج خالته وأمه وخالته أن صوت الأذان لم ينقطع، بل تحوّل إلى تلاوةٍ للقرآن الكريم، واستمر الصوت يملأ المكان.

وعندما خرج الفتى إلى الفناء ليضع أمتعة السفر، لاحظ فجأة أن صوت القرآن لا يأتي من المسجد القريب من منزلهم، بل من داخل سيارة والده؛ تلك السيارة التي تُركت منذ وفاة والده في زاوية الفناء سنواتٍ طويلة دون استعمال، حتى أصبحت معطلة تمامًا لا تعمل ولا تُستعمل.

ارتبك الفتى من شدة الدهشة والخوف، فأسرع إلى داخل البيت وأخبرهم بما رأى. فخرجوا جميعًا إلى الفناء، وإذا بهم يرون – بدهشةٍ لا توصف – أن مذياع السيارة يعمل وتنبعث منه تلاوة القرآن الكريم عبر مكبرات الصوت، ثم ما لبث الصوت أن انقطع بعد مدة.

وعندما وصل الفتى وزوج خالته إلى مقصدهم، قصّا على أهل التكية ما حدث وهما يبكيان تأثرًا. وبعد ذلك اتصلت بي خالة الفتى وأخبرتني أنها تعرف أصوات كثير من المؤذنين والقراء، إلا أن الصوت الذي سمعوه في ذلك اليوم لم يشبه أيًّا منهم؛ بل كان صوت قارئ شاب بنبرة مختلفة، عذبة للغاية وكأنها سماوية. وقالت إن الصوت بدا وكأنه يتدفق إلى تلك السيارة من مكانٍ يتجاوز حدود الأرض.

ويعلم أهل الخبرة أن بطارية السيارة تُفرغ طاقتها بعد مدة قصيرة، فلا تعود قادرة حتى على تشغيل المذياع، فضلًا عن سيارةٍ ظلت متوقفة ومعطلة لسنوات. ولهذا، فإن هذه الحادثة — التي شهدها أربعة أشخاص في وقت واحد — لم تكن إلا علامة من لطف الله، وكرامةً لطمأنة القلوب وترسيخ اليقين في نفوس من بدأوا حديثًا السير في هذا الطريق.

الرواية 41 – إغماء أستاذ الريكي

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام، جاء إلى تكيّتنا أحد الأساتذة المعروفين في أسلوب يُسمّى "**الريكي**"، وكان برفقته عدد من تلاميذه. والريكي طريقة ذات أصل ياباني تقوم على ما يسمّى بنقل الطاقة عبر التركيز الذهني ووضع اليدين، ويعتقد أتباعها أنها تساعد على تحقيق الهدوء النفسي والتوازن الداخلي وتخفيف التوترات الروحية والجسدية.

كان هذا الرجل شخصية معروفة، وله مكانة في الأوساط الدولية المهتمة بهذا الأسلوب. أما أنا في ذلك الوقت فلم أكن أعرفه، ولم أكن على علم بمكانته أو شهرته.

وفي ذلك المجلس، وكما جرت العادة، تحدثت مع بعض الحاضرين الذين جاؤوا إلى التكيّة لأول مرة عن الطريق الصوفي ومعناه. وبعد انتهاء الحديث، أعلن ذلك الأستاذ أمام الحاضرين وبنبرة اعتراض أنه لا ينوي أخذ الطريقة، وأنه

جاء فقط للتعرّف والاطلاع. فأجبته بأن أخذ الطريقة أمرٌ اختياري تمامًا، ولا يُلزم به أحد.

وبعد لحظات، وبينما كان جالسًا على الأرض متربعًا على ركبتيه، تغيّرت حاله فجأة. فسقط على الأرض منبطحًا دون أي مقدمة، ومدّ يده اليمنى إلى الأمام في هيئة تشبه هيئة البيعة، وبدأ جسده يرتجف ارتجافًا شديدًا واضحًا للحاضرين.

فأمسكتُ بيده اليمنى — التي كانت ممدودة في وضعية البيعة — وقلت له بهدوء:

هل تريد أن أعطيك الطريقة؟

فلم ينطق بكلمة، لكنه أخذ يومئ برأسه مرارًا معلنًا موافقته. وفي تلك الحال نفسها، أُعطيَ الطريقة. وما إن انتهت البيعة حتى توقفت ارتجافات جسده، وعاد إليه هدوؤه، ثم جلس على الأرض وقد بدت عليه علامات الحرج.

وبعد انتهاء الذكر الجماعي، وعند لحظة الوداع، اعتذر ذلك الأستاذ مني بتواضع وقال إنه متأسف لما حدث من إغمائه في التكيّة. في تلك اللحظة لم أدرك تمامًا سبب شعوره

بالانزعاج، لكنني علمت لاحقًا أن ما أحرجه هو أن هذه الحالة غير المتوقعة حدثت أمام تلاميذه الذين كانوا يرونه أستاذًا بارزًا في مجاله.

تأمّل ختامي

في هذه الرواية، لا تتجلّى الكرامة في نفي طريقٍ آخر أو إثباته، بل في خضوع القلب المفاجئ. فما لم يتحقق عبر سنوات من التعليم والتدريب والدعوى، وقع في لحظة قصيرة غير متوقعة. وكأن القلب وجد طريقه قبل العقل، ولم يكن الجسد إلا مستجيباً لذلك النداء.

تذكّرنا هذه الكرامة بأن الهداية لا تبدأ دائمًا من طريق الاستدلال أو الاختيار الواعي. ففي بعض الأحيان، تكشف الحقيقة نفسها للإنسان دون استئذان، لا لتُهينه، بل لتزرع فيه التواضع. ولعلّ هذا التواضع هو الخطوة الأولى في الدخول إلى الطريق.

الرواية 42 – دعوة شيخ طريقةٍ إفريقي في عالم الرؤيا

رواية بقلم مؤلف الكتاب

الشيخ علي دابو هو شيخ الطريقة القادرية في دولة السنغال، وله مريدون وأتباع في ست دول مختلفة يتجاوز عددهم عشرة آلاف. وقد جاء من إفريقيا إلى العراق لزيارة حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني (ق)، ولأخذ البيعة مباشرةً من حضرته. وكان مقصده التكية الرئيسية في مدينة السليمانية في العراق.

سألناه: ما الذي جاء بك من السنغال إلى هنا؟

فأجاب: رأيت في المنام حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان القادري الحسيني (ق)، وكان عن يمينه تاج الخلافة الإلهية، وعن يساره تاج المُلك الإلهي. وفي تلك اللحظة أدركت أن حضرة الشيخ شمس الدين هو الوارث الحقيقي الوحيد لعلوم أهل البيت.

ثم رأيت في الرؤيا نفسها شجرة أهل البيت، وقد قُطعت جميع فروعها، إلا فرعًا واحدًا كُتب عليه :الكسنزاني .فكانت هذه الرؤيا بالنسبة لي علامة واضحة، ويقينت أن الكسنزانيين هم الورثة الروحيون الحقيقيون لرسول الله ﷺ.

بعد ذلك بدأت بالبحث، فعلمت أن مقر هذه الطريقة ومركزها في شمال العراق. ولذلك جئت إلى التكية الرئيسية في مدينة السليمانية، وأخذت البيعة والعهد في الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، وإن شاء الله أنقل هذه البيعة إلى جميع المريدين الذين معي.

والجدير بالذكر أن الشيخ علي دابو، بعد عودته إلى السنغال، بدأ بدعوة مريديه إلى الطريقة القادرية الكسنزانية. وفي إحدى زياراتي إلى إفريقيا بدعوته، شهدت بنفسي دخول أكثر من ألف شخص في الطريقة الكسنزانية وأخذهم البيعة.

ومن الجدير بالذكر أيضًا أن ما رآه الشيخ علي دابو في رؤياه قد نُقل عن كثيرين غيره. فعلى سبيل المثال، كنتُ مرةً جالسًا مع مجموعة من الزائرين القادمين من دول مختلفة في قاعة اللقاء بانتظار قدوم حضرة الشيخ شمس الدين

الكسنزان (ق). وما إن دخل حضرته حتى تقدّم أحد كبار شيوخ الطرق القادرية، وكان يرتدي لباسًا عربيًا فاخرًا، وهيئته ضخمة ومهيبة، فتوجّه مباشرةً نحوه، ثم ارتمى عند قدميه وقال:

«يا سيدي، لستم بحاجة إلى أن تعرّفوا أنفسكم لأحد. فقد عرّفني رسول الله ﷺ بكم، وأخبرني أنكم وارثه في هذا الزمان.»

تأمّل ختامي

تُظهر هذه الواقعة أن الدعوة الإلهية لا يحدّها جغرافيا ولا لغة ولا عِرق. فعندما تكون الحقيقة متجذّرة في النور الإلهي، فإنها تجذب القلوب من أبعد بقاع العالم، أحيانًا لا عبر الكتب أو الكلمات، بل عبر الرؤيا والشهود والإلهام. ورؤيا الشيخ علي دابو مثال واضح على أن الطريقة، قبل أن تكون مسارًا ظاهرًا، هي نداءٌ باطني يصل الأرواح بمنبع النور والولاية.

الرواية 43 – تغيير الطريقة بالرؤيا

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في إحدى الليالي اتصل بي شخص وأخبرني أنه ينوي المجيء مع مجموعة من مدينة أخرى إلى تكيتنا. قال إنهم سيتحركون ليلًا وسيصلون في الصباح الباكر. وفي صباح ذلك اليوم، قبل طلوع الشمس، وصلوا بالفعل إلى التكية.

كان بينهم رجل مسنّ ذو وقار وهيبة، يضع على رأسه قبعةً من الفرو ويرتدي معطفًا أسود. كان لملامحه سكون وهيبة خاصّة. وكان برفقته ابنه، الذي علمتُ لاحقًا أنه إمام مسجدٍ بناه هذا الرجل نفسه. وكان معهما أيضًا رجل ثالث، كرديًّ، من مريدي ذلك الشيخ المسنّ. وقد شرح لنا القصة على النحو الآتي:

قال:

هذا الرجل شخصية معروفة في منطقته، وصاحب كرامات، ويُعدّ من كبار إحدى الطرق الصوفية. وكان له مقام خاص عند شيخ طريقته الذي كان يقيم في مدينة أنبار في

باكستان. قبل مدة توفي ذلك الشيخ، فذهب هذا الرجل مع مجموعة من مريديه إلى باكستان ليبايعوا خليفته. وفي الليلة التي وصلوا فيها هناك، رأى الشيخ المتوفّى في المنام، فقال له الشيخ:

"لا تبايع الشيخ الجديد. فقد طُويت طريقتنا. ولم يبقَ الآن إلا طريقة واحدة، وهي بيد الشيخ محمد الكسنزان»".

بعد هذه الرؤيا عادوا جميعًا إلى مدينتهم، وبدأوا يبحثون عن أخبار حضرة الشيخ محمد الكسنزان. ولأنني كنت أعرف الطريقة الكسنزانية، جئتُ بهم إليكم.

وهكذا أخذوا جميعًا الطريقة وبايعوا.

وبعد انتهاء المجلس، توجّه أحد الدراويش الحاضرين في التكية إلى ذلك الشيخ المسنّ وقال متعجباً:

يا شيخ! أنت من كبار طريقة أخرى، فلماذا غيّرت طريقتك؟

فأجاب الرجل بهدوء عميق ونبرة ثابتة:

«الآن هو زمن آخر الزمان، وفي مثل هذا الزمن يجب على الإنسان أن يضع يده في يد شيخ موثوق ومأذون من الله».

تأمّل ختامي

تُظهر هذه الرواية أن السير إلى الحقيقة لا يقوم على الأسماء أو الألقاب، بل على صدق النية والتسليم للهداية الإلهية. فذلك الرجل، مع ما كان له من مكانة وكرامات، حين رأى الإشارة الإلهية في رؤياه، لم يتردد في تجاوز مقامه وشهرته، وخضع للحقيقة وحدها.

في الطريق الروحي لا تُقاس قيمة الإنسان بقدرته على البقاء فيما اعتاده، بل بقدرته على معرفة الحق وقبوله. أحيانًا يكون أعظم امتحان للسالك أن يترك ما عُرف به سنوات طويلة، ليصل إلى ما هو حق.

وهذه القصة تذكّرنا بأن اللجوء إلى شيخٍ أمين مؤيَّد من الله، في أزمنة الفتن والاضطراب، ليس علامة ضعف، بل علامة يقظةٍ ونضجٍ روحي.

الرواية 44 – ابنِ تكيةً باسمي

بقلم مؤلف الكتاب

بعد سنواتٍ من تلك الحادثة، انتقل ذلك الشيخ المسنّ الذي ذكرتُه في الرواية السابقة إلى رحمة الله. وبعد مدة من وفاته، اتصل بي ابنه ودعانا لزيارة منطقتهم من أجل الإرشاد. فذهبتُ مع مجموعةٍ من الدراويش إلى هناك.

وبجوار منزلهم كانت توجد تكية صغيرة قديمة، كُتب عليها اسم **عبدالقادر الجيلاني** .اصطحبونا إلى تلك التكية وأقمنا فيها مجلس ذكر. كان لذلك المكان، ببساطته ودفئه، جوٌّ خاص؛ كأن سنواتٍ طويلة من الذكر والدعاء قد استقرّت في جدرانه.

وبعد انتهاء المجلس قال ابن ذلك الشيخ إن هذه التكية بُنيت بأمرٍ من حضرة **الغوث الأعظم عبدالقادر الجيلاني (ق)** .واستغربتُ من كلامه، فشرح الأمر قائلًا:

قبل ثلاثين سنة، عندما كان والدي حيًّا، رأى في المنام شيخًا نورانيًّا ذا شعرٍ طويل ولحيةٍ بيضاء، وكانت ملامحه مملوءة وقارًا وهيبة. قال ذلك الشيخ لوالدي:

"أنا عبدالقادر الجيلاني، تعال معي."

فخرج والدي في عالم الرؤيا من البيت وتبعه. ثم التقط ذلك الشيخ قطعة خشب من الأرض، ورسم بها على التراب الطريّ بجانب المنزل مستطيلًا، وقال له:

"ابنِ هنا تكيةً وسمِّها باسمي."

ويتابع الابن حديثه:

في الصباح، عندما استيقظ والدي، رأى بدهشة أن خطوط ذلك المستطيل ما تزال مرسومة على الأرض، وأن قطعة الخشب التي كان طرفها مغطى بالطين لا تزال ملقاة في المكان نفسه. عندها أدرك أن الأمر لم يكن رؤيا عابرة، بل علامة واضحة. فقرّر فورًا أن يبني في ذلك الموضع تكيةً ويجعل اسم عبدالقادر الجيلاني عليها. وهذه التكية التي ترونها اليوم هي ثمرة ذلك الأمر.

تأمّل ختامي

أحيانًا يختار الله أبسط الوسائل لإقامة بيوت الذكر والنور: رؤيا صادقة، وخطٌّ على التراب، وقلبٌ مستعد للطاعة. فلا تحتاج هذه البدايات إلى أموال عظيمة ولا إلى مظاهر رسمية؛ إنما تحتاج إلى التسليم وصدق النية.

الرواية 45 – ذو الفقار سيفُ أمير المؤمنين عليّ

رواية بقلم مؤلف الكتاب

منذ طفولتي، كان في قلبي—بصورة عفوية—حبٌّ عميق وخاص لحضرة أمير المؤمنين عليّ (ع). فكل ما كنت أسمعه عنه كنت أتبعه بشغف، محاولًا أن أبني في ذهني صورة أوضح لشخصيته وسيرته وعظمته الروحية. ومن بين جميع الرموز والخصائص المرتبطة به، كان سيف **ذو الفقار** يشغل في نفسي مكانة خاصة ومفعمة بالأسرار، إذ لم أكن أراه مجرد سلاح، بل رمزًا للعدل والشجاعة والإيمان والقوة الإلهية.

وقد ظلّ ذهني سنوات طويلة منشغلًا بالخلافات الموجودة في المصادر المختلفة حول شكل سيف ذي الفقار وحقيقته. فبعض الروايات تصفه بأنه سيف ذو حدّين، وفي طرفه شقّ ينقسم إلى نصلين؛ وهي الصورة التي ترسّخت في أذهان الناس، وغالبًا ما تُرسم في اللوحات والأعلام والأعمال الفنية.

وفي المقابل يرى بعض الباحثين التاريخيين أن ذا الفقار كان سيفًا عاديًّا، لكن ظهر نصله كان مصمّمًا على هيئة فقرات متتابعة أو نتوءات منتظمة، تشبه فقرات العمود الفقري للإنسان. ووفقًا لهذا الرأي، فإن اسم **ذو الفقار** مأخوذ من هذه الصفة؛ لأن كلمة *فَقار* في العربية تعني فقرات الظهر.

وقد ظل هذا الاختلاف في الوصف يثير تساؤلي دائمًا: لماذا بقي الخلاف قائمًا حول شكل ذي الفقار بعد مرور قرون طويلة؟ ولماذا بقي هذا السيف أكثر من غيره محاطًا بهالة من الرمز والمعنى؟

قبل سنوات، سافرت مجموعة من نساء تكيّتنا—بإشراف زوجتي التي كانت خليفة التكية—إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) .وكان من بينهن أمٌّ وابنتها لم يمضِ على دخولهما في الطريقة سوى نحو عشرة أيام. وكانت الابنة طالبة في السنة الرابعة في كلية الفنون، ولم تكن قد تعرّفت بعد على معاني الطريقة بعمق.

وأثناء الطريق، بينما كنّ جالسات في الحافلة الصغيرة، تغيّر حال تلك الفتاة فجأة، كأنها دخلت عالمًا آخر. بدأ جسدها يرتجف واشتدّ عليها البرد. فاحتضنتها أمها وهي تبكي بقلق شديد. عندها أسرعت زوجتي إليهما وقالت للأم ألا تتدخل، لأن الفتاة دخلت حالة روحانية وستعود بعد قليل إلى حالتها الطبيعية.

وبعد دقائق، عادت الفتاة تدريجيًّا إلى حالتها المعتادة، وقالت وهي تبكي:

«رأيت حضرة الشيخ محمد المحمد يحمل سيفًا في يده، وكان ذلك السيف ينقسم إلى سيفين. فأشار به إلى عنقي، وانبعث منه نور عمَّ الكون كله.»

وعندما سمعت هذه القصة، بدا لي أن ذا الفقار— كما يُصوَّر في الرسوم على هيئة سيفٍ ذي شعبتين—ليس مجرد رمز تاريخي، بل حقيقة حية متجددة، وأن وارثه في كل زمان هو وليّ الله وغوث عصره. ومنذ ذلك الحين لم يعد ذو الفقار بالنسبة لي مسألة تاريخية أو نظرية، بل حقيقة معنوية حاضرة في مسيرة الطريقة.

وبعد مدة، وفي مجلس حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق)—الأستاذ الحالي للطريقة—جاء ذكر ذي الفقار. فقلت بأدب:

«سيدي، صاحب ذو الفقار في هذا الزمان أنتم، وقبلكم كان والدكم صاحبَه.»

فأومأ برأسه وقال كلامًا لا أسمح لنفسي بنقله. لكنني أقول لإخواني الأحبة: لا تشكّوا أن صاحب ذي الفقار في هذا الزمان هو هو، وأن سيف أمير المؤمنين عليٍّ (ع). يتجلّى في كل عصر في يد وليّ الزمان.

تأمّل ختامي

اليوم، عندما أتأمّل في ذي الفقار، لم يعد ذهني منشغلاً بشكله الظاهري. فسواء أكان سيفًا ذا حدّين، أم نصلًا له ظهرٌ كأنّه مؤلَّف من عُقَد متتابعة، فإنّ ذلك يصبح أمرًا ثانويًا أمام الحقيقة التي يمثّلها ذو الفقار. إنّ ذا الفقار يحمل معنى عظيمًا: الحزم في الحق، والشجاعة المنبثقة من الإيمان، والثبات بلا تزلزلٍ في طريق العدالة الإلهية.

ذو الفقار هو الحدّ الفاصل بين الحق والباطل؛ الموضع الذي ينتهي فيه التردّد، وتتجلّى فيه الإرادة الإلهية. وفي يد أمير المؤمنين عليّ لم يكن هذا السيف مجرّد أداة حرب، بل كان لسانَ الحقيقة؛ لسانًا يتراجع أمامه الظلم، ويغلب به النورُ الظلام.

وإذا كان الحديث اليوم يدور عن «صاحب ذي الفقار»، فإنّ المقصود هو وراثة هذه الحقيقة ذاتها: وراثة مسؤولية الهداية، ووراثة الشجاعة في مواجهة الباطل، ووراثة الوقوف لله، ولو وقف العالم كلّه في وجه الإنسان.

الرواية 46 – رايةُ تمثيلِ رسولِ الله ﷺ

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في عام 2007، حين اشتدّت في العراق النقاشات والهجمات ضدّ الطرق الصوفية، وأصبح الحديث في كل مكان يدور حول الإرهاب والتطرّف، كنتُ منهكًا نفسيًّا إلى حدٍّ كبير وممتلئًا بالإحباط. كنت أشعر أنّ كل شيء يتداعى، وأنّ ضغط هذه الأجواء قد أنهك أرواحنا ونفوسنا.

في أحد الأيام، أحضرتُ الراية إلى التكية ووضعتُها في وسطها، وفرشتُ سجادتي في الوسط كذلك. جلستُ أذكر الله، وفي قلبي أخاطب حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). كنت أقول بإلحاحٍ ومن أعماق روحي:

"يا سيدي، ما حقيقة ما يجري؟ ولماذا كل هذه التهم والضغوط؟ أين نقف نحن، وأيُّ طريقٍ هو الطريق الصحيح؟ لقد أنهكت حالتنا الروحية، فأرِنا أنت الطريق".

وفي تلك الحال، نمتُ في تلك الليلة فرأيتُ رؤيا أضاءت مسار فكري إلى الأبد.

رأيتُ في المنام أنّني أقف مع رجلٍ مسنٍّ ذي لحيةٍ بيضاء، يرتدي لباسًا أبيض وطاقيةً بيضاء، وكان يشبه كثيرًا أحد خلفاء منطقتنا. كنّا في مكة، في عرفات، إلى جانب عمود جبل الرحمة، الموضع الذي وقف عنده النبي ﷺ في حجة الوداع. وهناك أُحضرت كُرسيٌّ كبيرة ذات هيئةٍ سلطانية من الخشب، ووُضعت أمامنا. فسألتُ ذلك الشيخ:

"لمن هذه الكرسي؟"

فقال:

"اصبر قليلًا، وسترى".

وفي تلك اللحظة نفسها ظهر شخصٌ يحيط به نورٌ ذهبيٌّ مشرق. فداهمني شيءٌ من الاضطراب، فقلت لذلك الشيخ:

"من هذا؟"

قال:

"لا تخف، هذا جدُّك رسول الله ﷺ".

فرأيتُ رسول الله ﷺ قد أقبل وجلس على تلك الكرسي، في مواجهة ذلك البرج، كأنها المنصّة التي تُلقى منها الخطب. وكان أمامنا ميدانٌ واسع اصطفّت فيه جميع الطرق الصوفية

صفوفًا منظّمة، كأنها جيش يقف كل فريقٍ منه في مكانه. وأمام ذلك الميدان كان هناك جبلٌ من حجرٍ أبيض أملس.

فقال رسول الله ﷺ:

"من استطاع أن يصعد هذا الجبل فهو ممثّلي في الدنيا، هو الذي يمثّلني في القول والفعل والحال".

فدُعي أولًا أتباع طريقةٍ تُعرَف أكثر في بلاد شمال أفريقيا. فتحرّكوا، لكنهم لمّا بلغوا ربع الجبل زلّت أقدامهم فسقطوا. ثم جاء السالكون من طريقةٍ لها شهرة تاريخية في مصر وما حولها. وبعدهم تقدّم أتباع سلسلةٍ معروفة بالذكر الخفي والسلوك الباطني، ثم جاءت جماعة طريقةٍ أخرى اشتهرت بحلقات الذكر الحماسية وطقوسها الخاصة. وكان كل فريقٍ يصل إلى منتصف الطريق ثم يتدحرج إلى الأسفل كالحجر.

وأخيرًا جاء حضرة الشيخ محمد المحمد. وكان الدراويش خلفه يهتفون بصوتٍ عالٍ:

"حيّ الله، حيّ الله"،

والرايات مرفوعة. فلمّا بلغ حضرة الشيخ موضع رسول الله ﷺ، نهض النبي ﷺ من مكانه مسرورًا وقال:

"مرحبًا بابني. هذا هو ممثّلي. هذا منّي".

ثم أشار بيده إلى الجبل وقال:

"اذهب يا بني، واتّجه نحو الجبل".

فقال حضرة الشيخ:

"يا دراويش، اذكروا الله: حيّ الله، حيّ الله".

ثم توجّه نحو الجبل.

وفي تلك اللحظة قلتُ لذلك الشيخ الواقف إلى جانبي:

"هذا شيخي، أستاذي في الدنيا".

فقال:

"يا بني، الآن تفهم مكانة شيخك عند رسول الله ﷺ".

فبدأ حضرة الشيخ والدراويش بالصعود حتى بلغوا منتصف الجبل. وكان بعض الدراويش الذين في الخلف على وشك الانزلاق. وفجأة رأيتُ يد حضرة الشيخ تمتد امتدادًا خارقًا، كأنها تمتد مئات الأمتار. فكان كل درويشٍ يوشك

أن يسقط يمسك به ويردّه إلى الجبل، فلا يدعه يهوي إلى الأسفل.

ثم التفت حضرة الشيخ إلى رسول الله ﷺ وقال:

"يا رسول الله، من يسير خلفي فلن أسمح له بالسقوط".

ثم بلغوا جميعًا قمة الجبل وهم يذكرون الله والرايات مرفوعة.

وفي تلك اللحظة نهض رسول الله ﷺ مرة أخرى وقال بصوتٍ عالٍ:

"هذا ابني. هذا ممثّلي.

هو الذي يقيم قولي وفعلي وحالي في الأرض".

تأمّل ختامي

هذه الرؤيا ليست مجرد صورةٍ روحانية، بل هي رسالةٌ عميقة لأهل الطريقة ولسالكي طريق الحقيقة. ورسالتها واضحة: إن تمثيل رسول الله ﷺ لا يتحقق بالأسماء والشعارات، بل بالصدق والتضحية وتحمل المسؤولية والقدرة على حفظ عباد الله والأخذ بأيديهم.

فحيث يصل الآخرون إلى منتصف الطريق ثم يتعثرون، فإن الوارث الحقيقي لا يثبت بنفسه فحسب، بل يمسك بأيدي الآخرين ولا يدعهم يسقطون. وهذا هو المعنى الحقيقي للخلافة الروحية:

"إنقاذ الناس، وحفظهم، ورفعهم إلى الأعلى؛ لا مجرد الصعود وحده".

لقد كانت هذه الرؤيا جوابًا لتعب الروح، وللترددات، ولعواصف التهم والاتهامات. فقد أظهرت أنه وسط الضجيج الذي يربط التصوف بالتطرف والعنف، لا يزال هناك طريق حيٌّ ومشرق؛ طريق يقوم على المحبة والخدمة والارتباط الحقيقي برسول الله ﷺ.

ولعل أهم رسائلها أن:

كل شيخٍ يستطيع أن يحفظ أتباعه في عواصف الزمن ولا يدعهم يسقطون، فهو ليس مجرد مرشد، بل ملجأ؛
والملجأ صفةُ الورثة الصادقين لرسول الله ﷺ.

الرواية 47 - يدٌ بلغت كربلاء

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في الرواية السابقة ورد ذكرُ امتداد يد حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) وأخذِه بأيدي المريدين في لحظة الخطر. ومن هذه المناسبة رأيت من المناسب أن أشاركم روايةً كان أحد الخلفاء المقيمين في تكية السليمانية في العراق قد حدّثني بها منذ مدة؛ روايةً تُظهر المعنى نفسه في صورة أخرى.

قبل عدة سنوات، وفي أيام الأربعين، توجّه أحد أصدقائي الأعزاء، وهو من الخلفاء القدامى والمخضرمين في الطريقة في كردستان إيران، مع قافلةٍ من الزائرين الإيرانيين من السليمانية إلى كربلاء ليتشرّف بزيارة الإمام الحسين (ع).

وبعد عدة أيام عادت القافلة؛ لكنه لم يكن بين الجموع الكثيرة من الزائرين. وقد قال رفاقه بقلقٍ إنه ضاع في الزحام ولم يعد لديهم أي خبر عنه.

مرّت الأيام. يوم، يومان، حتى تجاوزت المدة عشرة أيام. لم يصل أي خبر عنه؛ لا اتصال، ولا رسالة، ولا أي أثر. فاضطربت القلوب وخيّم القلق على الأجواء.

في تلك الليلة لجأت إلى خلوتي. توجهت بالدعاء والتوسل، وطلبتُ بكل قلبي من حضرة الشيخ شمس الدين (ق) أن يعيدوه سالمًا من كربلاء. وبينما كنت أرسل الصلوات وأستغرق في الذكر، انكشف أمام عين قلبي مشهدٌ عجيب:

رأيتُ يد حضرة الشيخ تمتدّ امتدادًا لا يوصف، كأن المسافة بين السليمانية وكربلاء لم تكن موجودة. وصلت تلك اليد إلى كربلاء، فأخذت ذلك الخليفة وأعادته إلى التكية.

وفي اليوم التالي، دخل من باب التكية ذلك الشخص نفسه الذي كان الجميع يقولون إنه قد ضاع في كربلاء، والذي لم يكن يعرف حتى اللغة العربية؛ دخل بهدوءٍ واطمئنان تام، سالمًا، بلا اضطراب، ولا أي أثر للحيرة أو الضياع.

فلما رأيته، من شدة الفرح احتضنته وقلت له:

"يا خليفة! الجميع كانوا يقولون إنك قد ضعت"!

فارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة، ابتسامة نابعة من اليقين لا من الانفعال، ثم قال بصوتٍ واثق:

"درويشُ الشيخ شمس الدين لا يضيع".

الرواية 48 – زيارةُ رسولِ الله ﷺ

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام جاء إلى تكيّتنا أحد خلفاء كردستان – رحمه الله – ومعه رجل في منتصف العمر قدّمه لي على أنه من كبار العسكريين، وبعد مدة قصيرة أخذني الخليفة جانبًا وقال:

"هذا الشخص من أصدقاء عائلتي القدامى، ويعيش في هذه المدينة، وقد تحدثت معه مرارًا عن الطريقة، لكنه – مع كونه إنسانًا مؤمنًا جدًا – لم يُبدِ أي قبول. قبل ليلتين كنت ضيفًا في بيته، كنا نجلس ليلًا ونتحدث في موضوعات مختلفة، وفجأة قلت له من غير قصد: هل تحب أن تزور رسول الله ﷺ؟"

فقال متعجباً:

"أنا؟ أزور رسول الله ﷺ؟"

قلت: "نعم".

فقال:

"قل لي ماذا ينبغي أن أفعل. حتى لو قلت إن عليَّ أن أصعد الجبل الليلة فسأفعل".

فقلت له:

"لا حاجة أن تصعد الجبل، تعال وخذ الطريقة".

وكنت أنا نفسي متعجباً من الجرأة التي خرج بها هذا الكلام من لساني. لكنه بادر فوراً ومدّ يده وقال:

"أعطني الطريقة".

فأعطيته الطريقة.

وفي اليوم التالي حكى أنه في تلك الليلة رأى في المنام أنه دخل غرفة، فرأى رسول الله ﷺ وحضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) جالسين على سريرٍ مقابل الباب في الجهة اليسرى من الغرفة، يتحدثان معاً. وكان حضرة الشيخ جالساً إلى يمين رسول الله ﷺ. فلما دخل الرجل رآه رسول

الله ﷺ، لكنه لم يلتفت إليه، بل بقي متوجهًا نحو حضرة الشيخ. أما حضرة الشيخ - وكان وجهه نحو الباب - فقد أشار إليه برأسه أن يتقدم. فتقدم الرجل.

وفي تلك اللحظة قال رسول الله ﷺ مخاطبًا حضرة الشيخ:

"محمد، يا بني، من هذا الشخص؟"

فقال حضرة الشيخ:

"يا سيدي، هو من مريدي الطريقة".

فقال رسول الله ﷺ:

"وماذا يريد مني؟"

قال حضرة الشيخ:

"يريد - إن أذنتم - أن يتشرف بزيارة يدكم المباركة".

فقال رسول الله ﷺ:

"ما دمتَ أنت تريد، فليأتِ ويزُر".

ثم مدّ يده اليمنى نحوه دون أن يلتفت إليه. فقبّل الرجل اليد المباركة.

ظلّ هذا الرجل يقصد التكية قرابة عامين، وكان خلال هذه المدة درويشًا منتظمًا حسن السلوك. غير أن سؤالًا ظلّ

في قلبي: لماذا لم يلتفت رسول الله ﷺ إليه، لا عند دخوله الغرفة ولا حتى عند لحظة الزيارة؟

وبعد مدة تقاعد الرجل، وانشغل بأعمال لم تكن - فيما يبدو - خالية من الشبهات. ومنذ ذلك الوقت قلّت زيارته للتكية، وتغيّر نظره إلى الطريقة شيئًا فشيئًا، حتى لم يبقَ ذلك الإنسان الذي عرفناه في البداية، وانتهى به الأمر إلى أن ترك الطريقة تمامًا.

تأمّل ختامي

لقد بقيت هذه الحادثة تذكّرني دائمًا بحقيقة عميقة:

إن الكرامة والعناية قد تكونان بداية الطريق، لكنهما ليستا ضمانًا لنهايته. فالرؤيا والزيارة والإشارات السماوية، إذا لم تُصاحب بثباتٍ في الطريق وصدقٍ في النية ووفاءٍ في العمل، قد تتحول إلى مجرد ذكرى جميلة، لا إلى مسيرةٍ ثابتة.

ولعل عدم التفات رسول الله ﷺ كان إنذارًا صامتًا، إنذارًا يقول إن القرب الظاهري لا يكفي، بل إن الثبات على

العهد ونقاء الطريق هما اللذان يبقيان الإنسان في دائرة النظر الرحماني.

فالطريقة تبدأ بأخذ اليد، لكنها لا تُحفَظ إلا بالتمسك بها بكل الوجود.

الرواية 49 – الاستمدادُ من أستاذِ الطريقة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في إحدى أمسيات الشتاء الباردة، كنا جالسين مع جماعةٍ من الدراويش في حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان (ق)، نستفيد من كلماته ومواعظه النورانية. كان المجلس يسير في سكينةٍ خاصة، وقد غاصت القلوب في الصمت والتوجه. وفجأةً قطع حضرة الشيخ كلامه والتزم الصمت مدةً طويلة؛ صمتًا ثقل وقعه على نفوسنا، وأدخل الجميع في حالةٍ من الترقب والخشوع.

ثم قال بصوتٍ هادئ نافذ:

"الدرويش الصالح عزيزٌ على قلب شيخ الطريقة. فإذا سار على طريق الشريعة والطريقة على الوجه الصحيح، بلغ مقامًا يحبّه فيه شيخ الطريقة أكثر من حبه لابنه. ولكن هذا الدرويش نفسه إذا أفسد حاله، ولم يحفظ حرمة الطريق، وقطع صلته القلبية بالحقيقة، فإنه يبلغ حالًا حتى إذا افترسه الذئب واستغاث بأستاذه، أعرض الأستاذ عنه".

كان هذا الكلام غريبًا ومزلزلًا لنا. لم يجرؤ أحد على السؤال، وامتلأ المجلس بالتفكر والدهشة. وانتهى المجلس على تلك الحال، لكن كلماته بقيت في القلوب كالسؤال الذي لم يجد جوابًا.

وفي اليوم التالي جاءنا الخبر بأن درويشًا في إحدى القرى المجاورة قد تعرّض بعد ظهر الأمس لهجوم ذئب، ففقد حياته. وعندما سمعنا هذا الخبر أدركنا أن صمت المجلس في الأمس وكلام حضرة الشيخ كان يحمل معنى آخر. فما بدا لنا كلامًا تمثيليًا قد تحقق - على نحوٍ عجيب - في عالم الواقع.

تأمّل ختامي

تعلمنا هذه الحادثة أن العلاقة بين المريد والشيخ ليست مجرد رابطة لفظية أو عاطفية، بل هي عهدٌ حيٌّ ومسؤولية دائمة. فالاستمداد من شيخ الطريقة لا يكون ذا معنى إلا إذا كان المريد قد حفظ قبل ذلك حرمة الطريق، وصان أمانة السلوك في قلبه وعمله.

فإذا ابتعد الدرويش عن الشريعة والطريقة، وأسلم قلبه للغفلة والهوى وحب الذات، فقد يصبح حتى نداؤه بالاستمداد بلا أثر، لا لأن الرحمة قد انقطعت، بل لأن وعاء القبول في داخله قد انكسر.

إن هذه القصة تنبيهٌ هادئ لكنه عميق: فليس الادعاء هو الذي يحفظ الطريقة، بل الصدق والمراقبة والوفاء. ومحبة شيخ الطريقة نعمة عظيمة، لكن الحفاظ عليها يحتاج إلى تقوى وأدب وثبات في الطريق. ومن يسلك هذا المسار ينبغي أن يعلم أن الأمان الحقيقي لا يكون في الاسم أو النسبة، بل في إبقاء الصلة القلبية بالحق حيّة والعمل بمقتضياتها.

الرواية 50 – الحضورُ الدائمُ لأولياءِ اللهِ إلى جانب السالكين

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

بعد انتقال حضرة الشيخ محمد المحمد (السلطان)، كنت أسمع مرارًا من حضرة الشيخ شمس الدين قوله: "حضرة السلطان موجود، وهو حاضر إلى جانبكم".

ظللت مدة طويلة أتفكر في معنى هذا الكلام، وما المقصود بهذا الحضور الذي يتحدث عنه بهذا اليقين.

وفي يومٍ ذهبت فيه إلى السليمانية، وتشرفت بزيارة مقام حضرة السلطان، عاد ذلك السؤال ليتجدد في ذهني. وفجأة اعترتني حالة روحية، فرأيت في تلك الحال أن حضرة الشيخ شمس الدين وحضرة السلطان حاضران إلى جانبي، وإلى جانب حضرة السلطان يقف حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني – قدّس الله أسرارهم.

ثم شعرت كأنني أُرفع إلى الأعلى. فرأيت أن كل من كان حاضرًا في ذلك المقام، يقف إلى جانبه هؤلاء الأساتذة

الثلاثة الكرام. ثم ارتفعت أكثر، فرأيت أن لكل درويش حاضر في التكية يقف إلى جانبه حضرة الشيخ، وحضرة السلطان، وحضرة عبد القادر الجيلاني.

ثم ارتفعت مرة أخرى، فرأيت أن هؤلاء الثلاثة المباركين يقفون إلى جانب جميع الدراويش في أنحاء الأرض كلها؛ إلى جانب كل واحد منهم. وكان ذلك الحضور دلالةً على العناية والمراقبة والارتباط الدائم بين أولياء الله وسالكي هذا الطريق.

الرواية 51 – طلبُ المددِ بواسطة طبيبٍ أمريكي

رواية بقلم مؤلف الكتاب

هذا الحدث يُذكر بوصفه روايةً تاريخيةً فحسب، ولا يجوز لأيِّ شخصٍ محاولة تقليده أو تكراره، لما قد يحمله من أخطارٍ جسيمة.

قبل أن أسرد هذه الرواية، أرى من الضروري أن أذكر بوضوحٍ تام أمرًا بالغ الأهمية: إن ما يُنقل هنا يعود إلى سنواتٍ مضت، وكان مرتبطًا بظروف خاصة بدراويش الطريقة الكسنزانية في ذلك الزمن. أما اليوم فإن القيام بمثل هذه الأعمال ممنوعٌ منعًا كاملًا ومطلقًا، وأيُّ شخص – سواء من داخل الطريقة أو من خارجها – يقدم على مثل هذه الأفعال فإنه بلا شك يعرّض نفسه لأخطارٍ جسيمة قد تكون قاتلة. ولذلك فإن هذه الرواية لا تُذكر من أجل التقليد أو التكرار، بل للعبرة والمعرفة وفهم المعنى الحقيقي للتوكل والاستمداد والتصرّف الإلهي.

قبل سنواتٍ عديدة كان القيام ببعض الأمور الخارقة في الطريقة الكسنزانية مسموحًا به. وكانت تُمارَس أحيانًا أعمالٌ تثير في قلوب الحاضرين رهبةً وخشية، وتهزّ النفوس هزًّا شديدًا. وكان هذا الخوف الممزوج بالعظمة سببًا في أن يخني حتى أشد الناس عنادًا أمام قدرة الله تعالى، فيتجه كثيرون إلى التوبة والرجوع وتجديد الصلة بالله.

فطعن الخناجر في الرأس، وإدخال الرماح في الجسد، والدخول في النار، وأمثال هذه الأفعال لم تكن يومًا من أجل الاستعراض أو طلب الشهرة، بل كان المقصود منها إيقاظ القلوب الغافلة، وإظهار ضعف الإنسان وعجزه أمام القدرة المطلقة لله تعالى.

غير أن مشايخ الطريقة الكبار قد أعلنوا منذ سنواتٍ منع هذه الأعمال منعًا تامًا؛ لأن طريق هداية القلوب اليوم يمر - أكثر من أي وقتٍ مضى - عبر المعرفة والوعي والذكر وتهذيب النفس وتزكية الباطن، لا عبر الإثارة الظاهرية والأعمال المدهشة.

وقد جاءت المعجزات الإلهية في القرآن الكريم مقترنة بالهيبة والخشية:

- تحوّل عصا موسى عليه السلام إلى حيّةٍ عظيمة،
- انشقاق البحر لبني إسرائيل،
- إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام،
- صيرورة النار بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.

وكلها كانت دلائل على القدرة المطلقة لله تعالى، تهز القلوب وتذكّر الإنسان بعجزه أمام عظمة خالقه.

وقد قال الله تعالى:

وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا

سورة الإسراء، الآية 59، أي:

"وما نرسل الآيات إلا لتكون إنذارًا يوقظ القلوب".

والآن أعود إلى أصل القصة.

كان أحد خلفاء الطريقة الكسنزانية في الولايات المتحدة صديقي المرحوم الدكتور هوارد هول، الذي انتقل إلى رحمة الله قبل نحو عام. وكان طبيباً يعمل في أحد مستشفيات مدينة كليفلاند في ولاية أوهايو. وفي زمن انتشار مرض

الإيدز في العالم، حين عجز الطب عن إيجاد علاجٍ حاسمٍ له، حاول أن يبحث عن طرقٍ أخرى للعلاج من خلال الطب البديل، أي الأساليب التي تقع خارج الإطار الرسمي للطب التقليدي.

وقد قادته أبحاثه في موضوع الشفاءات غير المألوفة والعلاجات الخارقة إلى التعرف على الطريقة الكسنزانية. ولذلك سافر إلى بغداد للقاء أستاذ الطريقة في ذلك الوقت، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق).

في بغداد، وفي إحدى المناسبات التي أُقيمت بحضور حضرة الشيخ، بدأ الدراويش يطعنون الخناجر في رؤوسهم، ويُدخلون الرماح في أجسادهم، ويؤدّون أعمالًا خارقة أخرى. وقد أثارت هذه المشاهد في البداية شكوك الدكتور هول وسوء ظنه، فاعتبرها نوعًا من الشعوذة أو الخفة اليدوية.

ولإزالة هذا التردد، قال له حضرة الشيخ: هل ترغب أنت أيضًا في تجربة هذا الأمر؟ وبعد أن وافق، أدخل أحد الخلفاء سيخًا معدنيًا من أحد جانبي وجهه حتى خرج من

الجانب الآخر. وبعد التأكد من الأمر، أخرجوا السيخ من جسده.

وقد شاهد الدكتور هول بدهشة أن السيخ قد مرّ من جسده بسهولة، ولم يشعر بألمٍ يُذكر، ولم يحدث أي التهاب، كما أن جرحه التأم في مدة قصيرة.

وكانت هذه التجربة مقدمة لدخوله الرسمي في الطريقة. وبعد ذلك بدأ يكتب مقالات علمية عديدة حول الشفاءات الخارقة لدى مريدي الطريقة الكسنزانية، وقدم هذه المقالات في العديد من المؤتمرات الدولية.

وقد كانت بيني وبين هذا العالم الأمريكي صداقة وثيقة استمرت سنوات طويلة، وبتوجيه من حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) قمنا معًا بتأليف كتابٍ عن الشفاءات الخارقة.

وإلى جانب مقالاته العلمية، كان الدكتور هول يكرر في بعض الندوات العلمية التجربة نفسها التي قام بها في بغداد، وكان يربط بجسده أجهزة تسجيل موجات الدماغ وأنظمة إلكترونية مختلفة، ليبرهن أن هذا النوع من الشفاء الذي

يحدث بالاستمداد من أستاذ الطريقة الكسنزانية يختلف تمامًا عن التنويم المغناطيسي، كما يختلف عن الممارسات التي يقوم بها بعض اليوغيين في الهند أو بعض الممارسين في البرازيل.

وقد أعلن أن مريدي الطريقة الكسنزانية يملكون القدرة على القيام بمثل هذه الأعمال المدهشة، سواء كانوا قد أخذوا الطريقة منذ عشرين عامًا أو قبل دقيقة واحدة، وسواء كانوا مؤمنين بحقيقة الطريقة أو غير مؤمنين بها، وسواء كانت لديهم رغبة في القيام بهذه الأعمال أم لم تكن.

كما أثبت أن القدرة على أداء هذه الأمور لا ترتبط بخصائص نفسية معينة، ولا بمواهب روحية، ولا بقدرات جسدية خاصة. كما لا توجد علاقة بين هذه القدرة وبين مقدار الإيمان أو الرغبة أو الميل أو الحاجة لدى الشخص.

وقد أظهرت قياساته أنه لا يحدث أي تغير في موجات الدماغ أثناء وقوع هذه الكرامات؛ إذ جرى قياس الموجات الدماغية بواسطة فحص EEG.

وفي خلاصة أبحاثه قال:

"يبدو أن المريدين، عند قيامهم بهذه الأفعال، يقعون تحت تأثير قوةٍ تتجاوز حدود المادة".

ونحن نعلم أن هذه "القوة التي تتجاوز حدود المادة"، التي يتحدث عنها العلماء، هي قدرة الله تعالى التي لا تزال - بإذن الله - جارية في هذا الزمان على يد أحد أولياء الله الكبار، وهو شيخ الطريقة.

والآن، وللعودة إلى الموضوع الأساسي للكتاب، أسرد القصة التي رواها لي الدكتور هول - رحمه الله - عن إحدى المؤتمرات العلمية.

قال:

في شهر نوفمبر من عام 2002 قررت المشاركة في مؤتمر دولي حول أساليب العلاج الصينية. وكان هذا المؤتمر يضم عددًا كبيرًا من العلماء البارزين في مجال العلاجات الطاقية، من جمعيات ومدارس واتجاهات علمية مختلفة.

وقد قررت أن أُجري أمام الحاضرين تجربة عملية لأُظهر تأثير الاتصال الروحي ومجال الطاقة، وذلك من خلال إحداث جرحٍ متعمد في جسدي ثم شفائه بسرعة.

وقبل انعقاد المؤتمر تواصلت عبر البريد الإلكتروني مع حضرة الشيخ محمد المحمد (ق)، وكتبت له التاريخ والساعة الدقيقة التي سأجري فيها هذه التجربة. وفي ذلك الوقت كنت أظن أن من الضروري أن يعرف الوقت المحدد ليتمكن من إقامة الاتصال الروحي؛ وهو تصور بسيط أدركت لاحقًا أن له معنى أعمق بكثير".

حلّ اليوم الموعود، وكان قاعة المؤتمر ممتلئة بالمتخصصين والباحثين. وقبل إجراء التجربة، وجّهت تركيزي القلبي بضع لحظات نحو حضرة الشيخ طلباً للحفظ واستمداداً للطاقة، وأقمت الاتصال الروحي.

وبعد نحو دقيقة واحدة، أدخلت سيخًا معدنيًا عبر وجنتي. وكان الحاضرون يراقبون المشهد بدقة كاملة. وبعد نحو ثلاث دقائق، بينما كان السيخ لا يزال في وجنتي، أجرى معي عدد من العلماء مقابلة قصيرة وسألوني عن حالتي الجسدية وإحساسي الداخلي.

وبعد انتهاء المقابلة، أخرجت السيخ. ولم يظهر إلا بضع قطرات من الدم، توقفت تمامًا بعد نحو دقيقة واحدة. وبعد

حوالي عشر دقائق، أصبح موضع الجرح بالكاد يُرى، ولم يبقَ إلا نقطة صغيرة جدًا تشبه أثر الإبرة.

وفي تلك اللحظة قال الدكتور كونستانتين كوروتكوف، أستاذ الفيزياء في الجامعة التقنية الحكومية في سانت بطرسبورغ بروسيا، والذي كان مدعوًا لتقديم أبحاثه حول طريقة تصوير التفريغ الغازي (Gas Discharge Visualization – GDV)، أمام جميع العلماء الحاضرين:

"إذا كنت متيقنًا أن هذه القدرة تُمنح لك من قوة خارجية، فاسمح لي أن أقوم بتصوير تلك القوة".

فوافق الحاضرون على اقتراحه، وتم الاتفاق على أن يبقى جميع الباحثين في القاعة في اليوم التالي بعد انتهاء البرنامج الرسمي للندوة لإجراء هذا الاختبار.

لم تتح لي فرصة التنسيق المسبق مع حضرة الشيخ، ولم أستطع إلا إرسال رسالة بريد إلكتروني قصيرة أخبرته فيها بالوقت التقريبي للتجربة في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي، وأمام جميع المشاركين، قام الدكتور كوروتكوف أولًا بقياس أساسي لمجال الطاقة في جسدي، وعرض النتائج على شاشة العرض. ثم طلب مني أن أزيد من مجال طاقتي.

وفي تلك اللحظة قلت في نفسي:

"يا شيخ محمد، آمل أن تكون الآن هنا"...!

وفي حالة امتزج فيها الخوف بالترقب، ومن دون أي تخطيط مسبق، استمددت في قلبي من حضرة الشيخ. وفجأة وقع أمر مدهش: توقفت جميع أجهزة الحاسوب التابعة لجهاز الدكتور كوروتكوف عن العمل، ولم تفلح كل محاولات تشغيلها من جديد. وفي النهاية اضطروا إلى استبدال الحاسوب الرئيسي.

وبعد تشغيل الجهاز الجديد، كررت في قلبي الاستمداد مرة أخرى. هذه المرة عملت الأجهزة، وسجل نظام GDV زيادة كبيرة في مجال الطاقة في جسدي؛ زيادة كانت واضحة وغير متوقعة إلى درجة أنها أثارت موجة من الدهشة بين جميع العلماء الحاضرين.

تأمّل ختامي

إن هذه الرواية لا تُذكر لإثارة الدهشة، ولا لإثبات الكرامات، ولا للتشجيع على الأعمال الخارقة. وإنما غايتها الإشارة إلى حقيقة عميقة: وهي أن وراء عالم المادة قوة حاضرة حيّة، إذا شاءت أخضعت القوانين الظاهرة للطبيعة لأمرها.

غير أن هذه القوة ليست في يد الإنسان، وليست وسيلة للاستعراض. إنها لا تجري إلا بإذن الله، وعلى أيدي أوليائه الصادقين. فالاستمداد الحقيقي ليس صرخة ظاهرية ولا حركة استعراضية، بل هو اتصال قلبي صادق بين العبد ومصدر القدرة الإلهية.

إن الطريقة اليوم تعلمنا أن أعظم كرامة هي سلامة القلب، وأعظم معجزة هي تغير الأخلاق،
وأسمى تصرف إلهي هو أن يستيقظ الإنسان من غفلته ويعود إلى عبودية خالصة لله.

فإذا كان السيخ يومًا قد مرّ من الوجنة ولم يترك جرحًا، فإن الواجب اليوم أن يمرّ حب الذات من القلب فلا يترك

فيه أثرًا.

وإذا كانت النار قد بردت يومًا على الجسد، فينبغي اليوم أن تخمد نار النفس في الداخل.

وهذه كرامة أعظم من جميع الكرامات.

الرواية 52 – إغواء الشيطان

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في فترةٍ من الفترات كان كثير من الناس يقصدوننا وهم يعانون من مشكلات واضطرابات نفسية خاصة، وهي حالات كان عامة الناس يصفونها بتعابير مثل: «مسحور»، أو «ممسوس»، أو «مصاب بالجن». وكان أكثر هؤلاء يتحسنون بعد أخذ الطريقة، إمّا مباشرة أو بعد مدة من الزمن.

في ذلك الوقت كنت قد جمعت صورًا وتقارير عديدة عن هذه الحالات، وكنت أنوي نشرها في مجلات علمية متخصصة في علم النفس.

تواصلت مع المرحوم الدكتور هوارد هال، الذي ذكرتُه في الصفحات السابقة، وكان طبيباً نفسياً في الولايات المتحدة، وحدثته عن الموضوع، كما أرسلت إليه جزءًا من الصور والتقارير.

وكان رأيي أن نقوم بمراسلة المجلات والمراكز العلمية في مجال علم النفس في الولايات المتحدة، لنطرح فكرة أن «الجنّ والكائنات غير المرئية» قد تكون أحد العوامل المؤثرة في بعض الاضطرابات النفسية.

لم يكن أحد يعلم بهذا المشروع سوى أنا والدكتور هال. ولكن بعد مدة، وعلى نحوٍ غير متوقع، تلقينا اتصالًا من أستاذ الطريقة في ذلك الوقت، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). فقال لنا:

"أوقفوا كل شيء. امسحوا التقارير والصور، وتعالوا إلى السليمانية خلال أسبوعين".

قبل وصول الدكتور هال من الولايات المتحدة بيوم واحد، تشرفت بلقاء حضرة الشيخ. فقال لي بنبرة جادة:

"ما هذه الأعمال التي تريدون القيام بها؟"

أردت أن أشرح الأمر، فقال:

"يا خليفة، لا حاجة أن تقول شيئًا. أنا شيخ الطريقة، وأنا أعلم ما في قلبك".

ثم تلا هذه الآية الكريمة:

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (الأعراف: 16)

وما إن نطق حضرة الشيخ بهذه الكلمات حتى شعرت كأن برنامجًا قد أُدخل إلى قلبي فجأة. وانكشف لي معنى جديد للإغواء. أدركت أن الإغواء ليس مجرد دعوة صريحة إلى المعصية، بل إن الإغواء الحقيقي هو أن يخفي الشيطان نفسه ويُظهر للإنسان صورة العمل الإلهي؛ فيدفعه إلى عمل يبدو في الظاهر خدمةً لله وعباده، بينما يبذر في داخله الخوف والغرور والانحراف.

ثم قال حضرة الشيخ:

"عملنا ليس مع الجن.

الجنّ متعلق بالعالم السفلي.

عملنا مع نور الله، ومع الملائكة، ومع العالم العلوي".

وفي تلك اللحظة أدركت أننا – من غير قصد – كنا نسير في طريق من طرق إغواء الشيطان. كانت نيتنا خدمة الناس، ولكن نتيجة عملنا كانت قد تؤدي إلى نشر الخوف في قلوبهم؛ والخوف أحد أقوى أبواب نفوذ الشياطين.

وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم:

فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ - إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا

(النساء: 76)

هذه الآية تعلن بوضوح أن مكر الشيطان ضعيف بطبيعته، ولكن بشرطٍ واحد: المواجهة. فالله تعالى لا يقول: اجلسوا وتفرجوا، بل يقول: قاتلوا. ضعف الشيطان يظهر أمام من يقف بوعي ويقاوم.

ذات يوم قرأت هذه الآية في مجلس، فقال أحد الحاضرين:

"كيف يكون كيد الشيطان ضعيفًا؟ لقد دمّر حياتي"!

فقلت له:

"أولًا: هذا ليس كلامي، بل كلام خالق الشيطان.

وثانيًا: إن الله يقول في بداية الآية: فقاتلوا، أي قاوموا. فإذا

قاومتَ كان كيد الشيطان ضعيفًا. أما إذا استسلمت للخوف، فمن الطبيعي أن يبدو قويًا".

الشيطان يشبه كلبًا:

إذا هاجمته تراجع،

أما إذا خفت منه وفررت، فإنه يلاحقك ويؤذيك حيثما أدركك.

قوته لا تأتي من ذاته، بل من خوفنا نحن.

ولو أننا مضينا في المشروع الذي كنا نخطط له في ذلك الوقت، لكنا - من حيث لا نشعر - قد ساهمنا في نشر الخوف بين الناس، وهذا يعني توسيع مجال نفوذ الشيطان. ولذلك كنا سنقع، من غير قصد، في صف «أولياء الشيطان»، أي أولئك الذين يهيئون له المجال للعمل، لا الذين يعبدونه مباشرة.

وهذا هو الإغواء الحقيقي:

إغواء قد يوقع حتى كبار الناس - أولئك الذين يريدون أن يصبحوا أولياء لله - في طريق أولياء الشيطان. لا عن طريق

المعصية الصريحة، بل عن طريق الخدمة، والعلم، والبحث، والنوايا التي تبدو في ظاهرها إلهية.

وأمثلة ذلك كثيرة. منها ما حدث مع الدكتور رشاد خليفة، الذي أمضى سنوات طويلة في دراسات عددية حول القرآن، لكنه في النهاية انحرف وادعى أنه «رسول الميثاق»، أي رسول أُرسل لتصحيح فهم القرآن.

وكذلك كثير من الأشخاص الذين يُعرفون في البداية بأنهم من أهل طريق الله، ثم يتحولون - تدريجيًا - إلى أعلام في طريق الشيطان؛ لا بسبب شر ظاهر، بل بسبب الوقوع في فخ الغرور والشعور بالاستغناء عن الهداية.

وهنا يظهر دور الأستاذ الروحي.

فقد أنقذنا حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، ببصيرته الروحية ورعايته الإلهية، أنا والدكتور هوارد هال من هذا الإغواء الخفي؛ إغواء جاء في لباس الخدمة والتنوير، لكنه كان يمكن أن يقودنا إلى طريق خطير.

وهنا يتضح معنى قول الشيخ بايزيد البسطامي:

"من لم يكن له شيخ، كان الشيطان شيخه".

هذه ليست عبارة شعاراتية، بل قانون عميق في طريق السلوك.

فالإنسان إذا لم يكن تحت تربية ومراقبة روحية، قد يضل حتى وهو يظن أنه يسير في طريق الله.

وكم من أشخاص بدأوا طريقهم بنية إلهية صادقة، ولكنهم لما بقوا بلا مرشد، انتهى بهم الطريق في مسار الشيطان.

تأمّل ختامي

إغواء الشيطان لا يأتي دائمًا من باب المعصية الصريحة.

كثيرًا ما يأتي من أبواب «الخدمة»، و«البحث»، و«التنوير»، بل وحتى «الدفاع عن الدين».

ولكن إذا قاد هذا الطريق الإنسان إلى الخوف، أو الغرور، أو الشعور بالتفوق، أو الاستقلال عن الهداية الإلهية، فهناك يبدأ السقوط.

طريق الله طريق نورٍ وسكينةٍ وطمأنينة.

أما طريق الشيطان، فحتى لو بدأ باسم الله، فإنه ينتهي في الغالب إلى القلق والخوف وتمركز الإنسان حول ذاته.

الأستاذ الروحي هو مصباح هذا الطريق؛
ليس ليجعل الإنسان تابعًا له،
بل ليمنعه من أن يخطئ في الظلمة، فيظن السراب نورًا.

الرواية 53 – النجاة بعناية الله

رواية بقلم مؤلف الكتاب

وفيما يتعلق بإغواء الشيطان، أذكر حادثةً أخرى وقعت لي.

قبل سنواتٍ عديدة كنت أعمل مديرًا لمصنعٍ صناعي تابعٍ لإحدى الشركات، وكنت في ذلك الوقت من كبار المساهمين فيها. وكان مجال عملنا تصنيع المعدات الخاصة بالصناعات البحرية وصناعات النفط والغاز والبتروكيماويات.

وفجأة أصيب سوق العمل بركودٍ شديد. ومضت مدة طويلة دون أن نحصل على أي مشروع جديد. ونظرًا إلى أن نحو أربعمائة مهندسٍ وفنيٍّ وعاملٍ كانوا يعملون في مؤسستنا،

أخذت الالتزامات المالية للشركة تزداد يومًا بعد يوم، وأخذ الوضع يتجه نحو أزمة حقيقية.

كلما بذلنا مزيدًا من الجهد بدت الأبواب أكثر انغلاقًا، حتى بلغ الضغط النفسي والاقتصادي أقصاه.

وفي تلك الظروف جاءني أحد معارفي، وكان ابن خالته محافظًا لإحدى المحافظات، فقال لي:

"أستطيع أن أرتب لكم عملًا يحقق ربحًا صافياً قدره مليون وخمسمائة ألف دولار، على أن يكون لنا من هذا المبلغ خمسمائة ألف دولار".

كان هذا العرض في ظاهره طريق نجاة للشركة:

دفع الرواتب،

وسداد الديون،

وإنقاذ مئات العائلات من الأزمة،

والخروج من المأزق الاقتصادي.

لكن حقيقته لم تكن إلا رشوةً وصفقةً محرمة.

فرفضت هذا العرض، لأنني رأيته معارضةً صريحة لأمر الله. فقد كنت قد قرأت في حديثٍ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

"لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ وَالرَّائِشَ بَيْنَهُمَا"

أي:

"لعن الله الراشي والمرتشي والوسيط بينهما".

كما أن القرآن الكريم يبين هذا المعنى بوضوح، إذ يقول تعالى:

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

(البقرة: 188)

أي:

"ولا تأكلوا أموال بعضكم بعضًا بالباطل، ولا تلقوا بها إلى الحكام لتأخذوا بها فريقًا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون".

ومع ذلك، كانت الضغوط الاقتصادية والديون المالية تزداد يومًا بعد يوم حتى كادت تحطمنا.

وفي أحد الأيام، وقفت عصرًا في مكتبي في المصنع أنظر إلى الخارج. فرأيت شبانًا بملابس العمل يعملون بفرحٍ ونشاط.

فجاءني صوت في داخلي يقول:

"إن لم تقبل هذا العمل، فسوف تضطر ابتداءً من الشهر القادم إلى إنهاء عقود هؤلاء الشباب. كثير منهم تزوج حديثًا، وكثير منهم أصبح أبًا، وكثير منهم اشترى أرضًا وبدأ في بناء بيت. فإذا فقدوا أعمالهم، فماذا سيحدث لهم؟ في ظل هذا الركود والبطالة قد ينحرف بعضهم إلى الفساد، وقد يقع بعضهم في الإدمان من شدة الضغط"...

وفي تلك اللحظة، وبهمة أستاذ الطريقة، نجوت من إغواء الشيطان.

فقد جاءني صوت آخر في داخلي يقول:

"أأعصي أمر الله لأنني أريد إنقاذ عباد الله؟! إن الله هو الذي ينقذ عباده. أما أنا فلن أخالف أمره".

وفجأة انقطع إغواء الشيطان، ونزل على قلبي سكونٌ عجيب، حتى شعرت أنه لو دُمِّر المصنع والشركة كلها لما شعرت بأي قلق.

فأمسكت الهاتف واتصلت بذلك الشخص وقلت له:

"أنا لن أقوم بهذا العمل مطلقًا".

ولم تمض أيام قليلة حتى جاءتنا، لا صفقة واحدة، بل ثلاث صفقات جديدة.

أما الشركة التي قبلت عرض ذلك الرجل، فقد تعرضت بعد فترة لخسائر فادحة عندما أُقيل ابن خالته من منصبه، وانتهى بها الأمر إلى الإفلاس.

تأمّل ختامي

إغواء الشيطان لا يأتي دائمًا بدعوةٍ صريحة إلى المعصية؛

فقد يتكلم أحيانًا بلسان الشفقة،

وباسم إنقاذ الناس،

وتحت عنوان حفظ السمعة،

وبذريعة الظروف الطارئة.

وفي مثل هذه اللحظات يصبح الحدّ الفاصل بين الحق والباطل دقيقًا جدًا.

يظنّ الإنسان أنه يجاهد من أجل الله،

بينما هو في الحقيقة يريد أن يقوم بعملٍ بغير إذن الله.

وهنا يظهر المعنى الحقيقي للتوكل:

أن يؤمن الإنسان بأن الله تعالى ليس محتاجًا إلى معصيتنا لكي ينقذ عباده.

فهو سبحانه خير حافظٍ وخير رازق.

وأحيانًا لا تكون أعظم الكرامة أن تُفتح الأبواب المغلقة،

بل أن يبقى قلب الإنسان مغلقًا في وجه الحرام،

حتى حين تبدو جميع أبواب الدنيا مغلقة.

الرواية 54 – إيمان أطباء الأسنان

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام جاء ثلاثة أطباء أسنان شباب، كانوا قد تعرّفوا على الطريقة من خلال أحد معارفهم، من مدينةٍ

أخرى ليشاركوا في مجلس الذكر الذي يُقام مساء كل يوم خميس في تكيّتنا. وقبل بدء المجلس قالوا لي بصراحة:

"لقد حدّثنا صديقنا عن بعض الأمور الخارقة التي شاهدها في الطريقة. فإن كان ما يقوله صحيحًا، فنحن أيضًا نقبل الطريقة".

فقلت لهم:

"في الطريقة نحن لا نسعى عادةً إلى إظهار هذه الأمور، فالأصل في الطريق هو الذكر والتوبة واتصال القلب بالله. ولكن إكرامًا لكم، بعد انتهاء مجلس الذكر وانصراف الدراويش، نصعد إلى الطابق العلوي وأريكم ما تريدون".

وبعد انتهاء المجلس وانصراف الجميع، صعدنا إلى غرفة في الطابق العلوي. فأحضرت سيخًا حديديًا، يقارب في سماكته إبرة حياكة كبيرة. ثم قلت لهم:

"لا أقوم بهذا العمل عادةً مع دراويشنا، لأنكم قد تظنون أننا تلقّينا تدريبًا خاصًا أو أن الأمر نوع من الخفة أو الخداع. فإذا أردتم اليقين حقًا، فيجب أن نجرّب ذلك على أحدكم".

فقالوا بخوفٍ وتعجب:

"لا، هذا مؤلم"! فخرج الكلام من لساني بلا تردد:

"لا، لا يؤلم".

قالوا: "سيحدث نزيف".

فقلت مرة أخرى دون تفكير:

"لا، لن يحدث نزيف".

والحقيقة أن هذا الأمر قد يصاحبه أحيانًا شيء يسير من الألم أو نزفٌ بسيط، ولكن الكلمات خرجت من فمي دون حساب.

فسأل أحدهم: "هل أنت متأكد؟"

قلت: "نعم".

فقال: "إذا كان لا يؤلم ولا يسبب نزيفًا، فافعل ذلك بي".

فأدخلت السيخ برفق من داخل فمه عبر خده حتى خرج من الجهة الأخرى. ولم يظهر على وجهه أي أثر للألم. وبعد بضع دقائق أخرجت السيخ. ولم يبق على الجلد إلا أثر خفيف جدًا.

لكن الأمر الأكثر إدهاشًا أن على السيخ كانت مادة شفافة لامعة، تشبه العسل لكنها أخف منه. ومع ذلك لم تظهر قطرة دم واحدة، لا على وجهه ولا على السيخ.

وقف الأطباء الثلاثة ينظرون إلى السيخ بدهشة، يلمسون تلك المادة ويتحدثون فيما بينهم بمصطلحاتهم الطبية. ثم أضجعوا صديقهم على الأرض وبدأوا يفحصون موضع مرور السيخ من داخل الفم وخارجه بدقة. فلم يجدوا أي أثر لجرح أو نزيف أو تلف في الأنسجة.

وبعد ذلك قالوا جميعًا، وهم في حالة من الدهشة والخشوع:

"نحن مستعدون لأخذ الطريقة".

وفي المكان نفسه أُعطيت لهم الطريقة.

تأمّل ختامي

لم تكن هذه الحادثة مجرد عرضٍ لكرامة، بقدر ما كانت تحطيمًا لجدار الغرور العلمي.

فقد جاءوا بعين الطبيب، وبمنطق التجربة، وبمقاييس الجسد؛ لكنهم واجهوا حقيقة تتجاوز حدود المختبر.

العلم أداة لمعرفة عالم المادة،

أما الإيمان فهو باب معرفة عالم المعنى.

وحين يخطو الإنسان خطوة صادقة، قد يرسل الله إليه علامة تطمئن قلبه؛ لا لإثبات قدرة الإنسان، بل لتذكيره بقدرة الله.

لم يكن ذلك السيخ الحديدي وسيلة استعراض ولا هدفًا في ذاته؛ بل كان مجرد ستارٍ انكشف لحظةً قصيرة، ليظهر وراءه معنى أعظم.

ولعل أهم رسالة في هذه الواقعة هي أن الإيمان الحقيقي يبدأ حين يدرك الإنسان أن ليس كل شيء يمكن قياسه بميزان العلم أو بأدوات المادة.

فبعض الحقائق لا تُدرَك بالأجهزة، بل تُدرَك بالقلوب.

الرواية 55 – وضوءٌ بالماء المغلي

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام جاء أحد الخلفاء إلى تكيّتنا ومعه شابٌّ حسن الهيئة، يفيض وجهه نورًا، ويتّصف بأدبٍ ووقارٍ لافتين. وكان هدوؤه وسكينته لا يوحيان أبدًا بأنه كان في يومٍ من الأيام سجينًا خطيرًا.

وكان ذلك الخليفة يعمل طباخًا في أحد سجون المدينة. وفي حضور ذلك الشاب بدأ يروي لنا قصة عجيبة فقال:

"إن هذا الشاب الذي ترونه اليوم هادئًا مهذبًا، كان في الماضي من أخطر السجناء لدينا. لم يكن يمرّ يوم تقريبًا دون أن يتشاجر مع أحد، أو يكسر يدًا أو قدمًا، أو يثير فوضى في السجن. بل كان عضوًا في شبكة تُدخل المخدرات إلى السجن وتوزعها بين السجناء.

وفي أحد الأيام أُرسل للعمل الإجباري في مطبخ السجن. فجاء إليّ وقال:

ماذا تفعل حتى تكون هادئًا إلى هذا الحد؟ أنا أيضًا أريد أن أصبح مثلك.

فقلت له: أنا درويش، وإذا أردت يمكنني أن أدخلك في الطريقة.

لم أكن أظن أنه سيأخذ كلامي بجدية، لكنه تاب فعلًا ودخل الطريقة. وأعطيته ورقة الأذكار. ومنذ اليوم الأول كان تغيّره مدهشًا. فالشخص الذي كان مشهورًا بالعنف والتمرد بدأ يذهب إلى مصلى السجن، وبعد الصلاة يضع ورقة الأذكار أمامه ويذكر الله بتركيز.

وقد أحدث هذا التغيير ضجة كبيرة في السجن، حتى أخذ الجميع يتساءلون: ماذا حدث لهذا الشاب؟"

ثم تابع قائلاً:

"في أحد الأيام جاء إمام مسجد السجن فجأة ووقف فوق رأس هذا الشاب وهو يذكر الله، وسأله بغضب: ما هذه الورقة؟

فقال الشاب: لقد دخلت الطريقة، وأنا متصل روحيًا بالشيخ محمد المحمد، وهو أستاذنا.

فغضب الإمام وقال:

الاتصال بغير الله شرك! وهذه الأعمال لا أصل لها في الشريعة.

ثم أخذ ورقة الأذكار منه.

وبعد أن انتهى السجناء من تناول الغداء، كنت أعمل في المطبخ، فإذا بالإمام يدخل ومعه رئيس الحرس ورئيس السجن. واتجهوا مباشرة نحوي.

فقال الإمام بصوتٍ عالٍ:

من هو هذا الشيخ محمد المحمد الذي تذكر اسمه بين السجناء؟ وما هذه الأذكار التي تعطيها لهم؟ هذا شرك!

ثم كرر اسم حضرة الشيخ عدة مرات بنبرة فيها شيء من الاستهزاء.

فقلت بهدوء:

الآن سأريكم من هو.

كان في المطبخ أربعة سماورات كبيرة، سعة كل واحد منها نحو مئتي لتر، وكانت تغلي لإعداد الشاي بعد الغداء.

فتقدمت إلى أحدها وفتحت صنبور الماء المغلي، فامتلأ المكان بالبخار.

ثم رفعت كُمّي وبدأت أتوضأ بالماء المغلي.

غسلت يديّ، ومسحت الماء على وجهي، ثم غسلت يدي اليمنى.

وبينما كنت أغسل يدي اليسرى، أسرع رئيس السجن نحوي وأغلق الصنبور، ثم قبّل وجهي وقال:

يا سيد، سامحنا... لقد وصلتنا الإجابة".

ثم تابع الخليفة حديثه فقال:

"بعد أيام قليلة جاءت عائلة هذا الشاب لزيارته، مع أنهم كانوا قد قاطعوه سنوات طويلة بسبب إدمانه وفساده، ولم يكونوا يأتون لرؤيته.

وبعد مدة قصيرة، مع أنه كان لا يزال أمامه تسع سنوات من مدة حكمه، شمله عفو خاص وأُطلق سراحه.

واليوم، عندما قرر والده أن يدخل الطريقة، قلت له أن يأتي إلى تكيّتكم، ولهذا جئنا إلى هنا".

وبعد ساعة تقريبًا جاء والد ذلك الشاب إلى التكية، وأخذ الطريقة، وهو يبكي من الفرح، شاكرًا شيخ الطريقة لأنه أعاد ابنه إلى طريق النور والإيمان والإنسانية.

تأمّل ختامي

هذه القصة تذكّرنا بحقيقةٍ عميقة:

فالإنسان، مهما غرق في الظلمات، إذا وصل إلى قلبه شعاعٌ من نور، بقيت أمامه دائمًا إمكانية الرجوع.

فالطريقة ليست معجزتها تغيير المظاهر الخارجية؛

بل معجزتها التحوّل في الباطن.

وأحيانًا قد يكون ذكرٌ واحد، أو اتصالٌ صادق، أو توبةٌ حقيقية، كافيًا لتغيير طريقٍ صنعته سنوات من العنف والإدمان والذنوب.

وما أجمل تلك اللحظة التي تظهر فيها القوة الحقيقية،

لا بالصراخ والإجبار، بل بالسكينة واليقين والنور.

الرواية 56 – الخنجر في الحجر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

قبل سنواتٍ عديدة، دعتنا جمعيةٌ ثقافية في إحدى المدن إلى حضور اجتماعهم الشهري للحديث عن الطريقة. فذهبتُ إلى هناك مع مجموعة من الدراويش، وأخذتُ معي بعض الأدوات مثل الخناجر والرماح التي كانت تُستعمل في الأعمال الخارقة.

وكان أعضاء الجمعية الرئيسيون، وهم في الغالب أساتذة في المعارف الإسلامية وبعضهم من أساتذة العلوم والهندسة، يحملون موقفًا سلبيًا شديدًا تجاه الطريقة. وكان يبدو أن الهدف من دعوتنا هو إظهار أن الطريقة أمر غير صحيح ومرفوض.

تحدثتُ نحو عشرين دقيقة عن الطريقة، وشرحت حقيقتها مستندًا إلى آياتٍ من القرآن الكريم وأحاديث نبوية وكلام كبار العلماء. لكن ما إن انتهيت من حديثي حتى بدأوا يردّون على كل ما قلت.

كنت أقرأ آية، فيجيبون بثلاث آيات.

وأذكر حديثًا، فيأتون بثلاثة أحاديث.

وكان في القاعة نحو مئة شخص، وقد اتخذوا جميعًا موقفًا سلبيًا من الطريقة.

فقلت لهم: "هل تقبلون الإمام الحسين (ع) مجاهدًا عظيمًا في سبيل الله؟"

قالوا: "بالطبع نقبله".

قلت:

"وهل أنتم مستعدون أيضًا أن تعرّضوا أنفسكم للخطر من أجل هداية الناس كما فعل ذلك الإمام العظيم؟"

ساد صمتٌ ثقيل في القاعة، ولم يجب أحد.

فقلت:

"انظروا، هذا الشاب مستعد".

وأشرت إلى أحد الدراويش فدعوتُه. فجاء وجلس على الأرض. فأخذت خنجرًا، وبأداةٍ خاصة بدأت أدقّ الخنجر في رأسه.

صرخت بعض النساء وبكين،

وشحب وجه الرجال وهم يشاهدون المشهد بأفواهٍ مفتوحة.

ثم قلت:

"الآن ليتفضل أحدكم ويخرج هذا الخنجر من رأسه".

لكن لم يجرؤ أحد على التقدم.

وفجأة تقدم رجل قوي البنية، قصير القامة، شديد البأس.

أمسك مقبض الخنجر وسحبه بكل قوته، لكن الخنجر لم يتحرك.

اقترب أكثر وسحبه بكلتا يديه.

حتى إن الدرويش ارتفع من الأرض، لكن الخنجر لم يخرج.

تغير لون وجه الرجل من السواد إلى البياض الشديد، فترك الخنجر وتراجع.

ثم حاول رجلان آخران الأمر نفسه.

وكان المشهد أشبه بقصة "السيف في الحجر"، إذ لم يتحرك الخنجر أدنى حركة.

فقلت بصوت مرتفع:

"رأيتم أنه لم يخرج. والآن سأخرجه بنفسي".

تقدمت، أمسكت الخنجر وسحبته.

لكنه لم يخرج.

دهشت في داخلي؛ لأن الخنجر كان يخرج دائمًا بسهولة عند الاستمداد من أستاذ الطريقة، أما هذه المرة فلم يتحرك إطلاقًا.

أمسك درويشان رأس ذلك الشاب، وسحبت الخنجر بكل قوتي.

لكن دون جدوى.

كان الخنجر ثابتًا في الجمجمة كأنه ملتحم بالحديد. وعندما تركته اهتزّ وارتجف.

وفي تلك اللحظة شعرت بشيء من الخوف، وقلت في نفسي:

"هم لم يستطيعوا... وأنا أيضًا لم أستطع... فماذا أفعل الآن؟" وفجأة سمعت في قلبي صوتًا يقول:

"قل لهم أن يقولوا: يا غوث".

فقلت بصوت مرتفع:

"قولوا جميعًا: يا غوث"!

وكان الناس يبكون ويضطربون، فصرخوا جميعًا:

"يا غوث! يا غوث"!

تقدمت، أمسكت الخنجر، وكأنني أسحب سكينًا من داخل كعكة، أخرجته بسهولة.

وبعد أن هدأ الجو، بايع عدد كبير منهم الطريقة.

والأمر العجيب أنني كنت قد قلت في كلامي قبل ذلك:

إن الشيخ في الطريقة هو "الغوث"،
والغوث هو المُغيث.

وأن أولياء الله يستطيعون - بإذن الله - أن يتصرفوا في الأمور، كما فعل آصف بن برخيا عندما أحضر عرش بلقيس إلى سليمان (عليه السلام) في طرفة عين، وأن يلبّوا استغاثة المريد.

لقد سخروا من هذا الكلام في البداية،
لكنهم في النهاية، ومن شدة الخوف والعجز، كانوا هم أنفسهم الذين صرخوا:

"يا غوث... يا غوث"...

تأمّل ختامي

هذه الرواية ليست لإثبات قدرة الإنسان، بل لإظهار عجزه المطلق.

ففي تلك اللحظة لم يكن بوسع أحد أن يفعل شيئًا، حتى أولئك الذين كانوا يدّعون العلم والقدرة، بل وحتى أنا نفسي.

ولمّا اتصلت القلوب بنقطةٍ واحدة، وارتفع نداء الاستغاثة الصادق، انحلّت العقدة.

إن صورة «السيف في الحجر» تذكّرنا بحقيقةٍ عميقة:

فبعض العقد لا تُفتح بقوة الذراع،

ولا تُحلّ بالعلم وحده،

وإنما تُفتح حين يتصل القلب بمصدر القوة الحقيقية، وهو الله تعالى.

الرواية 57 – التجمّد في النار

رواية بقلم مؤلف الكتاب

هذه رواية أخرى تعود إلى تلك الأعمال الخارقة التي كان دراويش الطريقة الكسنزانية يقومون بها في الماضي، وقد ذكرتُ فلسفتها في الرواية السابقة.

كان الخليفة عارف – رحمه الله – من الخلفاء القدامى للطريقة الكسنزانية. وكان من خلفاء الشيخ عبد الكريم الكسنزان، جدّ الشيخ الحاضر، وكان شديد المحبة والإخلاص له، حتى إنه كان يقتدي به في أسلوب حياته وسلوكه وحتى في طعامه.

فمن بين الفواكه لم يكن يأكل إلا الخوخ. فسألته يومًا عن سبب ذلك فقال:

"لأن شيخي كان يحب الخوخ".

وكان طعامه قليلًا جدًا، غالبًا قطعة خبز مع ماء ولبن. ولذلك كان جسمه ضعيفًا نحيلًا. وكنت كثيرًا ما أقول له:

"يا خليفة عارف، كُل الطعام، فقد تمرض".

فكان يجيب بحزم:

"لا، لا آكل، لأن الشيخ عبد الكريم لم يكن يأكل".

وفي شبابه، في زمن حضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان (ق)، وقع من الخليفة عارف أمرٌ لا يزال يُروى بين الدراويش بوصفه حادثة استثنائية شهدها كثير من الناس.

ففي يوم من الأيام أمر حضرة الشيخ الدراويش أن يجمعوا حطباً ويأتوا بالنفط لبرنامج سيقام في الليل. وكان النفط في ذلك الزمن يُحمل في صفائح معدنية. فجمع الدراويش مقداراً كبيراً من الحطب، وأحضروا نحو عشرين صفيحة من النفط، وصبّوا النفط فوق الحطب.

وقبيل غروب الشمس جاء عدد من العلماء ورجال الدين ممن كانوا يعارضون الطريقة لزيارة حضرة الشيخ. وبدأ الحديث بينهم، وشرعوا يستدلّون بآيات من القرآن الكريم للطعن في صحة الطريقة.

وفي تلك اللحظة أمر حضرة الشيخ بإشعال الحطب. فاشتعلت نار عظيمة ارتفعت ألسنتها أكثر من ستة أمتار، وكان منظرها يبعث الهيبة والخوف في قلوب الحاضرين.

ثم التفت إليهم وقال: "هل ترون أنفسكم على الحق؟"

قالوا: "ماذا تقصد؟"

فقال:

"إن كنتم على الحق وكان الله يؤيدكم، فهل تستطيعون أن تحفظوا أحدًا من هذه النار؟"

نظر بعضهم إلى بعض في دهشة، وساد الصمت.

فقال حضرة الشيخ:

"ليدخل أحد الدراويش هذه النار".

وفي اللحظة نفسها تقدّم الخليفة عارف — وكان حديث العهد بالطريقة — من غير تردد نحو ألسنة اللهب. فوضع يده على عمامة كان قد استعارها من أحد أصدقائه، ثم دخل مباشرة في النار. وبقي مدة طويلة بين اللهب، ثم خرج منها بهدوء.

فرأى الجميع بدهشة أن جسده لم يحترق، بل لم تحترق حتى شعرة واحدة من رأسه. ولم يتغير إلا لون العمامة، إذ مالت إلى لون بنيّ داكن.

فسألوه:

"لماذا تغيّر لون عمامتك؟"

فقال:

"لأن هذه العمامة كانت أمانة. وعندما دخلت النار قلت في نفسي: يا رب، هذه العمامة أمانة، ليتَها لا تحترق".

فلما رأى حضرة الشيخ هذا الحال، نزع عمامته المباركة وأهداها إليه.

وكانت هذه الكرامة سبباً في توبة عدد كبير من المعارضين وانضمامهم إلى الطريقة.

وبعد سنوات، حين تعرّفت إلى الخليفة عارف، سألته عن هذه الحادثة. فلما حكاها لي بتفاصيلها قلت له:

"كيف تجرأت على دخول تلك النار؟ ألم تكن حرارة النار تحرقك؟"

فقال بهدوء:

"لم تكن النار حارة، بل كانت شديدة البرودة. عندما كنت في وسطها كنت أشعر بتجمّد شديد، حتى إنني كنت أضع ألسنة اللهب تحت إبطي لأتدفأ قليلًا. والأعجب من ذلك أن لون اللهب كان أخضر".

وفي تلك اللحظة أدركتُ معنى آية من القرآن الكريم بكل كياني، وهي قول الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام):

قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (الأنبياء: 69)

فقلت في نفسي:

لو أن الله تعالى قال فقط "بردًا" ولم يقل "وسلامًا"، لربما تحوّل ذلك البرد إلى تجمّد قاتل.

وهذا هو ما اختبره الخليفة عارف في النار، بردٌ كان يمكن أن يتحول إلى تجمّد مؤذٍ، لو لم يكن معه السلام الإلهي.

تأمّل ختامي

تُبيّن هذه الرواية أن النار والماء والبرد والحرارة كلّها وسائل، أمّا الفاعل الحقيقي فهو الله تعالى.

فالنار في ذاتها لا تحرق ولا تُسخّن،

فالإحراق وعدمه، والتسخين والتبريد، كلّ ذلك إنما يكون بإرادته سبحانه.

وفي الرؤية العرفانية، ليست الكرامة في أن لا يحترق الإنسان في النار،

بل الكرامة الحقيقية أن يدرك الإنسان أن النار نفسها لا تستطيع أن تفعل شيئًا بغير إذن الله.

الرواية 58 – التأييد الإلهي لمقام الأولياء

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام سافرتُ مع الخليفة عارف – الذي ذكرتُ حديثه في الصفحات السابقة – إلى إحدى مدن شمال شرق، وذلك تلبيةً لدعوة شخصٍ يعمل مهندسًا في مجال البناء، حيث دعانا إلى بيته للإرشاد.

وكانت زوجة المضيف امرأةً ذات قلبٍ حيّ، شاعرة، ومطلعة على الأدب الفارسي. وقد عبّرت عن محبتها واحترامها للخليفة عارف بصدقٍ قائلة:

"حين علمتُ أن الخليفة عارف سيزور بيتنا، أردتُ أن أنظم قصيدة تكريمًا له. حاولت كثيرًا، لكن لم تجرِ على لساني أبيات تليق بمقامه. ثم بدأت أبحث في كتب الشعر المختلفة، ولكنني لم أجد شيئًا مناسبًا. وبعد ساعتين ونصف من

البحث، تعبتُ ويئست، فوضعت الكتب جانبًا وجلست على الأرض".

ثم أضافت:

"وفي تلك اللحظة قلت في نفسي: أليسوا يقولون إن الخليفة عارف من أولياء الله؟ إذن فليجد هو بنفسه شعرًا يليق به".

ثم تناولتُ أحدَ كتبِ الشعر من غير قصد وفتحته، فأَرَتْنا الصفحةَ التي انفتحت عليها. وكان الكتاب هو «پندنامه» للعطار. وكانت الصفحة تتضمّن أبياتًا جميلة باللغة الفارسية، لكنني سأذكر لكم معناها بالعربية. صحيحٌ أن الترجمة لا تحمل جمال النص الفارسي الكامل، لكنها تنقل المعنى. وهذه هي الأبيات:

من لم يكن **عارفًا** فليس حيًّا حقًّا
ولا يكون أهلًا لقرب الحق ولا جديرًا به

في قلبِ **العارف** مهرٌ ووفاء
وكلُّ عملِ **العارف** صفاء

ومن منحه الله المعرفة
فلا مكان في قلبه لغير الحق

وكان كتاب «پندنامه» مكتوبًا بالفارسية، وكان الأمر الأكثر إدهاشًا في هذا الاختيار ظهور اسم «عارف» في تلك الأبيات نفسها، مرةً في البيت الأول ومرتين في البيت الثاني. وكان في ذلك توافقٌ واضحٌ ومثيرٌ للتأمل بين الاسم والمعنى، حتى كأن الأبيات خرجت لاستقبال صاحب الاسم بنفسها.

وعندما يبلغ أحدُ الخلفاء منزلةً يظهر معها مثل هذا الأثر من غير طلبٍ ولا تكلّف، يمكن للإنسان أن يدرك من خلال ذلك عظمة مقام أستاذه أيضًا.

وعندما انتقل الخليفة عارف إلى رحمة الله، نقشْنا هذه الأبيات الثلاثة نفسها على شاهدة قبره، لا لزيادة اسمه شأنًا، بل تذكيرًا بالطريق الذي سلكه بإخلاص.

تأمّل ختامي

في هذه الرواية تتجلى الكرامة في توافق المعنى مع الاسم، والنية مع الإشارة.

فالشعر لم يُبحث عنه، ولكنه وُجد،

والكتاب فُتح من غير قصد ليُظهر حقيقة من غير كلام.

وهذا التأييد ليس من باب الادعاء ولا من باب الاستعراض، بل هو إشارة هادئة لقلوبٍ تريد أن تفهم.

فهكذا يُعرف أولياء الله:

لا يُعرفون بكثرة الكلام، بل بصمت حياتهم.

وأحيانًا يشهد الله تعالى بنفسه لمقام عباده المخلصين؛

لا من أجلهم، بل من أجل الآخرين.

الرواية 59 – حيوانٌ ذو درجة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كان للخليفة عارف، الذي ذُكر في الرواية السابقة، حمارٌ أبيض اشتهر خبره في أنحاء كردستان. وقد كان هذا الحيوان يُظهر من السلوك ما يثير الدهشة في نفس كل من يراه؛ حتى كأنّه لم يكن حيوانًا عاديًا، بل كأنه يحمل نوعًا من الأمانة أو الهداية الخاصة.

وذات يوم نقل لي جماعة من الدراويش أنهم أرادوا السفر إلى العراق لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد (ق).

لكن في ذلك الوقت كانت الحدود مغلقة بسبب الحرب بين إيران والعراق، ولم يكن العبور الرسمي ممكنًا، فكان عليهم أن يسلكوا طرقًا غير قانونية محفوفة بالمخاطر.

فذهبوا إلى بيت الخليفة عارف، الذي كان يسكن في جبال قريبة من الحدود الإيرانية، وطلبوا منه أن يدلّهم على الطريق.

فأعطاهم حماره الأبيض من غير شرحٍ ولا تفصيل، وقال لهم:

هذا الحمار يعرف الطريق، فاذهبوا معه، وسوف يرشدكم.

يقول الدراويش إنهم، مع شيءٍ من التردد ولكن مع التوكل على الله، انطلقوا وراء الحمار.

فلما اقتربوا من الحدود، رأوا حارسين مسلحين يقفان خارج مركز حرس الحدود القائم على مرتفع، وكانا يراقبان المنطقة بالمناظير.

فقالوا في أنفسهم: إن تقدمنا فسوف يروننا لا محالة ويطلقون النار علينا. ولم يكن هناك طريق ظاهر للعبور، فغلب عليهم اليأس.

وفي تلك اللحظة، انفصل حمار الخليفة عارف عنهم فجأة، وانطلق مسرعًا نحو مركز الحراسة، ودخل إليه مباشرة.

وبعد ثوانٍ قليلة، سُمعت أصوات صياح واضطراب من داخل المركز، فاندفع الحارسان إلى الداخل مسرعين. فاستغل الدراويش الفرصة، وعبروا الحدود سريعًا من الموضع الذي لم يكن فيه حاجز واضح.

ولم تمض دقائق حتى رأوا الحمار يخرج مسرعًا من جهة المركز، ويلحق بهم؛ كأنه أتمّ مهمته.

وقد كانوا يروون أيضًا حكايات أخرى عن هذا الحمار.

فكان الخليفة عارف يضع على ظهره بعض الأحمال، فيسير الحمار وحده، بلا مرافق، حتى يصل إلى محل إقامة حضرة الشيخ في كربچنه — وهو مكان يبعد مئات الكيلومترات — فيوصل الحمل هناك، ثم يعود بعد أيام، من غير أن يضل الطريق أو يصيبه أذى.

وذات يوم كنا جالسين مع جماعة من الخلفاء والدراويش عند الخليفة عارف، فقصّ علينا خبر موت حماره، فقال:

«في إحدى المرات ذهبنا مع جماعة من الدراويش لزيارة حضرة الشيخ. وفجأة قال الشيخ:

يا عارف، إذا مات حمارك يومًا، فكفّنه وادفنه كما يُدفن الإنسان» . قال عارف:

«لم أقل شيئًا حينها. ولكن عندما عدت إلى البيت، رأيت أن حماري قد مات قبل ساعات، وكان ملقى في الجبل القريب من المنزل.

فأردت تنفيذ أمر حضرة الشيخ، لكنني ترددت. قلت في نفسي: ربما يُساء فهم هذا العمل، ويقول المخالفون إن الدراويش أحدثوا بدعة ودفنوا حيوانًا كما يُدفن الإنسان» .

ثم قال:

«وبعد أيام جاء بعض الذين كانوا معي في تلك الزيارة، وكانوا قد سمعوا كلام الشيخ، وقالوا:

يا عارف، نريد أن نكفّن الحمار وندفنه.

العجيب أنه مضى عليه عدة أيام في الجبل، ومع ذلك لم تظهر له رائحة، ولم يقترب منه أي حيوان، كأنه مات في تلك اللحظة» .

قال الخليفة عارف:

حينما قمنا بتنفيذ أمر حضرة الشيخ معًا. غسلنا الحمار، وكفّنّاه، ثم دفنّاه.

فلما وصل الحديث إلى هذا الموضع، قال أحد الدراويش – وكان رجلًا بسيطًا طيب القلب يُدعى حسن – مبتسمًا:

«يا خليفة عارف، قل لنا بصراحة: هل كانت درجة حمارك أعلى أم درجتي أنا؟»

فأجابه الخليفة عارف بصوته الهادئ ونظرته العميقة:

«يا حسن، إن درجة حماري كانت عالية جدًا» .

فضحكنا جميعًا، وقال أحد الحاضرين مازحًا:

«يا حسن، يبدو أن خليفة عارف يقصد أن درجة حماره أعلى منك بكثير! »

لكن في قلوبنا كنا نعلم أن هذا الضحك إنما كان لتلطيف المجلس، لا لإنكار حقيقة أعمق.

تأمّل ختامي

هذه الرواية، في ظاهرها، تتحدث عن حمار، لكنها في حقيقتها ليست عن «الدرجة»، بل عن «الطاعة».

فالدرجة الحقيقية لا ترتبط بكون الإنسان إنسانًا، ولا بالشكل أو الظاهر، وإنما بقدر تسليم الكائن لإرادة الله.

فذلك الحيوان كان يسير بلا ادعاء، ولا سؤال، ولا تردد، في الطريق الذي قُدّر له. لم يعترض، ولم يتفاخر، ولم يحسب الربح والخسارة، بل أدى مهمته فحسب.

أما الإنسان، فمع ما لديه من عقل وفهم، قد يعجز أحيانًا عن طاعةٍ بسيطة. يتردد، ويحسب الحسابات، ويخاف من حكم الناس.

كما تردد الخليفة عارف في البداية في تنفيذ أمر حضرة الشيخ، لا من قلة احترام، بل خوفًا من تفسير الناس للأمر على غير وجهه.

وهكذا تعلّمنا هذه القصة أن:

في طريق الحق، قد يتقدم قلبٌ صادق مطيع على آلاف العقول الصاخبة.

وأحيانًا يكون حيوانٌ بطاعته الكاملة مرآةً يرى الإنسان فيها المسافة بينه وبين الحقيقة.

فلعل «درجة الحمار العالية» لم تكن مزحة فحسب، بل كانت تلميحًا لطيفًا إلى أن معيار الكرامة ليس الشكل ولا اللقب، بل الصدق في العبودية.

الرواية 60 – عدم الاحتراق بالنار

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كانت امرأةٌ تأتي إلى بيتنا أحيانًا لتساعد في بعض أعمال المنزل. وبعد أن تشرفتُ أنا وزوجتي بالطريقة، انضمت هي أيضًا إلى الطريقة الكسنزانية، على الرغم من أن أسرتها كانت ذات توجه ديني متشدد وجاف، ولم تكن تميل إلى التصوف. غير أنّ بعض الأمور الخارقة التي حدثت لها، إضافة إلى عدة رؤى رأتها، كانت سببًا في دخولها الطريقة.

وذات يوم جاءت إلى بيتنا وروت لنا القصة الآتية:

"كنتُ يوم أمس أقرأ كتابًا في التصوف، وهو من مؤلفات شيخ الطريقة، وفيه صور عديدة لكرامات وأمور خارقة يقوم بها الدراويش. رأت ابنتاي الكتّاب – إحداهما في الصف الأخير من المرحلة الثانوية، والأخرى في نحو الثلاثين من عمرها – فسألتا عن تلك الصور، وقالتا: لماذا لا يُصاب الدراويش بأذى حين يقومون بهذه الأمور؟

فقلت لهما إن شيخ الطريقة يحفظ مريديه، بإذن الله تعالى، من حدّ السيف ومن لهيب النار.

فقالتا لي باستغراب: أيعني هذا أن شيخك يحفظك أنت أيضًا؟

فقلت: أظن ذلك.

فقالتا: إذا استطعتِ أن تثبتي لنا ذلك، فإننا سننضم نحن أيضًا إلى الطريقة."

وأضافت:

"في تلك اللحظة كانت إحدى ابنتي تُعِدُّ الفحم لأرجيلة أبيها. فنظرتُ إلى قطع الفحم المتقدة التي أُخرجت من موقد النار، وقلتُ لهما:

أنا لم أفعل مثل هذا من قبل، لكنني سأمسك بهذه الجمرة بيدي. فإن احترقت يدي، فسارعا فورًا إلى نقلي إلى الطبيب، لأن الحرق سيكون عميقًا."

وتابعت قائلة:

"وقبل أن تتمكن ابنتاي من الرد، أمسكتُ بقطعةٍ من الفحم المتقد بيدي. فصرختا من شدة الخوف، وحاولتا أن تمنعاني، لكنني لم أشعر بأي ألمٍ أو انزعاج. وبقيتُ ممسكةً بالجمرة الحمراء مدةً من الوقت، من غير أن يظهر على يدي أي أثرٍ للحرق. فامتلأت أعينُ ابنتيَّ بالدموع، وامتلأت قلوبُهما بالدهشة حتى وصلتا إلى اليقين."

وبعد مدةٍ قصيرة، جاءت الثلاث جميعًا – الأم وابنتاها – إلى بيتنا، فأخذن الطريقة.

الرواية 61 - النجاة من نفق الظلمات

رواية لأحد سالكي الطريقة

رأيتُ في المنام نفسي في مكان يشبه نفقًا شديد الظلمة، حتى إن الظلام كان كثيفًا إلى درجة أنني لم أكن أستطيع رؤية شيءٍ ولا أحد. كان كل شيءٍ غارقًا في سوادٍ مطبق.

وفي تلك الحال، شعرتُ فجأةً بوجود مخلوقٍ مخيفٍ يقترب مني من الخلف، كأنه يشقّ الهواء شقًّا. لم أدركْ ذلك بعيني، بل أحسست به في أعماق كياني. فاستولى عليّ خوفٌ عظيم، وجرى على لساني من غير إرادةٍ مني:

"يا غوث".

وفي اللحظة نفسها، رأيتُ رجلًا شديد الإشراق، يضع على رأسه عمامةً خضراء، يمتطي حصانًا أبيض، يقترب مني بسرعةٍ من الخلف. وقد أضاء نور ذلك الفارس وفرسه ما حولي من الظلام.

وكان للحصان جناحان عظيمان لا يشبهان أجنحة الطيور، وكان يسير مرتفعًا عن الأرض، بحيث لا تمسّ قوائمه التراب، ولا يُسمع لخطوه أي صوت.

ومن غير أن أسمع صوتًا، أدركتُ في قلبي أن ذلك الفارس يأمرني أن أسير خلفه. فسرتُ وراءه من غير تردد، وإذا بطمأنينةٍ عجيبةٍ تسري في قلبي، حتى زال ما كان في نفسي من الخوف والظلمة.

وبعد مسافةٍ قصيرة خرج الفارس من ذلك النفق المظلم إلى فضاءٍ واسعٍ مغمورٍ بالنور.

ولما أردتُ أن أتبعه إلى ذلك الفضاء، رأيتُ أمامي فجأة شبكةً عظيمةً من حبالٍ سوداء غليظة قد سدت الطريق كله.

فحاولتُ بكل قوتي أن أفرّق تلك الحبال وأشقّ طريقي للخروج من النفق. فلما أمسكت بها بيدي، شعرت بحرارةٍ غريبةٍ فيها، وبطبيعةٍ غير مألوفة، فعلمتُ أنها ليست حبالًا، بل حيّاتٌ سوداء متشابكة على هيئة شبكةٍ عظيمة.

فعاد إليّ الخوف أشد مما كان، فصرخت مرةً أخرى من غير إرادة:

"يا غوث."

وفي الحال انشقت تلك الشبكة المتشابكة، وظهر في أعلاها شقّ فتح لي طريق العبور، فمررتُ من خلاله.

وبعد أن تجاوزتها، وجدتُ نفسي في ساحةٍ تحيط بها تلالٌ من ثلاث جهات، وكان الجانب الرابع مفتوحًا، ويبدو أنه باتجاه القبلة.

وفي وسط الساحة كان ثلاثة فرسان واقفين على ظهور خيولهم. وكانوا طوال القامة هم وخيولهم طولًا عظيمًا، حتى إنني عندما وقفتُ بجوار أحدهم كان وجهي يصل إلى قدمه الموضوعة في الركاب.

فقمتُ بتقبيل قدمه المباركة مراتٍ عديدة، وكلما فعلتُ ذلك شعرتُ بسكينةٍ وفرحٍ يسريان في قلبي.

وكانت على رؤوس التلال جموعٌ كثيرة من الناس يجلسون وينظرون.

وكنتُ مشغولًا بزيارة ذلك الفارس الجليل، وأشعر في قلبي بالقرب الشديد منه، مع أنني لم أكن أعرف اسمه، ولم يجر بيننا كلام.

وفي تلك اللحظة أشار بيده نحو الجهة المفتوحة، وقال بالعربية:

"شوف."

ومع أنني لم أكن أعرف معنى الكلمة، التفتُّ إلى تلك الجهة. فرأيتُ ثلاثة طوامير عظيمة معلّقة من السماء إلى الأرض. وكان على كل طومار كلماتٌ مكتوبة يخرج منها نورٌ وروح، كأنها كلماتٌ حيّة يمكن للإنسان أن يتواصل معها.

غير أنني ـ للأسف ـ لم أستطع أن أتذكر شيئًا مما كُتب عليها.

ثم إن كل واحدٍ من الفرسان الثلاثة تحرك صاعدًا نحو السماء، ومع صعوده كان أحد الطوامير يلتفّ ويُرفع معه، حتى ارتفع الثلاثة جميعًا، وارتفعت الطوامير الثلاثة معهم.

وفي تلك اللحظة شعرتُ أنني قد أضعت فرصةً عظيمة.

فقررتُ أن أسأل بعض الناس الذين كانوا جالسين على التلال، لعل أحدًا منهم يعرف ما الذي كان مكتوبًا على تلك الطوامير. لكن مهما سألتُ لم أجد أحدًا يعرف شيئًا.

بل إنني سألتُ مرةً أحد أصدقائي عن معنى كلمة «شوف» بالعربية، فقال إنه لا يعرف معناها.

ومرت سنوات.

ثم وصلني يومًا تسجيلٌ لزيارة خلفاء الطريقة الكسنزانية لحضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق).

وكنتُ في ذلك الوقت قد تعلّمتُ شيئًا من اللغة العربية. وبينما كنت أستمع إلى كلامه الشريف، سمعتُه يقول إنه عندما كان في تكية بغداد رأى أن أسماء جميع دراويش الكسنزان مكتوبة في «اللوح المحفوظ».

وكان أثناء حديثه يشير بيده إلى كيفية كتابة الأسماء، ويحرك أصابعه بطريقةٍ ذكّرتني تمامًا بما رأيته في المنام من الكلمات الحية على تلك الطوامير.

وفي تلك اللحظة انكشف لي معنى تلك الرؤيا: أدركتُ أن الفرسان الثلاثة كانوا مشايخ الطريقة، وأن الطوامير الثلاثة التي كانت معلّقة من السماء كانت ألواحًا تخصّ كلّ شيخٍ منهم، وقد كُتبت فيها أسماء دراويشه.

أي إن اسم كل درويشٍ مكتوب في اللوح المحفوظ الخاص بشيخه، وهو واقعٌ تحت ولايته ونظره وعنايته الخاصة.

وعند ذلك فهمتُ أخيرًا معنى تلك الرؤيا التي رأيتها، وعلمتُ أن حضرة الشيخ بكلامه قد كشف لي تفسير ما شاهدته في تلك الليلة.

تأمّلٌ ختامي

إنَّ خارقية هذه الرؤيا لا تقتصر على الصور والمشاهد العجيبة التي ظهرت فيها، بل تتجلّى في نظام المعنى والارتباط الذي انكشف لاحقًا. فرؤيا ظلّت غامضة لسنواتٍ طويلة، وجدت معناها بجملةٍ واحدة من كلام حضرة الشيخ، فانتظمت عناصرها في بناءٍ واضحٍ متماسك. وهذا في حدّ ذاته إشارةٌ إلى أن بعض الحقائق تُسجَّل في عالم الرؤيا والمشاهدة قبل أن يدركها العقل، ثم يأتي الزمن فيكشف عن معناها ويُظهر موضعها الصحيح.

وفي هذه الرواية لا تمثّل الألواح والفرسان والميدان مجرد رموزٍ مجرّدة، بل هي إشاراتٌ إلى نظام الولاية والرابطة الروحية بين الشيخ والدرويش. فكون اسم كل درويشٍ مكتوبًا في اللوح المحفوظ الخاص بشيخه يدلّ على حقيقةٍ عميقة: وهي أن الانتماء السلوكي ليس مجرد اختيارٍ ظاهري، بل رابطةٌ تتجذّر في مستوياتٍ أعمق من الإدراك العادي.

وهذه الكرامة تذكّر بأن الطريق الروحي ليس مسارًا أرضيًا تدريجيًا فحسب، بل له جذورٌ في عالم المعنى؛ عالمٍ تتقرّر فيه العلاقات قبل أن تظهر في عالم الشهادة، وتُكتب فيه الأقدار قبل أن تتجسّد في واقع الحياة.

الرواية 62 - رائحةُ حرمِ رسولِ الله ﷺ

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في أحد الأيام كنا جالسين في التكية مع جماعةٍ من الدراويش، وكانت أجواء المجلس هادئةً وروحانية. وكان

خليفةُ يجلس إلى جواري، منشغلًا بالذكر يحرّك مسبحته بين أصابعه.

وفجأة رأيته يقرّب مسبحته من أنفه ويستنشقها بعمقٍ عدة مرات. وفي لحظةٍ واحدة تغيّر وجهه، فقد اجتمع في ملامحه العجب والخوف والشوق معًا. ثم مدَّ إليَّ فورًا «كركوشة» المسبحة – وهي الجزء العلوي منها المصنوع من خيوطٍ متدلية – وقال بصوتٍ مرتجف:

«من أين جاءت هذه الرائحة؟»

أخذتُ الكركوشة بيدي، فوجدتها مبللة تمامًا، كأنها قد غُسلت بالماء لتوّها. غير أن ما هزَّ قلبي حقًّا كان تلك الرائحة التي فاحت منها، رائحةٌ عميقةٌ لطيفةٌ مألوفة... إنها رائحة عطر حرم رسول الله ﷺ.

كنت أعرف هذه الرائحة جيدًا. فمنذ سفري إلى المدينة المنورة تعلّقتُ بها تعلّقًا خاصًا. وكنت كثيرًا ما أوصي أصدقائي الذين يذهبون للحج أو الزيارة أن يجلبوا لي نوعًا من العود يُباع في متجرٍ قريبٍ من الحرم وله الرائحة نفسها.

والعجيب أنني في ذلك اليوم نفسه كنت أحتفظ بعلبةٍ من ذلك العود في التكية.

أحضرتُ العود، فشمَّه الحاضرون واحدًا بعد آخر. ثم شمّوا كركوشة المسبحة. وانتشر العجب على الوجوه؛ إذ لم يكن هناك أدنى شك: كانت الرائحتان متطابقتين تمامًا. كأن عطر المدينة قد حضر بيننا بلا واسطة.

وكانت رطوبة الكركوشة شديدة حتى اضطررنا إلى تجفيفها بمنديلٍ ورقي. فامتلأ المنديل هو الآخر بالعطر. فمزقناه قطعًا صغيرة ووزعناه على الحاضرين تبركًا. وكان كل من يأخذ قطعةً يقرّبها إلى أنفه والدموع في عينيه، كأنه يقف لحظةً في صحن الحرم الشريف.

ومنذ ذلك اليوم ظلّت مسبحة ذلك الخليفة تفوح منها الرائحة نفسها عدة أشهر. وكلما أمسكها انتشر عطر الحرم في المكان.

حتى جاء يوم – كما ذكر هو بنفسه – أخذ فيه المسبحة إلى موضعٍ لم يكن لائقًا بتلك الحال ولا بحرمتها، ومنذ ذلك الحين اختفت تلك الرائحة.

الرواية 63 – رائحةٌ مألوفة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في أحد الأيام سافرنا إلى إحدى مدن الشمال، ومعي نحو ثلاثين درويشًا، بقصد الإرشاد ودعوة الناس إلى الطريقة. وكان في المجلس عددٌ كبير من الضيوف، وبفضل الله أخذوا جميعًا الطريقة. وكان صاحب البيت قد أعدَّ طعامًا شهيًّا من اللحم والحمص، فتناولنا العشاء معًا. ولشدّة البرد أغلقنا جميع النوافذ، ونمنا في صالة الشقّة.

وفي الصباح، نحو الساعة العاشرة، لما استيقظنا من النوم كان الدراويش منشغلين بجمع الفُرُش. وفي تلك اللحظة دخل عمٌّ صاحب البيت إلى الشقّة. وكان من القلائل الذين لم يأخذوا الطريقة في الليلة السابقة.

نظر حوله قليلًا، ثم جاء مباشرةً إليّ وقال من غير مقدمة:

"يا خليفة، أريد أن آخذ الطريقة".

فقلتُ متعجبًا:

"ولماذا لم تأخذها البارحة حين أخذها الجميع؟"

قال:

"لأنني لم أكن أؤمن بها".

فقلت:

"وهل تؤمن بها الآن؟"

قال:

"نعم، وسأقص عليك السبب".

سكت لحظة، ثم قال:

"قبل نحو أربعين سنة، حين كنت ما أزال فتى، خرجتُ يوم عيد الأضحى أسوق عددًا من الأبقار والأغنام من قريةٍ إلى قريتنا. وفي الطريق فجأةً شممتُ رائحة زهرةٍ عجيبةٍ طيبة جدًا. فنظرتُ حولي، فلم أرَ في البادية أيَّ زهرة. وبعد قليل انقطعت الرائحة. ثم بعد أن سرت نحو خمسمائة متر عادت الرائحة نفسها مرةً أخرى. وتكرّر هذا الأمر مراتٍ عديدة، وكانت الرائحة تظهر ثم تختفي، حتى امتلأت دهشة."

ثم تابع قائلاً:

"لقد تعلّق قلبي بتلك الرائحة حتى أصبحتُ عاشقًا لها.
ومنذ ذلك اليوم إلى اليوم، كلما مررتُ بدكان للعطور بحثتُ عن تلك الرائحة، لكنني لم أجد شيئًا يشبهها قط."

ثم خفّض صوته وقال:

"هذا الصباح، حين جئتُ لزيارتكم، قلتُ في نفسي: إن هذا العدد الكبير من الناس قد ناموا ليلةً كاملة في شقّةٍ مغلقة، فلا بد أن تكون رائحة المكان خانقة حين أفتح الباب. لكن ما إن دخلتُ حتى وجدتُ الرائحة نفسها التي أبحث عنها منذ أربعين عامًا تفوح من هذا المكان."

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وقال:

"عندها فهمتُ أن تلك الرائحة كانت رائحة الطهارة... رائحة الذكر. يومها لم أكن أعرفها، واليوم عرفتها. ولهذا جئتُ لأخذ الطريقة."

وفي تلك اللحظة انكشف المعنى؛ لا له وحده، بل لبعضنا أيضًا. وكأن ذكرى مضى عليها أربعون عامًا قد وجدت طريقها أخيرًا لتظهر معناها في هذا اليوم.

تأمّلٌ ختامي

لقد علّمتني هذه الحادثة أن بعض العلامات في حياة الإنسان تظهر قبل أن يفهمها بسنواتٍ طويلة. فالقلب قد يدرك شيئًا ويعرفه قبل أن يستطيع العقل أن يضع له اسمًا.

لقد ظلّ ذلك الرجل أربعين عامًا يبحث عن رائحةٍ لم تكن في الحقيقة عطرًا عاديًا، بل كانت عطر المعنى، عطر الذكر، عطر حضورٍ قادمٍ من عالم الطهارة.

ولعلّ الله تعالى قد زرع في قلبه منذ تلك الأيام الأولى — وهو بعدُ فتى — بذرة المحبة والانجذاب إلى الحقيقة، لتؤتي ثمرتها اليوم حين أصبح القلب مستعدًّا لتلقّيها.

فالهداية أحيانًا لا تأتي بكلمة،

ولا بمناظرة،

ولا بحجّةٍ عقلية.

بل قد تأتي أحيانًا في صورة رائحةٍ واحدة؛

رائحةٍ تعرفها الروح،

حتى وإن احتاج العقل سنواتٍ طويلة ليكتشف من أين جاءت.

الرواية 64 – خليفةٌ كان نَفَسُه يفوح بالعِطر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كان في كردستان أحدُ كبار خلفاء الطريقة، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى. كان رجلًا طاهرًا، صاحب تقوى، قليل الكلام، ميّالًا إلى العزلة. لم يكن يألف كلَّ أحد، ولم تكن مودّتُه تُنال بسهولة. كان صمته عميقًا، وحضوره يبعث السكينة في القلوب.

وكانت له كرامةٌ اشتهرت بين الدراويش. فقد كان الدراويش يأتون إليه بمسابحهم، فيأخذ المسبحة بيده وينفخ عليها بنفَسٍ هادئ، فإذا بها تفوح برائحة عطرٍ لطيفٍ غريب؛ عطرٍ لا يشبه عطور الدنيا، ولا يمكن وصفه بالكلمات المألوفة. وكانت هذه الرائحة تبقى عادةً على المسبحة عدة ساعات.

وقد جرّبتُ ذلك بنفسي مراتٍ عديدة، كما جرّبه كثير من الدراويش. وكانوا غالبًا يتحلّقون حوله، فيعطيه كلٌّ منهم مسبحته، فينفخ عليها ثم يعيدها إليه، ويأخذ مسبحةَ الشخص

الذي يليه. وكان يفعل ذلك بهدوءٍ تام، من غير ادعاءٍ ولا التفاتٍ إلى من حوله، كأن الأمر بالنسبة إليه شيءٌ عادي.

وكان لي صديقٌ كانت زوجته تقول في نفسها:

"لعل هذا الخليفة يضع عطراً على يده، فإذا أمسك المسبحة انتقلت رائحة العطر إليها".

فلما جاء دور مسبحتها بين الجمع، حدث أمرٌ غريب. فقد خالف الخليفة عادته، ولم يأخذ المسبحة بيده، بل أمسك طرفًا واحدًا فقط من خيوط "كركوشة" المسبحة — أي الجزء الخيطيّ المتدلّي في أعلاها — ثم نفخ عليها من ذلك الموضع، وأعادها إليها.

والأعجب من ذلك أن رائحة العطر التي كانت تظهر على مسابح الآخرين كانت تزول بعد ساعات، أما رائحة مسبحة تلك السيدة فقد بقيت نحو أسبوع كامل. وكانت رائحةً ثابتةً لطيفةً عميقة، كلما شُمَّت أحدثت في القلب حالًا من الصفاء والتأثر.

وكان إذا سُئل عن هذه الكرامة لا ينسبها إلى نفسه أبدًا، بل يقول بتواضعٍ شديد:

"هذا ليس مني. لقد رأيتُ في المنام ذات ليلةٍ شيخَ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (قدس سره)، فرأيتُه يُبلّلِ فمي من ريقه المبارك. ومنذ تلك الليلة ظهر فيَّ هذا الحال".

فكان يرى نفسه مجردَ واسطة، لا صاحب كرامة.

تأمّلٌ ختامي

تعلّمنا هذه الرواية أن الكرامة ليست علامة عظمة الشخص، بل علامة مرور النور عبر إنسانٍ تجرّد من نفسه. فكلما خلا الإنسان من دعوى ذاته، أصبح أقدر على حمل أثر الحقيقة.

ذلك الخليفة لم يكن يقول:

"أنا أملك".

بل كان يقول:

"لقد أُعطيت".

وهنا يكمن الفرق بين أهل الادعاء وأهل المعنى.

إن عطر المسابح لم يكن مجرد ظاهرةٍ عجيبة، بل إشارة إلى أن روح الإنسان قد تبلغ من الصفاء درجةً يصبح معها نَفَسُه حاملًا للأثر، لا بإرادته، بل أمانةً أودعت فيه.

ولعل الرسالة الأعمق في هذه الكرامة هي أن:

العطر الحقيقي لا يأتي من قارورة العطر،

بل من قلبٍ اتصل بالنور.

الرواية 65 – الدخول إلى الطريقة بالتوسّل

رواية لأحد السالكين في الطريقة

كنتُ لسنواتٍ طويلة صاحبَ شركةٍ هندسيةٍ للمقاولات، أُنفّذ مشاريعَ إنشائيةً كبيرة. وكان إيماني بالله ورسوله لا يتجاوز ذكريات الطفولة. ففي المرحلة الابتدائية، وبإلحاحٍ من والديّ، كنتُ أؤدّي الصلاة، لكنني منذ بداية المرحلة الثانوية تركتُها. ثم في الجامعة، وتحت تأثير الجوّ المادّي المحيط بي، ابتعدتُ تدريجيًّا عن المعتقدات الدينية حتى كدتُ أقطع صلتي بها تمامًا.

كنتُ أحتفظ في مكتبي غالبًا بصندوقٍ من الويسكي، وفي المناسبات المختلفة نجتمع مع الأصدقاء لنشرب ونقضي أوقات اللهو. ومن وجهة نظري آنذاك، كانت الحياة تسير كما أشتهي؛ فمعظم المشاريع الإنشائية الكبرى في المدينة كانت تُسنَد إلى شركتي، ومع ما كنتُ أبذله من أموالٍ وهبات، حصلتُ على نفوذٍ اجتماعيٍّ وسياسيٍّ لا يُستهان به.

بعد فترة، أُسنِد إلى شركتي مشروعُ إنشاء مجمّعٍ كبير يضمّ نحو خمسين مبنى متعدد الطوابق لصالح إحدى الجهات الحكومية. لكن خلال مدة قصيرة وغير متوقعة ارتفعت أسعار مواد البناء — مثل الحديد والإسمنت — إلى أضعاف ما كانت عليه. وبما أن العقد كان مقطوعًا بثمنٍ محدد، وجدتُ نفسي فجأة على حافة الإفلاس.

اضطررتُ إلى بيع جميع معدّاتي، من الجرافات والآليات الثقيلة إلى الشاحنات، وبأسعارٍ متدنية جدًا، فقط لأتمكن من الوفاء بالتزاماتي. اقترضتُ من الأصدقاء والأقارب، لكن بعد مدةٍ لم يعد أحد يجيب على اتصالاتي. وآخر التزامٍ ماليٍّ بقي عليٍّ كان دينًا كبيرًا صدر بسببه أمرُ توقيفٍ بحقي، وكنتُ مهددًا بالسجن في أي لحظة.

في تلك الأيام جاءني معماريٌّ مسنّ كان قد عمل معي سنواتٍ طويلة، وقال لي:

"يا مهندس، لا أستطيع أن أراك تُؤخذ إلى السجن. ليس لي في الدنيا إلا بيتٌ واحد هو كل ما أملك. سأرهنه من أجلك، لكن أعطني وعدًا ألا تدع هذا البيت يضيع."

مرّت أشهر ولم تتحسن الأحوال. وبسبب التأخر في دفع الأقساط صدرت الإنذارات، حتى أُعطي الإذن ببيع بيت الرجل في المزاد. كانت ضائقتي المالية قد بلغت أقصاها. ومن أجل الحفاظ على كرامتي لم أعد أستطيع القيام بأعمالٍ بسيطة في مدينتي، فذهبتُ إلى جنوب البلاد، وهناك عملتُ عاملاً بسيطًا في شركةٍ تنفّذ خطوط أنابيب الغاز. كان أجري زهيدًا جدًا، بالكاد يكفي لوجبة الغداء وعلبة سجائر، وما بقي كنتُ أرسله إلى أسرتي.

بعد بضعة أشهر اتصلت بي زوجتي وأخبرتني أن عليّ العودة فورًا لأمرٍ مهم. عندما وصلت، قالت إن البنك أرسل إشعارًا بأن بيت ذلك الرجل سيُعرض قريبًا في المزاد. وجاء الرجل نفسه يبكي ويقول:

"يا مهندس، هذا البيت هو كل ما أملك. لا تدع زوجتي وأولادي يتشردون في آخر عمري."

في تلك الليلة نمتُ وأنا مثقلٌ بالهمّ وتأنيب الضمير. وفي المنام رأيتُ نفسي في مطعمٍ قديم يبيع رؤوس الغنم المطبوخة على أطراف المدينة، وهو مكان كنتُ أزوره أحيانًا قبل

سنوات. وفي الصباح الباكر، على أمل أن يكون في المنام إشارة، ذهبتُ إلى ذلك المطعم.

هناك رأيتُ رجلين يتحدثان بصوتٍ مرتفع. كان أحدهما يقول:

"كيف لا نجد أحدًا؟ حتى لأسبوعٍ واحد؟"

اقتربتُ منهما وسألتهما عمّن يبحثان. فقالا إنهما يحتاجان إلى شخصٍ يرافقهما أسبوعًا إلى كربلاء، يدفعان له أجرة السفر وأجرًا يوميًا مقابل القيام ببعض الأعمال والخدمات ليتمكنا هما من التفرغ للزيارة.

قلتُ: "هل يمكنني أن أذهب معكما؟"

قالا: "هل معك بطاقة الهوية؟"

قلت: "نعم."

قالا: "اذهب وأحضرها."

ذهبتُ بسرعة إلى البيت وأحضرتُ هويتي. سألتني زوجتي إلى أين أذهب، فقلتُ لها:

"أنا ذاهب إلى مكانٍ سيُدبَّر فيه ثمنُ بيت ذلك الرجل."

سافرتُ معهما إلى كربلاء وبقيتُ أسبوعًا أخدمهما. وفي اليوم الأخير قالا لي:

"أما تريد أنت أيضًا أن تزور؟"

قلت: "إذا أذنتم لي فسأذهب اليوم."

دخلتُ حرم الإمام الحسين (ع). لم أكن أحفظ زيارة، ولا أعرف العربية، ولم أكن قد صلّيت منذ سنوات.

تمسّكتُ بالضريح وقلت:

"يا حسين! أنا لا أعرف العربية، سأكلمك بالتركية، وأعلم أنك تفهمني. لديّ أربع حاجات..."

فذكرتُ حاجاتي: إنقاذ بيت الرجل العجوز، وإنقاذي من حالة الإلحاد التي كنتُ فيها، وأن يرزقني الله ولدًا أسميه حسينًا، وأن أعود إلى عملي مهندسًا كما كنت.

ثم قلت: "وداعًا."

وبعد أن قلتُ هذه الكلمات — وقد تغيّر حالي تمامًا وانفجرتُ بالبكاء — عدتُ إلى الفندق. سخر مني رفيقاي قائلين: "ما أسرع زيارتك!" فقلتُ بغضب: "أنا أحفظ الزيارة عن ظهر قلب، قرأتها بسرعة وعدت!"

عدنا بعد ذلك إلى مدينتنا. وبسبب حسن عملي أعطاني الرجلان مبلغًا أكبر مما اتفقنا عليه. ولم أخبر عائلتي أنني ذهبت إلى كربلاء، لأنهم كانوا سيطلبون مني الهدايا، ولم أكن قد اشتريت شيئًا لفقر حالي.

ما إن رأتني زوجتي حتى قالت بقلق إن الرجل العجوز جاء في ذلك اليوم وقال إن بيته سيُباع في المزاد يوم السبت. فقلتُ لها بثقةٍ لم أفهم مصدرها:

"لقد سلّمتُ الأمرَ لمن سيفكّ الرهن يوم السبت."

وفي صباح السبت اتصل بي البنك وقالوا:

"هناك شخصٌ سدد الدين وحرّر البيت من الرهن. تعالوا لاستلام الوثائق."

ذهبتُ مسرعًا إلى البنك، فوجدتُ الرجل العجوز هناك سعيدًا يبتسم. سألتُ موظف البنك:

"من الذي فكّ الرهن؟"

قال: "تاجر سجاد معروف."

سألته عن عنوانه، فأعطاني موقع متجره في سوق السجاد، وقال إنه رجل ضخم البنية قليلًا.

ذهبتُ إلى السوق، وبعد بحثٍ قصير وجدتُ متجره ودخلت. عرّفتُ نفسي، لكنه لم يكن يعرفني. قلت له:

"يا حاج، أنا الرجل الذي حررتَ البيت من أجله اليوم."

قال بهدوء:

"إذن أنت الذي رهن ذلك الشيخ بيته من أجلك؟"

قلت: "لماذا فعلتَ هذا؟"

قال: "هل فعلتُ شيئًا سيئًا؟"

قلت: "لا، أريد فقط أن أشكرك، لكنني أود أن أعرف لماذا قمتَ بذلك."

قال: "هذا أمرٌ يخصني."

ألححتُ عليه مرارًا لكنه لم يجب. ثم رأيتُ مصحفًا في المتجر، فأخذته وقلت:

"يا حاج، أقسم عليك بهذا القرآن أن تخبرني بالحقيقة."

فبقي لحظاتٍ صامتًا يفكر، ثم قال:

"لقد أقسمتَ عليّ بقسمٍ عظيم... اجلس، وسأقصّ عليك القصة."

كنتُ قد ذهبتُ قبل سنوات لزيارة بيت الله الحرام. وعندما وصلتُ إلى سفح الجبل الذي تقع فيه غار حراء، لم أستطع الصعود بسبب وزني الزائد وحالة قلبي الصحية. كان قلبي مفعمًا بالحزن، فقلتُ:

"يا رسول الله، لقد قطعتُ هذه المسافة الطويلة لزيارتك، وأتمنى أن تعينني على الصعود إلى هذا الجبل لأرى المكان الذي نزل فيه أول وحيٍ من الله عليك، فأصلي فيه ركعتين ثم أعود."

وفجأةً وصل إلى أنفي عطرٌ غريب، كأنه مزيج من رائحة الياسمين والزنجبيل وماء الورد. تسلّل هذا العطر إلى كل جسدي، وفي لحظة شعرتُ بأنني أصبحتُ مفعمًا بالطاقة والنشاط كأنني شاب في الخامسة عشرة من عمره.

بدأتُ بالصعود، ولم أشعر بأي ضيقٍ في النفس أو تعب. بل كنتُ أتجاوز في الطريق كثيرًا من الشباب، حتى إن أفراد مجموعتنا كانوا يتعجبون من هذه الخفة والنشاط غير المألوفين عندي.

وبعد أن وصلتُ إلى غار حراء وزرتُه وعدتُ إلى أسفل الجبل، اختفى ذلك العطر من جسدي، وعدتُ إلى حالتي الطبيعية.

ومنذ ذلك اليوم بقيتُ سنواتٍ طويلة أترقّب عودة ذلك العطر.

وفي صباح هذا اليوم، عندما خرجتُ من البيت، شممتُ ذلك العطر نفسه في فناء المنزل. تبعتُه، وكان كأنه يتحرك أمامي، وأنا أسير خلفه. سار بي من الزقاق إلى الشارع حتى دخل إلى أحد البنوك، ثم توقف أمام إحدى النوافذ.

هناك رأيتُ شيخًا كبيرًا يبكي ويتوسل إلى موظف البنك ألا يبيعوا بيته في المزاد. عندها أدركتُ أن ذلك العطر قد قادني إلى هناك لكي أساعد هذا الرجل.

فدفعتُ دينه وحررتُ البيت من الرهن، ثم خرجتُ من البنك، وفي تلك اللحظة اختفى ذلك العطر.

وعندما هممتُ بالعودة إلى البيت اتصل بي أحد أصدقائي وقال إنهم ينوون مع صديقٍ آخر السفر إلى إحدى مدن

كردستان لزيارة أحد خلفاء الطريقة الكسنزانية، ودعاني للذهاب معهم.

قلتُ لهم إنني لستُ في حالة نفسية مناسبة لهذا الأمر.

فقالوا بإصرار:

"لا بد أن تأتي معنا، فهذا سيكون خيرًا لنفسيتك."

ومع أنني لم أكن راغبًا في ذلك، إلا أن ما حدث لي في ذلك اليوم، وحاجتي إلى أن أبوح بما في صدري لأصدقائي، جعلاني أوافق. فسافرتُ معهم إلى كردستان.

وصلنا إلى المدينة قبيل الغروب. وكان في بيت ذلك الخليفة عدد من الدراويش. كانوا يتحدثون عن كرامات الأولياء وأحوال التصوف، ويضربون الدفوف ويذكرون الله.

وبعد فترة، التفت إليّ ذلك الخليفة مبتسمًا وقال:

"يا أستاذ مهندس، ألا تبايع؟"

قلتُ متعجبًا:

"أبايع من؟"

قال بهدوء:

"ألم تذهب إلى زيارة الإمام الحسين ، وتطلب منه أربعة أمور؟"

دهشتُ وقلت:

"نعم، ولكن من أين تعرف ذلك؟"

لم يلتفت إلى سؤالي وقال:

"ألم يُقضَ دينك اليوم، ولم يُحرَّر بيت ذلك الشيخ؟"

قلتُ: "بلى."

قال:

"وألم تطلب أن يُخرجك الله من حيرتك ويعرّفك به؟"

قلتُ: "نعم."

فقال:

"أنا مأمورٌ من قِبَل شيخ الطريقة أن أعرّفك بالله. وأما الولد الذي طلبته، فإن شاء الله سيُولد قريبًا. وأما عملك في الهندسة، فاصبر قليلًا وسيُفتح لك بابه."

كنتُ من شدة الدهشة أكاد أفقد الوعي. فأسندتُ ظهري إلى الوسادة وقلتُ بصوتٍ خافت كأنه يخرج من بئرٍ

عميقة:
"من أنت؟ وما علاقة هذه الأمور بك؟"
قال:
"إن الإمام الحسين عليه السلام أحال طلباتك إلى الغوث الأعظم، حضرة الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره، وهو بدوره أوكل الأمر إلى الغوث الحاضر، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان قدس سره. وأنا خليفة الشيخ محمد."
قلتُ:
"وهل الغوث الحاضر هنا؟"
قال:
"لا، هو في السليمانية في العراق."
قلتُ:
"وكيف يمكنني أن أراه؟"
قال:
"لا تقلق، إن شاء الله ستراه إذا أراد الله."
ثم أخذ يشرح لي أمر الطريقة والبيعة لشيخها، وبعد أن بايعني أعطاني التعليمات، وأراني عدة صور لشيخ الطريقة.

ثم وضع وسادة تحت رأسه ونام على الأرض في جانب الغرفة.

أما أنا، فقد كان كل ما جرى يمر أمام عيني كأنه حلم أو رؤيا، فلم أستطع النوم، وبقيت مستلقياً غارقًا في التفكير.

وقبيل الفجر، عندما غفوتُ قليلًا، رأيتُ شيخ الطريقة في حالةٍ بين النوم واليقظة، وكان يرتدي لباسًا كرديًّا. دخل الغرفة متكئًا على عصاه، فسلّم عليّ، فرددتُ السلام.

ثم قال:

"هل قُضيت الأمور التي كنتَ تريدها؟"

قلت:

"نعم يا سيدي."

فقال:

"إذن ماذا تريد مني الآن؟"

...وقد طلبتُ منه حاجةً فاستجاب لها. لكن تفاصيل ذلك الأمر، وما قام به من عملٍ عظيمٍ لا يُصدق في حقي، من الأسرار التي لا أُؤذن بذكرها. ولذلك أكتفي بهذا القدر، وأختم هنا رواية هذه الحادثة.

الرواية 66 – الطفلة المتأخرة عقلياً... أهي من أولياء الله؟

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام اتصل بي أحد الأصدقاء وقال:

"إذا كانت جلسة المحاضرة قائمة اليوم، فإن ابنة أختي – وهي من مريدي الطريقة وتعمل في دائرة التأهيل – ترغب في أن تأتي إليكم مع فتاةٍ تعاني من تأخرٍ عقلي. لقد حدثت معها أمورٌ عجيبة وتريد أن تخبركم بها. كما أن والدي تلك الفتاة يرغبان في لقائكم".

قلت له:

"نعم، الجلسة قائمة. فليتفضلوا بالحضور".

وقد حضروا قبل بدء المحاضرة بقليل. كانت الفتاة في حدود الرابعة عشرة من عمرها، نحيفة الجسد، بوجهٍ يفيض نوراً وبراءة. دخلت برفقة ابنة أخت الخليفة وزوجها. وبعد السلام، بدأت ابنة الأخت – واسمها سميرة – تتحدث مباشرة فقالت:

"أنا مسؤولة في دائرة التأهيل عن رعاية عددٍ من الأطفال المتأخرين عقلياً، وكانت نگين إحدى هؤلاء الأطفال. قبل أيام فعلت أمرًا أغضبني كثيرًا، فضربتها من غير قصد. ولم تمضِ مدةٌ قصيرة حتى التوى قدمي وانكسرت ساقي كسرًا شديدًا، حتى اضطر الأطباء إلى وضع الجبس على قدمي من أعلاها إلى أسفلها".

وتابعت قائلة:

"في تلك الليلة، وبعد أن تناولت مسكنًا للألم ونمت، رأيت في المنام حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) واقفًا عند رأسي، فقال لي:

"يا سميرة يا ابنتي، ما الذي حدث لقدمك؟"

قلت:

"يا سيدي، انكسرت قدمي".

فمرّر يده المباركة على الجبس وقال:

"لا شيء، قد شُفيت. اذهبي وافتحي الجبس".

وفي اللحظة التي مرّت فيها يده على الجبس، شعرت ببرودةٍ عجيبة تسري في ساقي كلها. ثم قال لي:

"لماذا ضربتِ مرضية اليوم؟"

فقلت:

"يا سيدي، اسمها نگين".

لكنه لم يلتفت إلى ذلك، وقال:

"من الآن فصاعدًا اعتني بمرضية، ولا تسيئي معاملتها. فهي ليست مثل غيرها".

ثم أخبرني بأمورٍ تتعلق بوالدي هذه الفتاة، وأكد عليّ أنني لا يجوز أن أذكرها إلا لوالديها فقط".

ثم قالت سميرة:

"عندما أخبرت والدي نگين بتلك الأمور، أخذا يبكيان ويرتجفان، وأكدا أن أشياء قد حدثت منهما في حق هذه الطفلة لا يعلم بها أحدٌ سواهما، وأنهما الآن يريدان التوبة. ولذلك دعوتُهما إلى الحضور إليكم لأخذ الطريقة".

ثم قال زوج سميرة:

"في تلك الليلة رأيت سميرة تتعرق في نومها وتتمتم بكلمات غير مفهومة. فأيقظتها، فقصّت عليّ رؤياها. ولما لاحظنا أنها لم تعد تشعر بالألم، قمنا في البيت بفتح الجبس، فإذا بنا نجد أن ساقها كأنها لم تُصب بكسرٍ قط".

وبعد مدة وصل والدا نگين أيضًا، فبدأت المحاضرة. وكان الحاضرون يقاربون الأربعين شخصًا. وبينما كنت أتحدث، قامت نگين بهدوء من مكانها وتقدمت نحوي، وبدأت تمسح على وجهي بلطفٍ عجيب. حاول بعض الحاضرين أن يعيدوها إلى مكانها، فقلت لهم:

"اتركوها".

فبقيت دقائق تمسح وجهي ببراءةٍ عجيبة، ثم عادت بهدوء إلى مكانها وجلست.

وبعد انتهاء المحاضرة قال والداها وهما يبكيان:

"لقد ارتكبنا في حق هذه الطفلة أمورًا لا يعلم بها أحد غيرنا. فلما أخبرتنا سميرة بها ارتعدنا من خوف الله. واليوم جئنا لنتوب".

فبايعتهما وأدخلتهما في الطريقة.

ثم قالت أم نگين:

"عندما وُلدت هذه الطفلة سميناها نگين. وبعد ليلتين رأيت في المنام شيخًا نورانيًا يقول لي:

"اسم هذه الطفلة ليس نگين، بل اسمها مرضية".

فأخبرت زوجي بذلك، لكنه قال إنني توهمت".

وفي ذلك اليوم كان ضيفنا أحد الخلفاء القدامى المعروفين بالكرامات، واسمه الخليفة عارف - وقد ذُكرت بعض كراماته في هذا الكتاب. فقلت له:

"يا خليفة عارف، ادعُ لهذه الطفلة".

فنظر إليّ متعجباً وقال:

"أنا أدعو لهذه الطفلة؟! بل هذه الطفلة هي التي ينبغي أن تدعو لنا جميعًا. إن والديها لا يعلمان أي فضلٍ عظيمٍ أنعم الله به عليهما حين أرسل إلى بيتهما وليًا عظيمًا كهذا. إنهما يستطيعان بشفاعة هذه الطفلة أن يبلغا أعلى الدرجات عند الله. ولكن للأسف يظنان أن الله قد ظلمهما، وأنه لو أعطاهما طفلًا سليمًا لكان ذلك أفضل".

تأملٌ ختامي

لقد اعتدنا أن نقيس قيمة الإنسان بظاهره، وبعقله الظاهري، وبقدراته الدنيوية. غير أن الميزان الإلهي قد يكون مختلفًا تمامًا، فربما يكون من نراه "ضعيفًا" أو "عاجزًا" هو في الحقيقة من أقرب عباد الله إليه.

فكم من أطفالٍ نظنهم محرومين، بينما يحملون سرًا إلهيًا ويكونون سببًا لنزول الرحمة على أسرهم ومن حولهم.

لقد كانت نگين - أو "مرضية" - مرآةً تُظهر لنا أن أولياء الله لا يظهرون دائمًا في صورة العلماء أو العظماء. فقد يأتون أحيانًا في هيئة طفلٍ صامت، بسيط، يبدو في أعين الناس ضعيفًا.

ليختبر الله قلوبنا:

هل ننظر بعين الظاهر،

أم بعين القلب؟

الرواية 67 - حُكمُ يومِ القيامة

روايةٌ لإحدى السالكات في الطريقة

قبل سنوات طويلة رأيتُ رؤيا لم تمحُها الأيام من ذاكرتي.

في المنام رأَيتُ نفسي مع زوجي في صحراء لا نهاية لها. وكان من حولنا جمعٌ هائل من الناس؛ آلافٌ بل ملايين، يقفون جميعًا في صمت وقلق، كأنهم ينتظرون أمرًا عظيمًا. وكان المكان مهيبًا يلفّه خوفٌ ثقيل.

فسألتُ بخوف:

"ما الذي يحدث هنا؟"

فقيل لي:

"هنا يُكتب حكم آخرتكم".

سقطت قلوبنا من شدة الرهبة، وشعرتُ كأن روحي تكاد تفارق جسدي. وفجأة نادانا أحد المأمورين وقال:

"تعالوا، حكمكم يُصدر هنا".

دخلنا الغرفة بقلوبٍ مضطربة. وما إن وقع بصري إلى الداخل حتى رأيتُ مشهدًا هزّ كياني كله. رأيتُ شيخ

الطريقة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) جالسًا على الأرض إلى جانب الجدار، وأمامَه طاولةٌ صغيرة جدًا. وكان نورٌ خاص يملأ المكان.

تقدمنا أنا وزوجي نحوه.

ومن غير أن يرفع رأسه، كتب حضرة الشيخ على ورقة صغيرة كلمات قليلة، ثم مدّها إليّ. كان مكتوبًا عليها كلامٌ بالعربية. ولم أكن أعرف العربية معرفةً جيدة. بدأتُ أقرأ ما كُتب، وفي تلك اللحظة غمرني شعورٌ قوي وهيبةٌ عجيبة حتى استيقظت من النوم.

ولما أفقت، وجدتُ نفسي أكرر تلك العبارة بلساني من غير إرادة. كنت أشعر بحالةٍ روحانية ثقيلة لا توصف. فقمتُ فورًا من فراشي وكتبتُ تلك الجملة. وكان إحساسي أنها تشبه آيات القرآن الكريم. فبحثت عنها في "موسوعة القرآن"، فوجدتُ - بدهشةٍ عظيمة - أنها دون أي اختلاف هي الآية (103) من سورة الأنبياء:

لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ المَلائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ

والأمر العجيب أنني في اللحظة نفسها التي قرأتُ فيها الآية في المنام حفظتُها كاملة، ومنذ ذلك اليوم بقيت في ذاكرتي بلا نقصٍ ولا تغيير، كأنها لم تدخل عن طريق السمع أو البصر، بل كُتبت مباشرةً في القلب.

تأملٌ ختامي

ليست كل الرؤى مجرد صور، فبعضها رسائل.
وليست كل الرسائل مجرد أخبار، فبعضها طمأنينةٌ للقلوب.

تُذكّرنا هذه الرؤيا بأن يوم القيامة بالنسبة لعباد الله الصالحين ليس يوم رعب، بل يوم وعد. يومٌ يتحول فيه الخوف إلى استقبالٍ من الملائكة، ويزول القلق لتحلّ مكانه السكينة.

وأحيانًا يذيق الله الإنسان شيئًا من طمأنينة ذلك اليوم وهو ما يزال في الدنيا، ليعلم أن القلب إذا كان في الطريق الصحيح، فإن "الفزع الأكبر" لا يستطيع أن يزلزله.

أما حفظ الآية في تلك اللحظة، فهو إشارةٌ إلى أن بعض الحقائق حين تأتي من عالم الغيب لا تُودَع في الذاكرة، بل تُكتَب في الروح.

الرواية 68 – الرقم الذي كُتب من السماء

روايةٌ لأحد السالكين في الطريقة

قبل سنواتٍ طويلة، تزوّج شابٌّ – رغم رضا عائلته – من فتاةٍ من معارفنا. غير أنّ هذا الزواج كان بداية أزماتٍ وخلافاتٍ عميقة. فقد تصاعدت التوترات بينهما حتى وصلت حياتهما إلى طريقٍ مسدود. وفي النهاية انتهى الأمر إلى الانفصال، لكن بسبب المهر المرتفع امتنع الزوج عن إتمام الطلاق رسمياً. وفي ذروة هذه النزاعات العائلية، اختفى الرجل فجأة، كما امتنعت عائلته عن الإفصاح عن مكانه أو عمّا حلّ به.

وبعد فترةٍ قصيرة من هذه الحادثة، اكتشفت المرأة أنها حامل. وبرغم كل الصعوبات، وضعت فتاةً وربّتها في

ظروفٍ قاسية من دون حضور الأب. ومضت السنوات، حتى تعرّفت هذه الأم وابنتها - حين كانت الابنة في السنوات الأخيرة من المرحلة الثانوية - إلى الطريقة عن طريقي، فانضمّتا إليها. وقد أشرق نور الطريقة في قلبيهما شيئًا فشيئًا، فداوى جراحهما القديمة وجعلهما من الدرويشات الصادقات المحبّات للطريق.

وكانت الفتاة تشعر دائمًا بفراغ الأب في أعماق قلبها. وبعد أن تعرّفت إلى شيخ الطريقة، تعلّق قلبها بحضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، وأخذت تستمدّ منه العون بكل إخلاص، راجيةً أن يُعيد إليها أباها المفقود.

وفي إحدى الليالي، وبعد بكاءٍ طويل، غلبها النوم. فرأت في المنام حضرة الشيخ يكتب بعصاه رقمًا على الأرض. والعجيب أنها عندما استيقظت من نومها كانت تحفظ ذلك الرقم كاملًا في ذاكرتها، كما يحدث أحيانًا في بعض الرؤى الصادقة.

وبترددٍ وحياء، اتصلت بذلك الرقم. فأجابت امرأة.
بدأت الفتاة تروي قصتها، واختفاء أبيها، والرؤيا العجيبة التي رأتها، بصوتٍ مرتجف. وبعد لحظة صمتٍ قالت المرأة:
"ربما أستطيع أن أساعدك".
ثم تبيّن أنها عمّة الفتاة. فأعطتها رقمًا في تركيا وقالت لها:
"اتصلي بهذا الرقم، فربما يكون والدك".
اتصلت الفتاة بالرقم، فردّ رجلٌ على الهاتف. وبعد أن استمع إلى كلامها قال:
"كل ما تقولينه صحيح. انتظري، سأأتي من تركيا. سنجري فحصًا جينيًا، فإن كانت النتيجة إيجابية فأنتِ ابنتي".
وبعد مدة أُجري الفحص، وثبتت العلاقة بين الأب وابنته بشكلٍ قاطع.
وكان الأب ميسور الحال من الناحية المادية. فقال للأم:
"لقد تزوجتُ في تركيا منذ سنوات، ولي زوجة وأولاد هناك، لذلك لا أستطيع أن أتزوجك. لكن إن أردتِ، يمكنني أن آخذك أنتِ وابنتنا إلى تركيا، وأوفّر لكما بيتًا لتعيشا فيه هناك، وتُكمل ابنتنا دراستها الجامعية في تركيا".

لكن الأم رفضت ذلك، وقالت إنها لا ترغب في الهجرة أو العيش في الغربة.

وفي النهاية، أخذ الأب ابنته معه إلى تركيا، حيث بدأت دراستها الجامعية هناك. وهكذا استطاعت تلك الفتاة، التي عاشت سنواتٍ طويلة وهي تشعر بغياب أبيها، أن تعرف على الأقل حقيقةً هويتها، وأن تستعيد الرابط المفقود في حياتها.

الرواية 69 – رؤيا "الغيوب اللاهوتية"

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

إنّ جزءًا من الذكر الجماعي في الطريقة الكسنزانية هو الاستمداد من مشايخ الطريقة (ق)، حيث يُخاطَب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) بعبارة:

"المهندس في الغيوب اللاهوتية"

ويُطلب منه العون والمدد بهذا اللقب. وكان هذا التعبير في بدايته يبدو لي شيئًا غير مألوف ويبعث في نفسي شيئًا من العجب. غير أنّ هذا الذكر كان مقررًا بأمرٍ وتوجيهٍ من أستاذ

الطريقة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، ولذلك كنت أحاول دائمًا أن أُزيل من قلبي أي تردد، وأن أتلّقى هذا الأمر بالأدب والتسليم والاطمئنان.

ومع ذلك، ظلّت أسئلة عميقة تدور في ذهني: ما هو عالم الغيوب اللاهوتية؟ وما حقيقته وماهيته؟ وعلى أي أساس يقوم نظامه وهندسته؟ وكيف يستطيع أولياء الله أن ينتقلوا في لحظةٍ واحدة من مكان إلى مكان؟ كانت هذه الأسئلة حاضرة في فكري وقلبي باستمرار، تدفعني إلى التأمل في أسرار هذا العالم الغيبي.

وفي تلك السنة نفسها، وبعد أن قضيت ثمانين يومًا في الصيام والاعتكاف والمراقبة، رأيت رؤيا كشفت لي جواب السؤال الذي كان يدور في ذهني وقلبي منذ زمن طويل.

بعد صلاة الفجر رأيت نفسي في عالم الرؤيا في حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، في المكان نفسه الذي يجلس فيه اليوم حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (ق).

كنت واقفًا أمامه في الموضع الذي يجلس فيه، وكان فوق ذلك الموضع بابٌ عظيم للغاية. فقال لي حضرة الشيخ:

"سمعنا أنك تريد أن تطير".

فقلت: نعم، سيدي.

فقال:

"انظر إلى هندسة شوارع مدينتك ونظام طرقها؛ فإن طرق السماء كذلك، منظمة بنظامٍ دقيق وهندسةٍ كاملة".

ثم قال لي:

"انظر خلفك".

فلما التفتُّ رأيت بابًا كبيرًا يشعّ منه نورٌ شديد. فقال لي:

"ادخل".

فقلت: لا أستطيع، أخاف أن أدخل وحدي. تعال معي، فأنا لا أعرف أحدًا غيرك.

عند ذلك أشار حضرة الشيخ إلى رجلين من أولياء الله الصالحين – وكنت أعرف أحدهما معرفةً جيدة – وقال لهما: "خذوه وأدخلوه معكما".

فأخذاني من جانبيّ، وأدخلاني من ذلك الباب. وفي اللحظة نفسها انكشف عن بصري مشهدٌ عظيم؛ رأيت شبكةً نورانية هائلة ممتدة في جميع الجهات، لا يُتصوَّر لها حدّ ولا نهاية. ورأيت أن القائمين على هذه الشبكة هم أرواح أولياء الله الصالحين وملائكة الله، بأعداد لا تُحصى ولا يمكن تخيلها.

فقال لي أحد أولياء الله:

"هذا هو عالم الغيوب اللاهوتية الذي كنت تسأل عنه دائمًا".

فقلت: من ذلك الرجل العظيم الذي قدماه على الأرض ورأسه في السماء؟

فقال:

"هذا جدك علي بن أبي طالب (ع). كان هذا الأمر من قبل بيد وكيله، أما الآن فهو بنفسه يتولى تنظيم وهندسة الطرق بين السماوات والأرض، وهذه الخطوط النورانية".

وكان في يده المباركة كتابٌ عظيم مهيب.

ثم رأيت نفسي أصعد نحو السماء، وأشاهد من الأعلى امتداد تلك الهندسة العظيمة؛ كيف تتفرع الطرق والخطوط النورانية في نظامٍ هندسي دقيق، فتغطي العالم كله، وتصعد إلى السماوات، ثم تدخل إلى بيت كل درويش في أي مكان من العالم.

ثم قال لي أحد أولياء الله:

"أغمض عينيك".

فأغمضت عيني، وفي طرفة عين انتقلنا إلى منطقتنا. وهناك رأيت تلك الخطوط النورانية نفسها منتشرة في بيوتنا، تدخل إلى الغرف وترتبط بقلوب الدراويش.

وفي تلك اللحظة أدركت أن هذه هي الطرق الهندسية بين السماء والأرض، وهي الخطوط الربانية النورانية التي تُعرف في الطريقة باسم "رابطة المريد مع الشيخ"، وأن المسؤول عن تنظيمها وهندستها هو علي بن أبي طالب (ع).

وعلمت كذلك أن المركز الرئيسي لهذه الشبكة النورانية العظيمة يقع فوق ذلك المكان الذي كان يجلس فيه حضرة الشيخ، ومن هناك تبدأ هندسة الطرق التي يسير بها أولياء الله

في أنحاء العالم، ويقطعون بها المسافة بين السماوات والأرض في طرفة عين.

تأمّلٌ ختامي

تعلّمنا هذه الرؤيا أنّ عالم الوجود لم يُبنَ على المصادفة أو الفوضى، بل إنّ كلّ ما فيه يجري وفق حكمةٍ عميقة وهندسةٍ إلهية؛ هندسةٍ لا تحكم عالم المادة والطبيعة فحسب، بل تمتدّ كذلك إلى عالم الأرواح والقلوب وعلاقة الإنسان بربّه. فما نسمّيه في الطريقة "رابطة المريد بالشيخ" ليس مجرد ارتباطٍ روحي بسيط، بل هو اتصالٌ حقيقي في شبكةٍ نورانية حيّة تمتدّ بين السماء والأرض، وتصل قلوب السالكين بمصدر الهداية.

وتُبيّن لنا هذه الرؤيا أنّ أولياء الله، ولا سيما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ليسوا فقط قدوةً في الأخلاق والشجاعة والمعرفة، بل إنّ لهم كذلك مهامّ عظيمة في عوالم الغيب، وأنّ تدبير وتنظيم المسارات النورانية يجري بإذن الله على أيديهم.

كما نفهم أيضًا أنّ الأذكار والاستمدادات التي نؤديها في الطريقة بخشوعٍ وتسليم ليست مجرد ألفاظ رمزية أو عبارات شكلية، بل هي مفاتيح حقيقية للاتصال بتلك الشبكة النورانية. فكل ذكرٍ، وكل توجهٍ قلبي، وكل تسليمٍ صادق، يضع الإنسان ضمن هذه الهندسة الربانية ويجعل طريقه في عالم المعنى أكثر وضوحًا.

وفي النهاية، تخبرنا هذه الرؤيا أنّ الطريقة طريقٌ حيّ وفاعل في الوجود؛ طريقٌ قائم على المحبة والطاعة والاتصال القلبي، يهيّئ السالك لعبور حدود الزمان والمكان، ليقترب أكثر من شهود الحقيقة وسكينة الباطن والحضور الدائم في الحضرة الإلهية.

الرواية 70 – الختم تحت حُكم الخلافة

روايةٌ لأحد السالكين في الطريقة

كان جميع أبنائي قد انضمّوا إلى الطريقة، وكانت ابنتي الكبرى قد بلغت مقام الخلافة. ومع ذلك، كنت في داخلي

أشعر بشيءٍ من المقاومة تجاه الطريقة، ولم أستطع أن أتقبّلها بسهولة. وعندما أصبحت ابنتي خليفة، قلت في نفسي:

لعلّ هذه الخلافة وهذه الدروشة أمرٌ ظاهري لا أساس له، ولعلّ هذه الأعمال إنما تُفعل لمجرد إرضاء الناس.

ظللت يومين تقريباً مشغول الفكر بهذه الخواطر، ولم يكن ذهني يهدأ، حتى رأيت في إحدى الليالي رؤيا عجيبة.

رأيت في المنام أنني في ساحةٍ واسعة، وكان جمعٌ كبير من الناس جالسين على الأرض. وأمامهم كان رجلٌ جالسًا على كرسي، وخلفه مبنى بلونٍ بنيّ. وكان الجوّ مهيباً ورسمياً، كأن مجلسًا مهمًا وحاسمًا يُعقد في ذلك المكان.

وفي تلك اللحظة دخل رجلٌ يرتدي لباس الكوماندوز، وتوجّه مباشرة إلى الرجل الجالس على الكرسي، وقدّم له رسالة كانت ملفوفة على هيئة الرسائل القديمة.

فرأيت ذلك الرجل يفتح الرسالة، ثم نادى بصوتٍ عالٍ:

"فلان، والد فلانة"!

وذكر اسمي واسم ابنتي، ثم قال:

"من الجالس هنا؟"

فرفعت يدي وقلت:
"أنا". فقال باحترام:
"يا والدها، تقدّم".
فلما تقدّمت نحوه، أدركت فجأة أن الرجل الجالس على الكرسي هو حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). فاشتدّ خفقان قلبي.
ثم أراني الرسالة وقال:
"يا فلان، هذه وثيقة خلافة ابنتك. لقد وقّعها رسول الله ﷺ وأرسلها إليّ لكي أوقّعها أنا أيضًا".
ثم أشار إلى ختم رسول الله ﷺ على الرسالة؛ فلما رأيته ارتجف كياني كله. وبعد ذلك أخرج ختمًا آخر من جيبه، وضرب به أسفل الرسالة بقوةٍ وثبات.
وفي اللحظة التي وقع فيها الختم على الورقة، عمّ المكان نورٌ أخضر، نورٌ حيّ عميق يبعث السكينة، كأنه قادم من عالمٍ آخر. وفي ذلك النور تلاشت كل شكوكي وسوء ظني ومقاومتي الداخلية. ثم استيقظت من النوم على تلك الحال، وقلبي ممتلئ بيقينٍ وسكينة لم أعرفهما من قبل.

الرواية 71 - علاج الرُّهاب (الخوف الشديد)

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

الرُّهاب، أو ما يُعرف بالخوف المرضي، هو نوعٌ من اضطرابات القلق، يظهر فيه ردُّ فعلٍ شديد وغير منطقي تجاه أمرٍ معيّن، كالأماكن المغلقة، أو بعض الحيوانات مثل الأفاعي، أو المرتفعات، وغير ذلك. وغالبًا ما يترافق هذا الخوف مع تسارع ضربات القلب، والقلق، والاضطراب النفسي، وأحيانًا مع خللٍ في أداء الإنسان لحياته اليومية.

وفي هذا المجال وقعت لي تجربة تستحق التأمل من الناحية النفسية.

قبل سنوات جاءتني امرأة تشكو من رُهابٍ شديد من الأفاعي، حتى إنها كانت إذا رأت صورة أفعى في التلفاز مصادفةً تصاب بقلقٍ واضطرابٍ شديدين يستمران أيامًا أو حتى أسابيع. وقد بلغ هذا الخوف حدًّا أثّر في حياتها الطبيعية تأثيرًا واضحًا.

وبعد مدة من تعرّفها إلى الطريقة وبدئها السير في الطريق الروحي، الذي كان يترافق مع الذكر وتهدئة الذهن وتعزيز الشعور بالأمان الداخلي، بدأت تظهر تغيرات ملحوظة في حالتها النفسية.

وبعد عدة أسابيع جاءتني وهي تقول بدهشة:

"أشعر أن ردّ فعلي قد تغيّر تمامًا. فأنا الآن أستطيع مشاهدة مقاطع يظهر فيها الدراويش وهم يمسكون الأفاعي بأيديهم، بل أستطيع النظر إليها من غير أن أشعر بالخوف أو القلق. بل إنني لا أشعر بالخوف فحسب، وإنما أحسّ أيضًا بنوعٍ من الطمأنينة، بل وحتى بشيءٍ من الاهتمام".

وأضافت قائلة:

"أحيانًا أشعر أنه لو كنت في مثل تلك الظروف، فربما أستطيع أنا أيضًا أن أمسك الأفعى بيدي من غير أن أشعر بالذعر".

ومن خلال هذه التجربة يمكن أن يُفهم أن الطريقة والذكر - بوصفهما مسارًا روحيًا - قد قاما بدور عاملٍ عميق في تهدئة النفس؛ عاملٍ ساعد هذه المرأة على إضعاف خوفها

القديم المشروط تدريجيًا، والوصول إلى شعورٍ بالأمان، والسيطرة على النفس، والسكينة الداخلية.

الرواية 72 – زجاجة في ثلّاجة القلب

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام ذهبنا – مع جماعةٍ من الدراويش – إلى إحدى المدن من أجل الإرشاد. وأثناء إقامة الذكر دخل التكية شابٌّ ضخم البنية، تظهر على وجهه آثار عدة طعنات بالسكاكين، وكان معه عدد من الشبان يشبهونه في هيئتهم. وكان منظرهم وهيبتهم بحيث جعلت جوّ المجلس ثقيلاً للحظات.

وبعد انتهاء الذكر سألتُ الخليفة: من هذا الشاب؟

فقال:

"كان هذا الشاب رئيس شبكةٍ لتهريب وتوزيع المخدرات في هذه المدينة. وكان أحد أفراد شبكتهم قد أخذ الطريقة منذ مدة وترك ذلك العمل. فجاؤوا ليخيفوني.

وفي أحد الأيام جاء هذا الشاب إلى التكية مع المجموعة نفسها التي رأيتها الآن. فتقدّم نحوي بغضب وقال:

"ما هذه الأشياء التي يقولها هؤلاء؟ من أنت حتى تعظ الناس؟"

فقلت له:

"أنا خليفة الطريقة الكسنزانية، ومهمتي دعوة الناس إلى طريق الله".

فقال بسخريةٍ وغضب:

"ما هذه الخرافات التي تعطيها للناس؟"

ومن شدّة هيبته وهيبة من معه شعرت في داخلي بخوفٍ عابر. وفي تلك اللحظة استمددتُ بكل قلبي من حضرة الشيخ محمد المحمد (ق). وفجأة انكشف لي مشهدٌ واضح في داخلي: رأيت ثلّاجة، ففُتح بابها، وظهر في أسفلها زجاجة ويسكي أجنبية عليها ملصق أحمر.

وفي اللحظة نفسها تحوّل خوفي إلى شجاعةٍ غريبة. فقلت له بلهجةٍ حازمة:

"هذه ليست خرافات. تعال أنت أيضًا وتُب إلى الله.
واسكب الآن زجاجة الويسكي الحمراء التي وضعتها في أسفل ثلاجتك في المرحاض".

فتجمّد الشاب في مكانه فجأة. وبقي لحظات ينظر إليّ بدهشة. ثم انهمرت الدموع من عينيه بلا إرادة، فتقدّم نحوي، وارتمى عند يديّ وأخذ يبكي. وهناك تاب إلى الله. وتأثر رفاقه كذلك، فتابوا جميعًا وأخذوا الطريقة.

وبعد مدة عدتُ مرة أخرى إلى تلك المدينة وإلى تكية ذلك الخليفة. فلم أجد تلك المجموعة هناك. فسألت الخليفة عمّا حدث.

فقال:

"للأسف، إن شبكةَ المافيا التي كان هذا الشاب يعمل ضمنها لم تتركه وشأنه. فقد هددوه بأنهم سيقتلونني ويقتلون جميع أفراد أسرته. وقد جاءني بنفسه وقال: رغم أنني آمنت بحقيقة الطريقة، إلا أنني لا أستطيع الآن ترك عملي، لأن حياتك وحياة عائلتي ستكون في خطر".

ومنذ ذلك الحين لم يأتِ هو ولا أفراد مجموعته إلى التكية مرة أخرى.

وقد تركت هذه الحادثة في نفسي درسًا عميقًا:

فأحيانًا يشرق نور الحق في قلب الإنسان فيوقظه، ولكن قيود الخوف والتهديد وبُنى الشر في المجتمع قد تمنعه من متابعة الطريق. فالإيمان لا يعني دائمًا الحرية الفورية، بل قد يكون بداية معركةٍ صعبة بين النور والظلام.

الرواية 73 – حين يكون الألمُ سبباً للرحمة

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

في زمن حياة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، وفي أحد فصول الشتاء القارس، كنّا جالسين في تكية السليمانية حول المدفأة. وكان البرد شديدًا إلى درجة أن الخروج إلى الخارج كان أمرًا صعباً على أكثر الناس. وبينما نحن على تلك الحال، دخل أحدهم فجأة وأخبرنا أن حضرة

الشيخ أمرنا أن نذهب إلى بستان التكية لنقلب الأرض بالمعاول.

فنهضنا جميعًا من دون تردد وتوجهنا إلى البستان. وكان الجو شديد البرودة والأرض متجمدة، فصار العمل شاقًا ومتعبًا.

وكان بيننا درويشٌ مسنّ، يبلغ من العمر نحو خمسٍ وسبعين سنة، من المريدين القدامى منذ زمن حضرة الشيخ عبد الكريم - والد حضرة الشيخ. وكان يرتجف من شدة البرد والضعف. وفي تلك اللحظة، وبأسلوبٍ قديم معروف في الطريقة يُسمّى "السوز"، أخذ يخاطب شيخه الراحل بحرقةٍ وبكاء، وقال متألمًا:

"سيدي، لقد ربّيتنا في النعمة والراحة،

أما ابنك فيرسلنا في برد الشتاء لنقلب الأرض في البستان".

ولم يكن قد أتم كلامه حتى جاء درويشٌ شاب مسرعًا وهو يلهث، وقال:

"حضرة الشيخ يأمر بترك العمل والعودة فورًا إلى قاعة الاستراحة".

تعجبنا جميعًا من ذلك. فقد كان منزل حضرة الشيخ بعيدًا عن المكان الذي كنّا فيه، وبدا كأن الشيخ قد علم بما قاله ذلك الشيخ المسن قبل أن يصل إليه الخبر.

وعندما عدنا إلى قاعة الاستراحة قال الرجل المسن بابتسامة هادئة بسيطة:

"أرأيتم؟ حضرة الشيخ عبد الكريم أنقذنا من العمل في هذا البرد".

لكن أحد الدراويش الشباب، وكان ينظر إلى الأمر بنظرةٍ أعمق، قال له:

"لقد أضررتَ بنفسك وبنا. أما تعلم أن حضرة الشيخ كان له هدفٌ أبعد من مجرد تقليب أرض البستان؟ لقد أراد أن يجعل هذا العمل الشاق سببًا ليعرض الأمر على رسول الله ﷺ ويقول:

يا رسول الله، اغفر ذنوب هذا الدرويش الشيخ الذي يعمل في برد الشتاء، واعفُ عنه.

لكن كلامك هذا أضاع هذه الفرصة. والآن، وقد لم تعد لديك القدرة على العبادة، ولا يتيح لك عمرك فرصة المجاهدة، فماذا ستفعل؟"

وساد المكان بعد ذلك صمتٌ ثقيل؛ صمتٌ كان أبلغ من ألف كلمة.

تأملٌ ختامي

في هذه الرواية لا تظهر الكرامة في إلغاء العمل الشاق، بل في فهم النية الخفية التي تكمن وراء المشقة الظاهرة. فكثيرًا ما يكون ما يبدو لنا تعبًا ومشقة فرصةً لتعويض سنواتٍ من الغفلة والتقصير.

وقد يختار أولياء الله المشقة لا لإيذاء الناس، بل لإنقاذ قلوبهم.

وتذكّرنا هذه القصة أن طريق السلوك ليس دائمًا في الأسهل والأيسر؛ فكم من فرص الرحمة الأخيرة تكون كامنة في اللحظات التي يحاول الإنسان الهرب منها. وفهم هذا المعنى هو في حد ذاته كرامة أعظم من أي علامة ظاهرة.

الرواية 74 – نورٌ نزل من السماء

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام شاهدتُ مقطعًا مصوّرًا ظلّ يشغل ذهني مدةً طويلة. ففي تلك المشاهد كان الزائرون حول الكعبة المشرفة يشاهدون نورًا ينزل من السماء؛ نورًا لا يشبه البرق، ولا يشبه الشهاب. كان ينزل بهدوءٍ واستمرار، كالماء حين ينساب من إناء، حتى بدا وكأنه يتدفق فوق الكعبة، ثم اختفى بعد لحظات.

ولم تكن الغرابة في ظهور النور فحسب، بل في أن هذه الظاهرة لم تكن مجرد إدراكٍ شخصي لمن حضروا، بل إن الكاميرات التلفزيونية سجّلتها بوضوح. وقد قيل لاحقًا إن هذه الظاهرة صُوِّرت من زوايا متعددة، وإن آثارها كانت واضحة في التسجيلات.

وعندما شاهدتُ ذلك المقطع، تذكّرتُ فورًا حادثةً كان قد رواها لي قبل سنوات أحد أصدقائي المقربين، وهو من خلفاء الطريقة الكسنزانية البارزين. فقد قال:

في إحدى الليالي الأخيرة من شهر رمضان المبارك، كان مع جماعةٍ أخرى في خلوةٍ مدتها أربعون يومًا مع حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) على جبلٍ قريب من قرية كَربچنه. فقال حضرة الشيخ:

"هذه الليلة هي ليلة القدر".

وكان المكان يغمره سكونٌ وطمأنينة، وفجأة ظهر نورٌ عظيم في السماء، ثم أخذ ينزل نحو الأرض كأنه شهاب سماوي.

فنزل ذلك النور على صخرةٍ كبيرة قريبة من مكان الخلوة، في الموضع الذي كان حضرة الشيخ يجلس عليه ليلاً ويعظهم فيه. ثم انقسم ذلك النور إلى ثلاثة أجزاء؛ ثلاثة أنوار منفصلة، أخذ كل واحدٍ منها يسير في السماء نحو قرية كَربچنه، كأنه شهابٌ مضيء، ثم اختفى في الهواء.

حادثتان، في مكانين مختلفين، وبينهما مسافة طويلة في الزمن، ومع ذلك تجمعهما دهشةٌ واحدة:

نورٌ لا يحرق ولا يدمّر،

بل ينزل، ويستقر، ثم يمضي.

الرواية 75 - تعارفٌ في ليلة القدر

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

قبل سنواتٍ عديدة وصلتني رسالة عبر موقعي الشخصي من شاب يُدعى مجتبى، يقيم في مدينة هرات في أفغانستان.

كتب لي أنه منذ سنوات طويلة يحمل في قلبه محبةً خاصة لأولياء الله، ويرى في هذه المحبة نعمةً إلهية تجذّرت في نفسه منذ طفولته. وكان دائمًا يسعى إلى إقامة علاقة عميقة مع الله تعالى، ويحرص على الاستفادة من كتب وآثار أولياء الله؛ ومع ذلك، وبرغم كل هذا الشوق، لم يكن قد وجد طريقًا واضحًا ومطمئنًا يسلكه في نموّه وتكامله الروحي.

وقد قضى ثلاث سنوات كاملة يبذل فيها ما استطاع من جهدٍ وإخلاص للتقرّب إلى الله. لكنه - كما قال - كلما ازداد سعيه، ازدادت الضغوط والآلام الروحية التي يشعر بها. وكأن عطش الحقيقة كان يشتعل في قلبه، لكن الطريق الذي يقوده إلى الماء لم يكن ظاهرًا أمامه.

وفي ليلة التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، دعا الله بقلبٍ منكسر وعينين دامعتين أن يريه وسيلة تقرّبه إليه، وطريقًا يخرجه من حيرته. ثم غلبه النوم على تلك الحال.

وبعد وقتٍ قصير استيقظ من نومه من غير أن يكون قد خطّط لذلكً أو اعتاده. فدخل إلى الإنترنت، ومن غير قصدٍ منه وصل إلى موقعٍ لم يكن قد سمع باسمه من قبل. وما إن شاهد أول المقاطع والمواد المنشورة فيه حتى شعر بحالةٍ غريبة في قلبه، حالةٍ وصفها هو نفسه بأنها "جذبٌ باطني."

وبعد أن تمّ التواصل بيني وبينه، انضمّ إلى الطريقة، وتمكّن من الحفاظ على ذلك الشوق الداخلي حيًّا، وسار – بفضل الله – خطوةً بعد خطوة في طريق النور والسكينة.

الرواية 76 – رايةُ الإمام الحسين

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

في سنّ التاسعة، وفي ليلة عاشوراء – ليلة التاسع إلى العاشر – رأيت رؤيا لم تغب عن ذاكرتي قط. رأيت نفسي في أرض

كربلاء. وكان صوت البكاء والعويل يملأ الفضاء. وكانت أجساد الشهداء مبعثرة على الأرض، وكان منظرها يهزّ كياني ويرجف له بدني. لم أستطع أن أفعل شيئًا سوى البكاء. ولم يكن في تلك الساحة أحدٌ إلا حضرة أبي عبد الله الحسين (ع). وبقلبٍ طفوليّ كنت أبكي لغربته ووحدته. وفي تلك اللحظة تقدّم نحوي الإمام الحسين وقال لي:

"لا تبكِ. خذ تلك الرمح التي سقطت على الأرض وأعطني إياها".

فأخذت الرمح وقدّمتها إلى يده المباركة. ثم أعطاني الراية الخضراء التي كانت في يده وقال:

"يجب أن تحفظ هذه الراية".

فقلت باكيًا: "لا تتركني هنا وحدي".

فقال: "لن أتركك وحدك".

وكان بكائي في المنام شديدًا إلى درجة أن والديّ أيقظاني من النوم. فلما سألاني عما رأيت، رويت لهما الرؤيا. فهنّآني كلاهما. قبّل أبي وجهي وقال:

"لقد اختارك الإمام الحسين (ع) لطريقه، طريق الدعوة والإرشاد".

في ذلك الوقت لم أكن أفهم معنى كلام والدي. أما أمي فقالت إن هذه الرؤيا هي استجابة لدعاءٍ كانت قد دعت به منذ سنوات. وقالت:

"حين كنت صغيرًا، ذهبت يومًا إلى تكية الحاج خليفة فتاح، وقبّلت باب التكية، وطلبت من مشايخ الكسنزان أن يرزقني الله ولدًا يكون يومًا خليفة في الطريقة الكسنزانية. إن شاء الله تكون هذه الرؤيا جواب ذلك الدعاء".

ومضت السنوات بعد تلك الرؤيا. وفي سن السابعة عشرة أخذت الطريقة، وبعد سنة التحقت بالخدمة العسكرية. وفي أواخر خدمتي وُجّهت إليّ تهمة السرقة ظلمًا. ولما رأيت أنه لا سبيل لي لإثبات براءتي، توجّهت بقلبي إلى شيخ الطريقة حضرة الشيخ محمد الكسنزان (ق)، وطلبت منه المدد.

وبعد أيام عُقد اجتماع في مكتب قائد المعسكر للنظر في قضيتي. وفي أثناء ذلك الاجتماع استمددت في قلبي مرة

أخرى من حضرة الشيخ. وفجأة رأيته حاضرًا أمامي في المجلس. فتقدّم بغضب وصفع قائد المعسكر صفعةً قوية وقال:

"درويشي ليس سارقًا"!

ثم التفت إليّ وقال:

"يا بنيّ، لا تقلق. لقد ظهر السارق الحقيقي".

ثم غاب عن بصري. ولم يرَ الآخرون شيئًا، لأن هذه المشاهدة كانت في عالم الباطن لا في عالم الظاهر.

وبعد قليل انتهى الاجتماع. فجاء قائد المعسكر نحوي ورأسه مطأطأ وقال:

"سامحنا يا سيّد. لقد وُجد السارق، وأنت بريء".

وبعد انتهاء خدمتي العسكرية عدت إلى مدينتي. ومنذ ذلك الحين بقيت صورة أستاذ الطريقة المباركة حاضرة في نظري، وكنت مشغولًا بالذكر والأوراد.

وبعد سنوات تزوجت. وفي تلك الفترة أصابت منطقتنا موجة جفاف شديدة استمرت ثلاث سنوات.

وفي أواخرِ أشهر الصيف من إحدى تلك السنوات بنيت تكيةً حبًا لله ولرسوله ولمشايخ الطريقة الكسنزانية. ولأخذ

الإذن ببدء العمل تشرفت بزيارة شيخ الطريقة، وذكرت له ما تعانيه منطقتنا من الجفاف. فمنحني حكم الخلافة وقال لي:

"إن شاء الله سيُحلّ قريبًا أمر نقص الماء عندكم".

فعدت إلى مدينتي وقلت للأصدقاء والمعارف:

"حين تصل راية تكيّتنا إلى هنا ستنجو هذه المحافظة من الجفاف".

فسخر مني كثيرون. لكني كنت أقول في نفسي: اضحكوا الآن، فحين تأتي الراية سأضحك أنا.

وبأمر حضرة الشيخ جاء موكبٌ إلى منطقتنا ممثلًا أحد الخلفاء. وفي يوم افتتاح التكية كان الجو مشمسًا. وعندما جاءوا بالراية ثبت بصري عليها، وفجأة عادت إلى ذاكرتي ذكرى قديمة تعود إلى ثلاثٍ وعشرين سنة مضت.

نعم... كانت هي نفسها الراية التي تسلّمتها في طفولتي في المنام من الإمام الحسين (ع).

وفي الليل أُقيمت حلقة الذكر. وقبل أن يبدأ الذكر بقليل بدأ المطر ينزل خفيفًا، ثم اشتدّ شيئًا فشيئًا. وسرعان ما أصبح

المطر غزيرًا إلى درجة لم يعد معها الوقوف في الخارج ممكنًا، فدخل الجميع إلى داخل التكية. واستمر المطر حتى الصباح.

وفي اليوم التالي جاء الذين كانوا يسخرون مني واعتذروا. كما أعلنت الأخبار في المحافظة أنه خلال أقل من عشر ساعات من المطر امتلأت السدود والخزانات المائية في المنطقة، وأصبحت المياه المتوفرة كافية للمحافظة لعدة سنوات.

تأمّلٌ ختامي

هذه الرواية ليست مجرد حكاية حلمٍ أو حادثةٍ خارقة، بل هي قصة إيداع أمانة، أمانةٍ توضع في قلب إنسانٍ في طفولته في عالم الرؤيا، ثم يتجلى معناها وتتحقق في مجرى الحياة بعد سنوات. فالراية التي أُعطيت في المنام لم تكن رمز امتياز، بل علامة مسؤولية، لم تكن مكافأة، بل إشارة إلى طريق.

وفي هذه الكرامة يظهر بوضوح الترابط بين نية الأم الصادقة، والاختيار الإلهي، والتربية المتدرجة عبر السنين، وتحقيق الوعد في الوقت المناسب. فلم ينزل المطر فجأةً من غير حساب، ولم يظهر العون الإلهي من غير تمهيد. بل وقع كل

شيء في موضعه وفي وقته؛ حين كان القلب مستعدًا، والعهد لم يُنسَ.
وتذكّرنا هذه الرواية أن بعض الرسالات تبدأ منذ الطفولة، لكنها لا تتجلى حتى يبلغ الإنسان نضج الصبر واليقين. كما تُظهر أن أولياء الله، وإن بدوا غائبين في الظاهر، فإنهم في اللحظات الحاسمة يكونون أقرب حضورًا من كل حاضر.
وأما مطر تلك الليلة، فلم يكن مطر ماءٍ فحسب، بل كان مطر تصديق؛ تصديق رؤيا بقيت في القلب سنوات، وتصديق طريقٍ رافقته سخرية الناس، وتصديق وعدٍ قيل لصاحب الراية يومًا:
"لن أتركك وحدك".

الرواية 77 - إحياءُ حاسوبٍ متعطّل

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

قبل بضع سنوات، حين كنت قد تشرفت بالطريقة حديثًا، كان لديّ في مدرستي الأهلية أربعُ حواسيب. وفجأة تعطّل

أحدها عن العمل. وبما أن تخصّصي هو هندسة الحاسوب، فقد قمتُ بفحص الجهاز مرارًا، وتأكدت يقينًا أن الشريحة الإلكترونية (IC) المثبّتة على اللوحة الأم قد احترقت.

وقد أحزنني ذلك كثيرًا، إذ كان في الصف أربعةٌ وعشرون طالبًا، ولم يكن لديهم سوى أربعة حواسيب. ومن جهة أخرى، لم يكن من الممكن الحصول على لوحة أم بديلة في مدينتنا، بل كان ينبغي شراؤها من مركز المحافظة. وكان ذلك في أيام تساقطت فيها الثلوج بكثافة وأُغلقت الطرق، فلم يكن هناك حلّ سريع للمشكلة.

وفي ذروة الضيق والحيرة قال لي أخي - وكان خليفة في الطريقة الكسنزانية:

"تعال نستمدّ من حضرة الشيخ محمد الكسنزان (ق)، لعلّ الله يصلح الأمر".

والحقيقة أنني ضحكت في داخلي من هذا الاقتراح. وقلت في نفسي: أليس شيخ الطريقة يُستمدّ منه في الأمور الروحية والدينية؟ ما علاقة ذلك بقطعةٍ إلكترونية محترقة في جهاز الحاسوب؟

لكن أخي قال:
"تعال نجرب مرة واحدة".
فصلّينا ركعتين، واستمددنا بإخلاص من حضرة الشيخ.
وبعد ذلك، وأنا في غاية اليأس، ضغطت زرّ تشغيل الحاسوب... فإذا بالجهاز يعمل.
تعجبت وقلت في نفسي: لعل اللوحة الأم لم تكن محترقة تمامًا، وربما كانت شبه تالفة فقط. فأطفأت الحاسوب وحاولت تشغيله مرة أخرى، لكنه لم يعمل مهما حاولت.
فقال أخي:
"يبدو أنك ما زلت تشكّ في أنه كان معطّلًا".
قلت: "نعم، بصراحة ما زلت أشك".
فقال:
"إذا استمددنا مرة أخرى وعمل الجهاز ثانيةً، فهل سيزول شكك؟"
قلت: "نعم، هذه المرة لن يبقى لديّ أي شك".
فاستمددنا مرة أخرى، ثم شغّلنا الجهاز. فاشتغل مرة أخرى من غير أي مشكلة.

لكن دهشتنا اكتملت عندما استمر ذلك الحاسوب يعمل لديّ سنواتٍ عديدة بعد تلك الحادثة من دون أي خلل، حتى خرج من الخدمة طبيعيًا بعد مرور الزمن.

وكان ذلك اليوم درسًا لا يُنسى بالنسبة لي: أن مدد الله وعناية أوليائه لا يقتصران على ما نسمّيه نحن "أمورًا روحية" فحسب، بل قد تُفتح الأبواب حيث يوجد انسدادٌ حقيقي وتوكّلٌ صادق، حتى في الموضع الذي لا يرى فيه العقل الحسابي أيَّ أمل.

الرواية 78 – شفاءُ مرضِ تساقط الشعر

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

قبل سنواتٍ عديدة أُصبت بمرضٍ غريب ونادر لم أكن قد رأيت مثله من قبل. فقد تساقط جزءٌ من شعر وجهي فجأة، في بقعةٍ دائرية يبلغ قطرها نحو سنتيمترين إلى ثلاثة سنتيمترات. في البداية راجعتُ طبيبًا في مدينتنا، لكنني لم

أحصل على نتيجة. ثم ذهبت إلى مدينةٍ أخرى كان فيها أطباء أكثر تخصصًا، ومع ذلك لم يتحقق علاجٌ فعّال.

وفي النهاية قصدت مركز المحافظة وراجعت طبيبًا مختصًا بالأمراض الجلدية. فسألته عن سبب المرض. فقال لي بصراحة إنني مصاب بمرضٍ يهاجم فيه جهاز المناعة في الجسم بعض أجزاء البدن، فتقوم كريات الدم البيضاء بمهاجمة أماكن مختلفة، ومنها بصيلات الشعر، فتتلفها. ثم قال:

"كأن جزءًا من جسدك قد تمرّد عليك. لا يوجد علاجٌ قطعي لهذا المرض. قد أستطيع أن أبطئ تقدمه، لكن من المحتمل أن يتساقط شعر رأسك ووجهك كله".

كنت أتناول الأدوية بدقةٍ وانتظام، لكن على خلاف المتوقع كانت بقع الصلع في رأسي ووجهي تزداد يومًا بعد يوم.

وفي تلك السنة نفسها تشرفت بأداء العمرة. وبإلحاحٍ من عائلتي غسلت رأسي ووجهي مراتٍ عديدة بماء زمزم، غير أن ذلك لم يُحدث أثرًا، وظل المرض في ازدياد.

وبعد نحو شهرين تشرفت بزيارة أستاذ الطريقة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وبالحاج من والدي عرضت عليه قصة المرض وطلبت المساعدة. فقال لي حضرة الشيخ:

"اذهب إلى الطبيب".

فقلت: "سيدي، لقد ذهبت، لكن دون فائدة".

فقال:

"اذهب إلى مرقد والدي حضرة الشيخ عبد الكريم في كَرَبچنه، وخذ قليلًا من تراب ذلك المكان، واخلطه بالماء حتى يصير طينًا، ثم ادهن به رأسك ووجهك. إن شاء الله تُشفى".

فذهبت إلى كَرَبچنه وأحضرت شيئًا من تراب المرقد، وفعلت ما أمرني به. وبهمة أستاذ الطريقة، وبعد أن قمت بما أوصاني به، بدأ شعر رأسي ينبت بعد سبعة أيام، وبعد خمسة عشر يومًا عاد شعر وجهي كذلك.

وقد شُفيت من المرض شفاءً كاملاً على نحوٍ غير متوقع، حتى لم يبقَ له أثرٌ بعد ذلك.

الرواية 79 – بقعةٌ على القميص، ونورٌ في القلب

روايةٌ لأحد سالكي الطريقة

ذهبتُ مع جماعةٍ من الدراويش لزيارة مراقد مشايخ الطريقة القادرية الكسنزانية (قدس الله أسرارهم) في قرية كَرَبچنه في كردستان العراق. وبعد الزيارة جلسنا لتناول الطعام.

كان الجو حارًا، وكان تعب السفر ظاهراً عليّ. وفي تلك اللحظة ألقى الشيطان في ذهني خاطراً باطلًا، فقلت في نفسي:

"ما الفائدة التي حصلتُ عليها من كل هذا المجيء والزيارة؟"

ولم يكد هذا الخاطر يتمّ في قلبي حتى اصطدمت يدي بطبق الطعام، فانسكب شيءٌ من الفاصولياء على قميصي الأبيض. فتركت صحن الطعام منزعجًا، وأخذت أمسح القميص بمنديلٍ ورقي، لكن البقعة لم تزُل، بل ازدادت سوءًا وقبحًا، وبقي أثرها واضحًا ومزعجًا.

انتهينا من الطعام، وعندما هممنا بالصعود إلى الحافلة وقع بصري على قميصي مرة أخرى من غير قصد. وفي تلك اللحظة وقفت مدهوشًا.

لم يكن هناك أي أثرٍ للبقعة.

كان القميص أبيض ناصعًا كما كان، كأن شيئًا لم يُسكب عليه قط.

فغمرني شعورٌ شديد بالخجل، وقلت في نفسي:

"لقد أجابوني"...

لقد أجابني مشايخ الطريقة من غير كلام، بعملٍ صامتٍ عميق، على ذلك الخاطر الباطل. فالبقعة التي لم تستطع يدي ولا المنديل إزالتها، أُزيلت بقوةٍ أخرى. وكما أزالوا هذه النجاسة الظاهرة، فهم بلا شك قادرون على إزالة أدران الباطن وذنوب النفس.

وعندما عدت إلى البيت خلعت ذلك القميص باحترام، واحتفظت به في مكانٍ خاص تبركًا؛ لا من أجل القماش نفسه، بل من أجل الدرس الذي حمله.

تأمّلٌ ختامي

أحيانًا لا تأتي إجابة أسئلتنا بالكلمات،
بل بإشارةٍ صامتة، وبحادثةٍ بسيطة،
وبتربيةٍ لطيفةٍ عميقة.
لم تكن تلك البقعة مجرد بقعةٍ على قميص،
بل كانت مرآةً تُظهر أن الطريق، قبل أن يكون طريق كلام، هو طريق تطهير القلوب.

الرواية 80 – سلامُ زهرةٍ سُمع

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

في ليلةٍ كان من المقرر أن أسافر في صباحها إلى السليمانية لزيارة شيخ الطريقة، رأيت في المنام أن زهرة الديفنباخيا التي نحتفظ بها في منزلنا خاطبتني. فقالت لي الزهرة:
"أتريد أن تذهب لزيارة غوث الزمان؟"
فقلت: "نعم".

فقالت: "بلّغ سلامي إليه، وزُره عني أيضًا".

فقلت: "حسنًا".

ثم سألتني مرة أخرى: "أتعدني بذلك؟"

فقلت: "أعدك".

وفي صباح اليوم التالي انطلقتُ مع زوجتي وجماعةٍ من الأصدقاء إلى السليمانية. وكانت تكية حضرة الشيخ مزدحمة جدًا، إذ جاء جمعٌ كبير من الناس للزيارة واللقاء. ونحن كذلك وقفنا مع الدراويش في صف، وتقدمنا واحدًا بعد آخر للسلام على حضرة الشيخ وزيارته، ثم جلسنا جميعًا على الأرض في حضرته لنستمع إلى إرشاداته.

وما إن جلست حتى تذكرت فجأة الوعد الذي قطعته في الليلة السابقة لزهرة الديفنباخيا في منزلنا بأن أبلّغ سلامها إلى حضرة الشيخ. فقلت في نفسي:

"سلام زهرة الديفنباخيا في بيتنا عليكم يا شيخ الطريقة".

ثم خطر لي بعد ذلك:

"لقد بلّغتُ السلام، لكن ماذا عن زيارتها؟"

ولم تكد هذه الفكرة تكتمل في ذهني حتى أشار حضرة الشيخ إليّ فجأة، وسط ذلك الجمع الكبير، وقال:

"يا خليفة! تعال إلى هنا... وزُر مرةً أخرى".

وفي تلك اللحظة تذكرت بلا اختيار الوعد الذي كنت قد قطعته في المنام؛ وعدًا بدا وكأنه لم يُسمع فحسب، بل أُجيب عنه قبل أن يُنطق به.

الرواية 81 – شفاءٌ وقع في صمت

روايةٌ لأحد سالكي الطريقة

منذ مدة، وصلني في التكية من أحد الإخوة في الطريقة شيءٌ من تراب خلوة حضرة شاه حسين (ق) – أحد أساتذة الطريقة في الماضي – وكذلك قطعة قماشٍ خضراء كانت متبركة بحضرة الشيخ محمد المحمد (ق).

وبعد مجلس الذكر ليلة الخميس، قرابة الساعة الثانية عشرة ليلًا، ذهبت إلى بيت والدي. كانت أمي نائمة، فوضعت يدي على رأسها برفق. فاستيقظت فجأة وقالت:

"يا بني، ما هذا العطر الطيب الذي وضعته؟"

ولكي أُدخل السرور على قلبها، وضعت قليلًا من تراب الخلوة في كأسٍ من الماء، وغَمست فيه قطعة القماش الخضراء، ثم طلبت منها أن تشرب قليلًا منه. وبعد أن شربت قالت:

"يا بني، هل وضعت في هذا الماء ماء الورد؟ لقد صار طعمه طيبًا جدًا. كأن بيتنا الليلة تفوح فيه رائحة عطرٍ من الجنة".

وفي اليوم التالي ذهبنا أنا ووالداي إلى القرية التي وُلد فيها. وهناك رأيت زوجة عمّ زوجتي - وهي امرأةٌ سيدة، طاهرة، محافظة على الصلاة وتلاوة القرآن - وكانت مصابة بسرطان الثدي. وكان الأطباء يتوقعون أنها قد لا تنجو، كما حدث مع أختها التي توفيت قبل مدة بسبب المرض نفسه. وكان الحزن واضحًا على وجهها، فتألم قلبي كثيرًا لحالها.

وبعد عودتي إلى المدينة توضأت، وصليت ركعتين فوق شيءٍ من تراب الخلوة. ثم أهديت ثواب الصلاة إلى أستاذ الطريقة، واستمددت منه الشفاء لتلك المرأة. وبعد ذلك

أعددت ثلاثة أكواب من الماء: واحدًا بنية زوجتي، وآخر بنية والدي، والثالث بنية تلك المرأة المريضة. ووضعت في كل كأس قليلًا من تراب التبرك، وغَمست قطعة القماش الخضراء فيها.

لم يحدث شيءٌ خاص في الكأسين الأولين.

لكن عندما غمست القماش في الكأس الثالث - الذي كان بنية تلك المرأة - شممت فجأة رائحة طيبة تشبه عطر الزهور.

فأعطيت قطعة القماش المتبركة وذلك الكأس من الماء لأمي لتوصله إلى تلك المرأة. وفي اليوم التالي جاءت تلك السيدة إلى بيت أمي، وبحسب ما أوصيناها به وضعت القماش على موضع الألم في صدرها وشربت الماء.

وفي تلك الليلة رأت في المنام شخصًا لا تعرفه يقول لها: "استيقظي، لقد شُفيتِ".

ثم رأت في المنام أن ثقبًا قد فُتح في صدرها، وأن القيح والدم يخرجان منه، وأن مرضها قد انتهى.

وفي الصباح حين استيقظت تذكرت المنام وفرحت، لكنها عندما لم ترَ أثرًا لجرحٍ في صدرها شعرت بخيبةٍ وقالت في نفسها:

"ربما كان كل ذلك مجرد حلم".

وبعد ساعات قليلة ذهبت إلى الحمام لتستحم، ومعها طفلها الصغير. وأثناء الاغتسال حدث فجأة - تمامًا كما رأت في المنام - أن انفتح ثقب في صدرها، وخرج منه القيح والدم. وكان خروج الدم شديدًا إلى درجة أنها خافت أن تفقد وعيها تحت الدش ويحدث مكروه لطفلها.

وبحسب قولها، استمر النزيف نحو دقيقتين، ثم توقف، وأُغلق الثقب الذي حدث تمامًا.

وعندما خرجت من الحمام لاحظت أن الألم في صدرها قد اختفى بالكامل. وبعد مراجعة الطبيب أعلن الطبيب المعالج بدهشة:

"لقد حدثت معجزة... لقد شُفيتِ شفاءً كاملًا".

الرواية 82 – نظرةُ أهل الباطن إلى اللقمة الحلال

روايةٌ لأحد خلفاء الطريقة

في يومٍ من الأيام ذهبتُ مع الخليفة كريم – وكان عمره يتجاوز المئة عام، وكان من خلفاء الطريقة المعروفين بالكرامات – إلى مجلسٍ لإقامة مولدٍ نبوي. وفي ذلك المجلس جاء صبيّ يحمل طبقًا كبيرًا من الأرز بالشعيرية مع الدجاج، وقال:

"أرسلوا هذا الطعام لكما، لك وللخليفة كريم".

وعندما هممتُ أن آكل منه قال الخليفة كريم فورًا:

"لا تأكل من هذا، ليس خيرًا. تعال وكُل من هذا الخبز واللبن الذي جئتُ به معي".

فقلت:

"لكن يا خليفة كريم، الأرز مع الدجاج أفضل من الخبز واللبن".

فقال مؤكّدًا: "اتركه وكُل من هذا".

فقلت: "إن لم نأكل منه فقد يحزن صاحب البيت".

فقال بانزعاج:

"هل يجب أن أشرحِ لك كل شيء؟ يا بني، في هذا الطعام مالُ يتيم. إن أكلتَ منه اسودّ قلبك".

كان من الصعب عليّ أن أصدق ذلك، فقلت:

"الطعام جاء به ابن الخليفة صديق، وهم أهل إيمان".

فلما ضاق الخليفة كريم بإصراري قال:

"افعل ما تشاء".

ولكي يطمئن قلبي ناديتُ الصبي الذي أحضر الطعام وسألته:

"هل أعطتك أمك هذا الطعام؟"

قال: "لا".

قلت: "إذن من أعطاك إياه؟"

فأشار بيده إلى امرأةٍ كان حولها عدة أطفال وقال:

"تلك المرأة".

فسألته: "وأين زوجها؟"

قال: "زوجها توفي، وهؤلاء الأطفال أيتام".

عندها أدركت كيف كان الخليفة كريم يرى الحقيقة، لا بعين الظاهر، بل بعين القلب.

وفي يومٍ آخر، كان هذا الخليفة كريم - المعروف بكثرة كراماته - يتحدث عن شيخ الطريقة في زمانه. فقال:

"لقد كنت درويشًا للشيخ قادر، والشيخ حسين، والشيخ عبد الكريم الكسنزان (قدس الله أسرارهم)، وهم من الغوثين السابقين. وكنت أيضًا خليفةً لحضرة الشيخ عبد الكريم. ولكن شيخ الطريقة هذا، حضرة الشيخ محمد المحمد (ق)، يختلف عنهم جميعًا. إنه خطير".

فلما سألته عن السبب قال:

"كان قد مضى نحو ستة أشهر فقط على جلوس حضرة الشيخ محمد المحمد على مقام المشيخة. ولم يكن قد دخل خلوةً طويلة ولا مارس رياضات ظاهرة. أما أنا فكنت قد قضيت سنواتٍ في المجاهدات والخلوات، وعشت مدة طويلة على شوربةٍ بلا ملح. ولذلك ذهبت - وفي نفسي شيءٌ من الغرور الخفي - لرؤية الشيخ الجديد في مدينة بنجوين في العراق.

فاستقبلني حضرة الشيخ باحترامٍ كبير وقال:

"يا خليفة كريم، لقد كنت خليفةً لوالدي، وكان يحبك، وأنا أيضًا أحبك".

وبعد حديثٍ قصير قال أمام الحاضرين:

"عندما تعود إلى قريتك، أحضر لي عصًا خشبية من عصيّ قريتكم".

فعدَدتُ هذا الطلب شرفًا عظيمًا. وبعد أن عدت إلى قريتي أخذت أُخبر الناس بذلك بفخر. وبعد أيام جاء ابني بعصًا خشبية جميلة مزخرفة وقال:

"يا أبي، اشتريتُ هذه العصا لتأخذها إلى حضرة الشيخ".

لم أنم من الفرح تلك الليلة. وفي الصباح الباكر ذهبت وقدمت العصا إلى حضرة الشيخ. فنظر إليها وقال بانزعاج:

"يا خليفة كريم، لقد طلبتُ منك عصًا من قريتك. هذه العصا لا تنفعني".

فقلت متألمًا:

"سيدي، في قريتنا لا توجد عصا تليق بمقامكم".

فقال: "هذه ليست العصا التي طلبتها".

فقلت - بشيءٍ من الجرأة التي كان فيها أثر الغرور:-

"وما العيب في هذه العصا؟"

فقال حضرة الشيخ:

"كيف كنت درويشًا كل هذه السنين؟ هذه العصا كانت لرجلٍ قُتل وصودرت أمواله. أتريدني أن أقبل عصاه؟"

كأن دلوًا من ماءٍ بارد صُبّ على رأسي. عدتُ إلى البيت من غير أن أتكلم. ولما وصلت سألت ابني من أين جاء بالعصا. فقال:

"كانت هذه العصا لرئيس دائرةٍ حكومية أُعدم وصودرت أملاكه، فاشتريتها".

هناك فهمت كيف كسر شيخ الطريقة غروري الذي امتد مئة سنة؛ لا ليهينني، بل ليوقظني. وفهمت أن كل ما كنت أظنه مني إنما كان من الهمة والنظر، لا من نفسي.

الرواية 83 – شفاءُ الماء الأبيض في العين لحظةَ البيعة

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

في أحد مجالس التكية حضرت سيدةٌ من مدينةٍ أخرى.
وبعد أن أخذت بيعة الطريقة قالت بدهشة:

"في اللحظة التي كنت أنطق فيها بعبارات البيعة رأيت فجأة نورًا في إحدى عينيَّ؛ نورًا يشبه وميض آلة التصوير، ظهر فجأة ثم اختفى."

وبعد انتهاء البيعة طلبت مني ورقةً وقلمًا لتدوّن تعليمات الطريقة. لكنها أثناء الكتابة قالت متعجبة إنها تشعر بأن بصرها قد اضطرب، وأنها لا ترى بوضوح. ذكرت ذلك عرضًا ثم انتهى المجلس.

وبعد أسابيع قليلة عادت تلك السيدة إلى التكية مرةً أخرى، ولكن هذه المرة بوجهٍ هادئ وحالٍ مختلف. وقالت إنها في اليوم التالي للبيعة لاحظت أن العين التي كانت مصابة

بالماء الأبيض (الساد) أصبحت ترى بوضوح؛ كأن حجابًا قد أُزيح عن بصرها.

وكانت قد حددت موعدًا مع الطبيب لإجراء عملية جراحية لإزالة الماء الأبيض في الأسبوع نفسه. لكن الطبيب، بعد أن فحص عينها بدقة، أعلن بدهشة أنه لا يوجد أي أثر للماء الأبيض في عينها، وأن هذه الحالة لا يمكن تفسيرها طبيًا.

وبحسب ما قاله الطبيب، فإن ما حدث لم يكن إلا واقعةً عجيبة وغير متوقعة.

الرواية 84 – التحرّر من التلبّس في لحظة البيعة

روايةٌ بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام اتصلت بي سيدة وقالت إنها حصلت على رقمي من أحد مريدي الطريقة. وبصوتٍ متعبٍ مرتجف شرحت أنها تعاني منذ سنوات من معاناةٍ عميقة ومُنهِكة؛ معاناةٍ جعلت حياتها جحيمًا حقيقيًا. وعندما طلبت منها أن

توضح أكثر، قالت إنها تفضّل أن تتحدث حضوريًا. فأعطيتها عنوان التكية واقترحت عليها أن تحضر مجلس الذكر ليلة الخميس إن استطاعت.

كانت تقول إن قوى مجهولة داخلها تتحكم بها؛ قوى إذا خالفت رغباتها تؤذيها جسديًا. وقد خضعت لسنواتٍ لعلاج الأطباء النفسيين والمحللين النفسيين، لكن شيئًا من ذلك لم ينفع. ولم تكن تهدأ قليلًا إلا عندما تتناول أدوية قوية للأعصاب، وهي أدوية كانت تجعلها طوال اليوم في حالة خمولٍ ونصف نوم.

وقالت بحزن إنها قضت نحو سنةٍ ونصف أيضًا بين جماعاتٍ يدّعون الدروشة وإخراج الجن، حيث أخضعوها لمختلف الممارسات والادعاءات، من دون أن تتحسن حالتها ولو قليلًا. فسألتها: هل أخذوا منك مالًا مقابل ذلك؟ فقالت: "كثيرًا." فقلت لها: "توقفي عن ذلك. من يعمل لله لا يطلب المال من عباد الله".

وكانوا قد أخبروها أنها تعاني مما يسمونه "تسخيرًا مركبًا"، أي

تسخيرين فوق بعضهما، واستغلوا هذا الادعاء ليأخذوا منها المال.

كانت تعتقد أنني ربما أستطيع مساعدتها، بل قالت إنها مستعدة لدفع أي مبلغ أطلبه. فقلت لها بصراحة: "نحن لا نأخذ المال من أحد. الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقدمه لك الآن هو بيعة الطريقة".

وبعد أن توضأت، جلست على الأرض في حضور نحو خمسة عشر شخصًا استعدادًا للبيعة، وأمسكت بالسبحة الكبيرة التي كانت في يدي. ولم تكن البيعة قد بدأت بعد حتى ظهرت عليها علامات اضطراب واضحة.

وأثناء تلاوة عبارات البيعة حدث مشهدٌ مدهش ومخيف. فقد أظهرت هذه السيدة تصرفاتٍ أفزعت كثيرًا من الحاضرين. فكلما ذُكر اسم أحد شيوخ الطريقة وكان عليها أن تردد التوبة والإقرار، كان جسدها يتفاعل بعنفٍ شديد، كأن قوةً من داخلها تهاجمها. وفجأة أخذت تُقذَف إلى الأعلى والأسفل، وتفتح يديها وتغلقهما بعنف، وكانت تُحرّك رأسها يمينًا ويسارًا وتصرخ بصوتٍ مرتفع.

وفي لحظة رفعت كلتا يديها واندفعت نحوي محاولةً الإمساك برأسي، لكن قوةً غير مرئية دفعتها إلى الخلف. وكانت السبحة تُشدّ بقوةٍ حتى كاد خيطها السميك - وكان يشبه رباط الحذاء - أن ينقطع. عندها شكّل الدراويش الحاضرون حلقةً حولنا، وبدأوا يقرؤون بصوتٍ عالٍ سورة الناس.

وعند اقتراب نهاية البيعة تغيّر كل شيء فجأة. توقفت الحركات العنيفة، وكأن القوى المؤذية داخلها قد استسلمت. ارتخى جسدها وسقطت على الأرض بلا حراك. وظهر على وجهها هدوءٌ عميق، هدوءٌ لم تعرفه منذ سنوات.

وما حدث في تلك اللحظات لم يكن للحاضرين إلا مشهدًا حيًا لمعركةٍ بين الخير والشر، معركةٍ انتهت في لحظة البيعة باستسلام الظلمة وغلبة النور.

تأمّلٌ ختامي

في هذه الكرامة يتجلّى قبل كل شيء معنى **البيعة** بوصفها نقطة الانفصال عن الأسر وبداية حرية الروح. فمعاناة هذه المرأة لم

تنتهِ بالدواء، ولا بالادعاءات الصاخبة، ولا بالطقوس المكلفة؛ بل انتهت في اللحظة التي سلّم فيها القلب نفسه بصدقٍ إلى الملجأ الإلهي الآمن.

وتُظهر هذه الرواية أن بعض الجراح ليست من جنس ما يمكن تحليله نفسياً، ولا تُعالج بالوسائل المعتادة؛ بل تنتمي إلى ساحةٍ أخرى لا تهدأ إلا بنور الهداية والاتصال الصحيح. فالبيعة هنا ليست مجرد طقسٍ ظاهري، بل ميدان مواجهةٍ بين النور والظلمة؛ موضعٌ لا تستطيع فيه العتمة أن تبقى.

كما تذكّر هذه الكرامة بحدٍّ واضح بين طريق الله وطريق المدّعين؛ بين خدمةٍ تُقدَّم بلا مقابل، واستغلالٍ يتغذّى على الخوف والمال. فحيث يكون الصدق تحضر السكينة، وحيث تحضر السكينة الحقيقية يُعلم أن يد الهداية كانت هناك.

وهذا التأمل دعوةٌ إلى إعادة معرفة المنابع: أن التحرّر الحقيقي ليس في كثرة الطرق، بل في صواب الطريق.

الرواية 85 – النجاة من الكوابيس الليلية

روايةٌ لإحدى سالكات الطريقة

قبل أن أتعرف إلى الطريقة، مررتُ أنا وعائلتي بفترةٍ طويلة ومُرهِقة من الاضطرابات النفسية. فقد كانت مشكلات الحياة تتراكم علينا واحدةً بعد أخرى، وبدأت تظهر علامات لم نجد لها تفسيرًا واضحًا. صارت الأحلام المزعجة والكوابيس الليلية، والاستيقاظ المفاجئ مع الخوف وخفقان القلب، والشعور وكأن شيئًا خفيًا يلاحقنا أو يحضر حولنا، جزءًا من حياتنا الليلية. ولم يكن هذا الأمر يخصني وحدي؛ فبعض أفراد العائلة كانوا أحيانًا يمرون بتجارب مشابهة، مما زاد من القلق الجماعي داخل البيت.

ومع مرور الوقت أخذت المخاوف شكلًا أوضح. ففي بعض الليالي كنت أشعر وكأن قوةً ما توقظني من النوم أو تجعل جسدي يتحرك من غير إرادة مني. وكنت أحيانًا أنام والقرآن إلى جانبي لعلّي أجد شيئًا من الطمأنينة، لكن القلق كان يبقى في القلب. وفي البحث عن حل، توجهنا – بناءً

على نصائح بعض الناس - إلى أشخاص يدّعون القدرة على تشخيص مثل هذه الحالات ومعالجتها. فجرى القيام ببعض الطقوس والأعمال التي قيل إنها للحماية، لكنها لم تجلب سوى زيادة الضغط النفسي والإحساس بالثقل. بل إن بعض الأشياء سُلّمت إليّ لأحملها معي، غير أن وجودها لم يمنحني راحة، بل زاد من اضطرابي.

وفي تلك الأيام تعرّفنا إلى الطريقة القادرية الكسنزانية عن طريق أحد أقاربنا، وكان قد وجد هو نفسه راحةً بعد تجربة صعبة من خلال هذا الطريق. وكانت كلماته تبعث في قلبي بصيص أمل. وعندما سمعت أنه يتحدث عن التوبة والذكر والاتصال القلبي من غير وعودٍ صاخبة ولا مطالب دنيوية، قررت أن أجرب هذا الطريق أيضًا، إذ لم يعد لديّ ما أخسره.

وتحدد يومٌ لأذهب مع أمي وأخي إلى أحد الخلفاء. وفي ذلك المجلس جرى الحديث أولًا عن حقيقة الطريقة ومعنى الرجوع الصادق إلى الله. وفي أثناء ذلك شعرت بألمٍ شديد في الموضع الذي كنت أحمل فيه الشيء الذي أُعطي لي

سابقًا، إحساس بالحرقة كان يشتت انتباهي عن الكلام.
وبإشارةٍ من الخليفة وُضع ذلك الشيء جانبًا، ثم أُخذت بيعة الطريقة. كان الجو في المجلس هادئًا، لكن في داخلي بدا وكأن معركة صامتة تدور.

وفي تلك الليلة وقع أمرٌ طال انتظاره: نمت نومًا هادئًا، بلا كوابيس ولا خوف. شعرت وكأنني داخل حصنٍ آمن، كأن شيئًا ما يمنع ظلمات الماضي من الاقتراب. وفي الأيام التالية أحسست بخفةٍ وطمأنينة ملموسة. ومع ذلك، وبعد مدة قصيرة، عادت بعض علامات الثقل؛ لا كما كانت في السابق، لكنها كانت كافية لتثير قلقي.

ومع الاستمرار في شرح ما يحدث، ومع الاستمداد مرة أخرى من شيخ الطريقة، بدأت مرحلة جديدة. وفي إحدى تلك الحالات مررت بتجربة رؤيا شعرت فيها بحضورٍ لطيف ورعايةٍ رحيمة؛ حضورٍ كان مصحوبًا بالذكر ونغمٍ روحاني، وتبعه إحساس بحرقة قصيرة لكنها محرِّرة. وبعد ذلك شعرت بخفةٍ وراحة عميقة صاحبتها دموع غير إرادية؛ دموع لم تكن من خوف، بل من إحساس بالتحرر.

ومنذ ذلك الحين انقطعت الكوابيس، وخفتت المخاوف الليلية، وعاد الهدوء تدريجيًا إلى أجواء البيت. واليوم، حين أتذكر تلك الأيام، أدرك أن الخلاص الحقيقي لا يأتي عبر الطرق الصاخبة والمتفرقة، بل يكمن في الصدق مع الله، وفي التوبة الصادقة، وفي الارتباط بطريقٍ واضح. والسكينة التي أعيشها الآن هي بالنسبة لي شهادة على أن الهداية، وإن بدت أحيانًا متأخرة، فإنها حين تأتي تعيد كل شيء إلى موضعه الصحيح.

الرواية 86 – النجاة من قطع الأصابع

رواية لإحدى سالكات الطريقة

في أحد الأيام كنت في المنزل أعمل بجهازٍ لتقطيع الخضار. كان والدي وأختاي في البيت أيضًا. أثناء العمل أطفأت الجهاز لأغسله ثم أستعمله مرة أخرى لمواد أخرى.

بعد أن غسلته، وصلته بالكهرباء من جديد لأشغّله. في تلك اللحظة وقعت عيني على الشفرات فتذكّرت أن عليّ تركيبها

في مكانها. لكنني غفلت عن أن قابس الجهاز ما يزال موصولًا بالمقبس. فأخذت الشفرات لأضعها في مكانها دون انتباه.

كان زرّ التشغيل والإيقاف موضوعًا على حافة الجهاز بطريقةٍ تجعل الجهاز يعمل عند إحكام إغلاق الغطاء ويتوقف عند رفعه. وعندما كنت أضع الشفرات في مكانها، اصطدمت يدي بتلك الحافة دون قصد، فانطلقت الشفرات تدور فجأة.

صرخ جميع من في البيت من شدّة الخوف، وأنا أيضًا تجمّدت في مكاني. كنت أرى الشفرات تتحرك فوق أصابعي، وكنت متيقّنة أن أصابعي قد قُطعت في تلك اللحظة. لم يكن يدور في ذهني إلا خاطر واحد: إن من تُقطع أصابعه لا يشعر بشيء في البداية... وربما لهذا السبب لا أشعر أنا أيضًا بأي ألم.

مرت ثوانٍ قليلة، لكنها بدت لي كأنها عمرٌ كامل. أخيرًا سحبت يدي فتوقّف الجهاز.

رفعت يديّ بذهول وكنت أصرخ بصوت عالٍ:

"ما زالت أصابعي معي... لم تُقطع أصابعي... ما زالت أصابعي معي"!

كنّا جميعًا في حالة صدمةٍ وعدم تصديق، وامتلأ البيت بالبكاء والصراخ.

أختاي اللتان شاهدتا الحادثة انفجرتا بالبكاء من شدّة الفرح... وفي تلك الليلة نفسها، وبعد أن رأتا هذه الكرامة والعناية الإلهية، تشرفتا كلتاهما بالانضمام إلى الطريقة بقلبٍ موقن.

في ذلك اليوم أدركت أن يد الحفظ الإلهي تكون أحيانًا أقرب من حدّ الشفرة...

وأن أخطر الأشياء قد تتحول إلى حارسٍ إذا أراد الله.

الرواية 87 – العودة إلى الطريق

رواية لإحدى سالكات الطريقة

قبل سنواتٍ طويلة مررتُ بمشكلةٍ صعبةٍ وطويلة أرهقت حياتي وأثقلت كاهلي. ولم يكن الشيء الوحيد الذي كان يمنحني القدرة على الاستمرار طوال تلك الفترة إلا توكلي على الله وأملي في رحمته. كنت دائمًا أتحدث إلى الله في قلبي وأسأله أن يدلّني على الطريق وأن يرسل لي علامة.

وخلال تلك السنوات رأيت عدة رؤى ذات معنى؛ منها رؤيا رأيت فيها الإمام الحسين (ع) ينظر إليّ مبتسمًا، ورؤيا أخرى رأيت فيها في فضاء مرقد صالح بن موسى الكاظم (ع) مخلوقًا نورانيًا عظيم الهيئة يتجه نحوي. لم أكن أفهم تأويل تلك الرؤى آنذاك، لكنها بقيت في أعماقي كأنها إشارات خاصة.

وبعد مدة حضرت في الجامعة درسًا عن العرفان الإسلامي. كان أحد الطلاب يتحدث عن مراحل السلوك في الطريقة ويكتبها على السبورة. وفجأة انتابني شعور غريب؛

كأن حياتي كلها تمرّ أمام عينيّ كفيلم. وشعرت أن كثيرًا من الآلام والأحداث التي مررت بها لم تكن عبثًا، بل كانت مراحل في طريقٍ ما. في تلك اللحظة أدركت أن حياتي لم تكن بلا هدف ولا بلا نظام، بل كانت تسير ضمن مسار خفي يحمل معنى.

في ذلك اليوم قلت لأمي دون تفكير:

"أمي، أريد أن أصبح درويشة".

مع أنني قبل ذلك لم أكن أعرف شيئًا يُذكر عن الدروشة أو الطرق الصوفية.

وبعد مدة حضرت بدعوة أحد المعارف بعض المجالس العرفانية. وهناك شعرت كأنني عدت إلى مكانٍ كنت أنتمي إليه منذ البداية، كأن الله يعيدني إلى نقطة البداية في صلتي به. وبعد عدة مجالس دُعينا إلى منزل الدكتور، وهناك أخذت البيعة في الطريقة وشعرت بسلامٍ عميق يسكن قلبي.

وبعد فترة قصيرة، كنت في غرفتي وحدي أتحدث مع الله. كنت قد سمعت أن حضرة الشيخ محمد المحمد

الكسنزان (ق) في مقام الغوثية يسمع نداء الملهوفين.
فنظرت إلى المرآة وقلت:

"يا حضرة الشيخ محمد، لا أعرف من تكون على وجه الدقة، لكن يقولون إنك تسمع أصوات العباد. إن لم تكن الطريقة صالحة لي فدع هذا القلادة تبقى في عنقي، وإن كانت صالحة لي فانزعها من عنقي".

وما إن انتهيت من كلامي حتى انفصلت القلادة من عنقي وسقطت في يدي؛ مع أنني كنت أرتديها منذ سنوات ولم ينفتح قفلها قط.

في تلك اللحظة أدركت يقيناً، دون أدنى شك، مقام الغوثية وعناية حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق).

الرواية 88 – تناثر الحمض

رواية لإحدى سالكات الطريقة

استأجرت إحدى صديقاتي منزلًا جديدًا، وكانت قد اشترت له بعض الأثاث. وكان من بين تلك الأشياء طاولة قديمة

قررت أن تغيّر لونها. لذلك اشترينا مادة قوية جدًا لإزالة الطلاء، ووضعناها في شرفة المنزل. وكان ذلك في فصل الصيف، والجو شديد الحرارة.

بعد نحو نصف ساعة خرجتُ إلى الشرفة لأصبّ تلك المادة في وعاء ونبدأ العمل. وما إن فتحتُ غطاء العبوة حتى سمعت فجأة صوتًا في داخلي يقول:

"أغلقي عينيك".

لم يكن لديّ من الوقت إلا بقدر ما يكفي لأغمض عينيّ. وفي اللحظة نفسها تناثر ذلك السائل على وجهي. ومع ذلك لم أشعر بأي حرقة ولا بحرارة. بهدوء وضعت العبوة على الأرض، وذهبت فغسلت وجهي بالصابون، ثم عدت لأنظّف المكان.

جاءت صديقتي أيضًا لتساعدني. وبينما كنا ننظف، لامس طرفُ إصبع كلٍّ منا تلك المادة تقريبًا في الوقت نفسه. فنظرنا إلى بعضنا بدهشة؛ فقد شعرنا بحرقة شديدة، فذهبنا فورًا إلى المغسلة وأخذنا نغسل أيدينا تحت الماء مدة طويلة.

بعد ذلك قرأتُ التعليمات المكتوبة على العبوة، فاكتشفت أن تلك المادة مركّب كيميائي شديد القوة والخطورة، وأن ملامستها المباشرة للجلد قد تسبب أضرارًا جسيمة، وأن استعمالها من دون قفازات ونظارات واقية ممنوع تمامًا.

عندها أدركت أنه لولا ذلك التنبيه الداخلي، ولولا أني أغمضت عينيّ في تلك اللحظة، لربما وقع ضرر لا يُعوَّض في بصري.

الرواية 89 – شفاء الصداع ببركة العناية

رواية لأحد سالكي الطريقة (رجل)

أُصبتُ فترةً بصداعٍ شديد وغير مألوف، حتى إن بصري كان يظلم أحيانًا، ولم أعد أستطيع متابعة عملي. فراجعتُ مركز المحافظة، وبعد إجراء تصويرٍ للرأس، قال الطبيب بجدية: "إن اثنين من الأوعية الدموية في دماغك مسدودان تمامًا،

ويجب أن تُحقن بحقنةٍ نادرةٍ وباهظة الثمن، وإلا فقد تتعرض لخطرٍ كبير".

خرجتُ أبحث عن تلك الحقنة في جميع أنحاء المدينة، لكنني لم أجدها رغم كل محاولاتي. فعُدتُ يائسًا ومضطربًا إلى عيادة الطبيب لأخبره بما حدث. وفي الطريق قلتُ بقلبٍ منكسر:

"يا حضرة الشيخ محمد المحمد، لا تتركني بلا رجاء".

عندما وصلتُ إلى العيادة، نادى الطبيب أحد العاملين وقال له:

"اذهب وانظر هل ما زال لديهم تلك الحقنة التي أعطيتها لذلك القسم قبل عدة أشهر. إن كانت موجودة فأتِ بواحدة منها".

بعد دقائق عاد الرجل وهو يحمل حقنة واحدة. فقام الطبيب بحقني بها دون أن يطلب مني أي مبلغ، ثم قال:

"إن التأثير الحقيقي لهذه الحقنة يظهر بعد ستة أشهر".

عدتُ إلى مدينتي. وبعد عدة ليالٍ رأيتُ في المنام حضرة الشيخ محمد المحمد (ق). فقال لي:

“اذهب مرةً أخرى إلى ذلك الطبيب وصوّر رأسك من جديد”.

فقلتُ في المنام:

“ليس لدي مال”. فقال:

“لا بأس، اذهب”.

وفي الصباح انطلقتُ مرة أخرى بثقةٍ وتوكّل. وعندما أخبرتُ الطبيب أنني أريد إعادة التصوير، قال متعجباً:

“هل جُننت؟ لقد صوّرت رأسك قبل أيام فقط! والدواء لا يظهر أثره إلا بعد ستة أشهر على الأقل. لماذا تُضيّع مالك؟”

لكن بعد إلحاحٍ شديد مني، وافق أخيرًا—وبشكلٍ مدهش—على إعادة التصوير دون أن يأخذ مني أي مبلغ.

وعندما رأى الصورة الجديدة، بدا عليه الذهول التام وقال:

“أنا أعمل في هذه المهنة منذ عشرات السنين، ولم أرَ شيئًا كهذا من قبل. هذا أشبه بالمعجزة. لقد حقنتُ حقنةً واحدةً لأحد الشريانين فقط، وكان من المفترض أن تُحقن حقنة أخرى للشريان الثاني. لكن خلال بضعة أيام فقط انفتح

الشريانان كليًّا، مع أن ظهور أي تحسن كان يفترض أن يحتاج إلى خمسة أو ستة أشهر على الأقل".

الرواية 90 - رؤيا حضرة أُويس القَرَني

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كان أحد الإخوة، قبل توبته ودخوله في الطريقة، يُعدّ من أكثر الناس فسادًا في المجتمع. كان مشهورًا بشرب الخمر، وأخذ الإتاوات، وظلم الناس، وكانت حياته تمضي في ظلمات المعاصي والغفلة. لكن رحمة الله شملته، فانفتح له باب التوبة والهداية. فتاب توبةً نصوحًا، وأخذ البيعة، وسار على يد شيخ الطريقة في طريق السلوك؛ حتى إنه، ببركة صدق النية والاستمرار في المجاهدة، أصبح من أهل الولاية، ونال مقامًا ومنزلةً عند الله تعالى.

قبل عدة سنوات، سافرنا مع هذا الشخص لزيارة مرقد حضرة أُويس القَرَني (ق). وقضينا الليل بجوار ضريحه الشريف. وكان جمعٌ كبير من الزائرين، مثلنا، ساهرين

يشتغلون بالعبادة والذكر والدعاء، وكانت أجواء الحرم مملوءة بالنور والحضور الروحي.

وفي الصباح، أخذ رجلٌ يجول بين الزائرين وينادي بصوتٍ عالٍ:

"هل فيكم من اسمه فلان بن فلان؟"

وكان يذكر اسم ذلك الأخ صراحةً.

فأشرتُ إلى صاحبي وقلت:

"نعم، هذا هو الرجل الذي تسأل عنه".

فلما رآه ذلك الرجل، سقط فورًا على ركبتيه، وقبّل قدميه، وقال وهو يبكي بخشوع:

"لقد رأيتُ الليلة حضرة أُويس القَرَني في المنام، فقال لي: لما جاء فلان لزيارتي، فقد قبلتُ زيارة جميع الزائرين الذين حضروا هذه الليلة في هذا المقام".

فغمر العجب والخشوع قلوب الحاضرين، وأدركوا أن حضور هذا الرجل كان سببًا في قبول أعمال الآخرين.

تأمل ختامي

تُبيّن هذه الكرامة أن باب الله ليس باب يأسٍ أو حرمان. فليس في الناس من سقط إلى حدٍّ تُغلق معه أبواب الرجوع إلى الله. إن التوبة الصادقة لا تمحو الذنوب الماضية فحسب، بل قد ترفع الإنسان إلى مقامٍ يصبح فيه وجوده سبباً للبركة والقبول والرحمة للآخرين.

وهذه القصة شاهدٌ على أن أولياء الله ينظرون إلى باطن الإنسان لا إلى ماضيه، وأن من عاد إلى الله بصدقٍ وإخلاص يمكن أن ينتقل من خراب النفس إلى عمران الروح، ومن ظلمة المعصية إلى نور الولاية.

الرواية 91 – قصة المرأة العجوز التي أعادت طريقتها

رواية لإحدى خليفات الطريقة

جاءتني امرأةٌ مسنّة، عُرفت بشدة إيمانها وتقواها، وطلبت أن تأخذ الطريقة باشتياقٍ كبير. لكن بعد أيامٍ قليلة فقط، تأثرت بكلامٍ سيّئ واتهاماتٍ من بعض أقاربها، فعادت إليّ وهي منزعجة وقالت:

"لقد خدعتموني، أنا لا أريد هذه الطريقة".

لم أقل شيئًا، وغادرت.

وبعد يومين، اتصلت بي بإلحاحٍ شديد، وكانت تبكي بكاءً مريرًا، وطلبت مني أن آتي إلى بيتها، لأنها لم تعد قادرة على الحركة بسبب ضعفها الشديد. فلما ذهبت إلى منزلها، أخذت تبكي وتتوسل إليّ أن أجدّد لها الطريقة.

سألتها: ماذا حدث؟ وما الذي جعلك تغيّرين رأيك؟

فقالت: إن امرأةً مسنّة من معارفهم البعيدين، وكانت معروفة بين الناس بالتقوى والصلاح، رأت في الليلة الماضية

ابنها المتوفى في المنام. وكان قد مضى على وفاته أكثر من عشرين عامًا، وكان في حياته رجلًا صالحًا، حسن السيرة، محبوبًا بين الناس.

وقالت إن تلك المرأة رأت في المنام ابنَ هذه العجوز في حالٍ شديدة الاضطراب؛ كانت ثيابه ممزقة وبالية، ويبدو عليه الحزن والانكسار، ثم قال لها:

"أنتم لا تعلمون ما الذي فعلته أمي! لقد آذت قلب سيّدٍ عظيم، وفضحتني هنا. لم أعد أستطيع أن أرفع رأسي أمام الأئمة والصلحاء. قولوا لأمي إن أمامها ثلاثة أيام فقط لتصلح ما فعلت".

وقد ترك هذا المنام أثرًا عميقًا في قلب المرأة العجوز؛ لأن أحدًا من أهلها لم يرَ ابنها في المنام طوال أكثر من عشرين عامًا منذ وفاته. ولهذا أخذت الأمر على محمل الجد، وأدركت أن ما فعلته لم يكن مجرد قرارٍ عاطفي عابر، بل كان له أثرٌ روحيٌّ عظيم.

كانت شاحبة اللون، ترتجف شفتاها، وتبكي بشدة، وكانت تردد باستمرار:

"لقد أخطأتُ... لقد انخدعتُ بكلام الناس. أعطني الطريقة بسرعة. إن متُّ من غير الطريقة، فكيف أنظر في وجه السيدة فاطمة (س)؟"

حاولت كثيرًا أن أهدّئها، لكنني لم أنجح. ولم تستعد هدوءها إلا بعد أن جدّدنا لها الطريقة، فعندها فقط عادت إليها السكينة.

تأمل ختامي

تُظهر هذه الحادثة أن الروابط الروحية ليست لعبةً لمشاعر عابرة أو كلماتٍ غير مسؤولة من الآخرين. فقد يقطع الإنسان بقرارٍ متسرعٍ رابطًا إلهيًا، ولا تقتصر آثار ذلك على هذه الدنيا، بل تمتد إلى عوالم أخرى.

كما تذكّرنا هذه القصة بأن قلوب أولياء الله موضع نظر الله وعنايته. فإيذاء قلوبهم ليس إيذاءً لإنسانٍ عادي، بل هو إساءةٌ إلى طريقٍ فُتح إلى الله.

ومن جهة أخرى، فإن رحمة الله تسبق غضبه دائمًا. وكما أن هذه المرأة العجوز استطاعت، بيقظة قلبها وتوبتها

الصادقة، أن تصلح خطأها، فإن كل إنسان إذا تنبّه في الوقت المناسب وعاد بإخلاص، فباب الرحمة مفتوح له.

وتعلّمنا هذه القصة أن الثبات في طريق السلوك، وعدم الالتفات إلى كلام الحاسدين أو الجاهلين، وحفظ حرمة الطريق الإلهي، من أعظم علامات نضج الروح.

وأحيانًا لا يكون المنام مجرد حلمٍ عابر، بل جرس إنذارٍ من عالم الغيب لإنقاذ قلوبٍ أوشكت على الزلل.

الرواية 92 – حرية الدرويش في الليلة الأولى من القبر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في عصر يومٍ من أيام الجمعة، اتصل بي عددٌ من الدراويش من إحدى مدن كردستان، وأخبروني أن أحد أصدقائنا الأعزاء، وهو الخليفة مصطفى -وكان من كبار خلفاء

الطريقة وأهل القلوب الصافية - قد توفي قبل نحو ساعة إثر حادث سيارة.

في ذلك الوقت كان أحد أقرب أصدقاء الخليفة مصطفى، واسمه رحمن، يعمل في مصنعنا، وكان قد أُدخل إلى المستشفى بسبب مرضٍ أصابه. وكنت قد كلفتُ أحد الدراويش، واسمه محمد، أن يبقى في المستشفى ليرعاه.

فلما سمعتُ الخبر، اتصلتُ بمحمد فورًا وأخبرته بوفاة الخليفة مصطفى، وشددتُ عليه ألا يخبر رحمن بهذا الخبر تحت أي ظرف، لأن مصطفى كان بالنسبة له كالأخ، كما أن رحمن نفسه لم يكن في حالة صحية تسمح له بتحمل مثل هذا الخبر.

في اليوم التالي اتصل بي محمد، وقال لي متعجباً:

"كنتُ الليلة الماضية في المستشفى، في غرفة رحمن، وكان نائمًا. وقبيل أذان الفجر بقليل، رأيتُ فجأة الخليفة مصطفى واقفًا إلى جانب سرير رحمن ويتحدث معه. كان حضوره حقيقيًا تمامًا. وفي اللحظة نفسها، رنَّت ساعة رحمن - التي كانت مضبوطة على أذان الفجر - ومع صوت الجرس اختفى الخليفة مصطفى فجأة".

ثم تابع محمد حديثه وقال:

"وبعد لحظات استيقظ رحمن من نومه، والتفت إليّ وقال - من دون أن أكون قد أخبرته بشيء:

محمد، هل تعلم من كنتُ أرى في المنام؟

قلت: لا.

فقال: رأيتُ الخليفة مصطفى واقفًا إلى جانب سريري، وكان يقول لي:

"ما بك يا رجل؟ أنت لا تعاني من شيء! قم واذهب إلى عملك"!

وكان رحمن في ذلك الوقت لا يعلم شيئًا عن وفاة الخليفة مصطفى، ومع ذلك كان ما رآه في المنام يطابق تمامًا المشهد الذي رأيته أنا في اليقظة؛ بنفس الهيئة، وبنفس الحضور، وبنفس الكلمات.

تأمل ختامي

تكشف هذه الحادثة جانبًا من حقيقة عميقة:

فبالنسبة للسالك في طريق الله، لا يكون الموت نهاية، بل انتقالًا.

ينكسر قفص الجسد، لكن الروح لا تُقيد.

إن حرية الدرويش في الليلة الأولى من القبر دليل على أن صلته بعالم المعنى قد تشكلت قبل الموت، وأن روحه قد ألفت العوالم العليا. فمثل هذا الإنسان لا يعيش الموت سقوطًا، بل عبورًا.

كما تشير هذه القصة إلى أن أرواح أولياء الله تبقى – حتى بعد الرحيل – موكلة بإدخال الطمأنينة في قلوب أصحابها، وتقوية عزائمهم.

وكما قال الخليفة مصطفى بنفس لهجته الأبوية الحانية:

"ما بك؟ قم واذهب إلى عملك"!

وكأن المعنى يقول:

إن الطريق ما زال مستمرًا، والمهمة لم تنتهِ، والحياة في سبيل الحق لا تتوقف.

وهذه الكرامة تعلمنا أن الطريقة تُعِدُّ الإنسان قبل موته لحرية ما بعد الموت؛ وأن من تحرر قلبه في الدنيا، يبقى حرًّا كذلك في عالم البرزخ.

الرواية 93 – رقص الذرّات في الفضاء

رواية بقلم مؤلف الكتاب

فيما يتعلّق بالمرحوم الخليفة مصطفى الذي ذكرتُه في الرواية السابقة، هناك حادثة أخرى جديرة بالذكر.

قبل سنوات عديدة، ذهبنا لزيارة إخواننا من أهل الطريقة في بلدة صغيرة كان الخليفة مصطفى يقيم فيها. وقد دعانا أحد الدراويش إلى منزله الذي يقع خارج البلدة. كنّا نحو عشرين شخصًا، نجلس حول الغرفة بمحاذاة الجدران. وكان جو المجلس مشبعًا بالسكينة والوقار وحضور القلب.

إلى جانبي كان يجلس درويشٌ قد دخل الطريقة حديثًا، وكان المرحوم الخليفة مصطفى يجلس إلى الجانب الآخر منه. أمسك الخليفة مصطفى بيد ذلك الدرويش الجديد وبدأ في

حالةٍ من "السوز."والسوز، عند الدراويش الأكراد، هو حالة من الاستمداد والتضرع بالبكاء إلى شيخ الطريقة؛ نداءٌ ينبعث من أعماق الروح لا من اللسان.

كان ممسكًا بيد الدرويش بقوة، والدموع تنهمر من عينيه، وهو يتوسل بكل كيانه إلى شيخ الطريقة - الذي لم يكن حاضرًا في ذلك المجلس - أن يكشف لهذا الدرويش الجديد حقيقة الطريق. ومع مرور الدقائق، أخذت أجواء المجلس تزداد عمقًا وثقلاً، وكأن الجميع قد حبسوا أنفاسهم انتظارًا لشيءٍ خفيّ.

وبعد قليل، اجتاحت ذلك الدرويش موجةٌ عجيبة من الشوق والطاقة. وفجأة بدأ يبكي بكاءً شديدًا، بكاءً عميقًا حارقًا، حتى إن الحاضرين أخذوا ينظرون إليه بدهشة. كان بكاؤه قويًا إلى درجةٍ توحي بأن روحه تنشق من الداخل، وكأن حقيقة عظيمة تعبر كيانه.

وفي خضم هذه الحالة، بدأ فجأة شيءٌ شبيه بالمسحوق يتساقط من فوق رأسه. في البداية بدا كأن شيئًا من جصّ

السقف قد تفتت وسقط على هيئة مسحوق. لكن سرعان ما تبيّن أن تلك الذرّات لا تشبه الجصّ ولا الغبار المعتاد.

كانت ذات لونٍ فضّي، تلمع أحيانًا كأنها حبيبات دقيقة من الألماس أو الزجاج. وكانت حركتها عجيبة يصعب وصفها؛ فلم تكن تسقط سقوطًا عاديًا، ولا تتناثر تناثرًا عشوائيًا، بل كانت تتحرك بنظامٍ مدهش، في تموّجاتٍ إلى اليمين واليسار، كأنها ترقص في الهواء. كانت حركاتها ناعمة، متناسقة، منسجمة، أشبه برقص ذرّات النور في عالمٍ آخر.

لم يستغرق هذا المشهد سوى ثوانٍ معدودة، لكن أثره في نفوسنا كان عميقًا لا يُنسى. فقد استقرّت تلك الذرّات برفق على شعر وكتفي ذلك الدرويش الجديد. والأعجب من ذلك أنني كنت جالسًا إلى جانبه، وكان الخليفة مصطفى على الجانب الآخر منه، ومع ذلك لم تسقط ذرّة واحدة علينا، ولا على أرض الغرفة، ولا على ثياب أحدٍ من الحاضرين؛ وكأن هذا المشهد خُلق لذلك الدرويش وحده.

وفي تلك اللحظة، انفجر جميع من في المجلس بالبكاء من غير إرادة. وسادت حالة من الفناء الروحي في المكان. أما أنا

فكنت - كغيري - لبضع دقائق في حالةٍ من الغياب عن نفسي؛ كأن العقل قد سكت، ولم يبقَ إلا القلب يتكلم.

وعندما عدنا تدريجيًا إلى حالتنا الطبيعية، لم نجد أي أثرٍ لتلك الذرّات؛ لا على الأرض، ولا على الملابس، ولا على شعر ذلك الدرويش. وكأن ما حدث لم يكن من عالم المادة، بل من عالمٍ آخر.

تأمل ختامي

تشير هذه الحادثة إلى حقيقةٍ عميقة، وهي أن الوجود ليس محصورًا فيما تدركه العين الظاهرة.

ففي بعض اللحظات الخاصة، ينكشف حجابٌ رقيق، فيرى الإنسان - لثوانٍ قليلة - لمحةً من النظام الخفي وجمال الملكوت.

لقد حملت تلك الذرّات رسالةً صامتة، مفادها أن الكون حيّ. وأن الحب الإلهي قادرٌ على أن يجعل الفضاء نفسه يتحرك ويرقص.

وأن القلب حين ينفتح حقًا، فإن الوجود كله ينهض لاستقباله.

فلعلّ ما رأيناه لم يكن "ذرّات" ولا "غبارًا"،
بل كان إشارةً إلى جواب السماء لنداء الأرض.

إشارةً إلى أن الدعاء إذا خرج من أعماق القلب،
فإن الجواب لا يأتي دائمًا في كلمات...

بل يأتي أحيانًا نورًا، وأحيانًا حركة،
وأحيانًا رقص ذرّات البركة في الفضاء.

الرواية 94 – الصرخة التي سُمِعت

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل سنواتٍ عديدة، انطلقنا – أنا ونحو عشرين درويشًا – في رحلة لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) في كردستان إيران. وكان من المقرر بعد ذلك أن نواصل طريقنا عبر كردستان متجهين إلى السليمانية في العراق.

وخلال الطريق، كان الدراويش يضربون على الدفوف وينشدون المدائح، فامتلأت الحافلة بجوٍ روحي مفعم بالحضور والذكر، وكان اللافت أن كثيرًا من المسافرين أخذوا يشاركوننا الإنشاد.

وكان بين الركاب شيخٌ كردي مسنّ، يشارك في المدائح بحماسٍ ظاهر. فسألناه أكثر من مرة:

"هل أنت درويش؟"

فكان يبتسم ابتسامة هادئة ويجيب في كل مرة:

"أنا لا أعدّ نفسي درويشًا".

وعندما وصلنا إلى المدينة، كان الوقت صباحًا. فقال لنا:

"إن أردتم أن تعرفوا من أكون، فتعالوا إلى بيتي لتناول الفطور".

فوافقنا على دعوته. وأخذنا إلى حيٍ قديم، وتوقف أمام بيتٍ متواضع، ثم طرق الباب وقال:

"هذا بيتي، أعيش هنا مع أولادي".

لكن أحدًا لم يفتح الباب. وفجأة رأينا الشيخ يتسلق الجدار بخفةٍ مدهشة كأنه شاب، ثم قفز إلى داخل الفناء وفتح الباب من الداخل، ودعانا للدخول.

كان البيت بسيطًا جدًا، ولا يظهر فيه أي أثر للرفاه. ومع ذلك أصرّ الشيخ أن يقدّم لنا ما في البيت من طعام: بيضًا، وزبدة، وجبنًا محليًا، وكل ما توفر لديه من مؤونة، حتى بدا كأن ما قدّمه لنا هو زاد شهرٍ كامل لأسرته.

وبعد أن انتهينا من الفطور قال:

"والآن، بما أنكم وفيتم بوعدكم وجئتم إلى بيتي، فسأقصّ عليكم قصة حياتي".

ثم قال:

"عندما كنت شابًا، في الفترة التي كان فيها حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان (ق) في إيران، كان والدي خليفةً له. وذات يوم قررت أن أذهب مع بعض أصدقائي إلى طهران بحثًا عن عمل. فأخذني والدي إلى حضرة الشيخ لننال دعاءه قبل السفر.

فقال الشيخ:

"أبوك خليفتنا، وأنت تحت راية طريقتنا. اذهب ولا تخف من شيء، فنحن نرعاك".

لم نكن نعرف طريق منطقة فارس. فالتقينا بمجموعة من الرجال ادعوا أنهم يساعدون الناس في العثور على عمل، وقالوا إنهم سيأخذوننا معهم إلى طهران.

وفي الطريق، قرب مدينة تُدعى زنجان، وصلنا إلى خانٍ قديم مهجور. فقالوا لنا:

"هيا ندخل هنا لنشعل نارًا ونعدّ الشاي، ثم نواصل الطريق".

لكن ما إن دخلنا حتى أغلق أحدهم الباب ووقف خلفه، وكان رجلًا ضخم الجثة. وأخرج الآخرون سكاكينهم وقالوا:

"أخرجوا كل ما معكم من مال ومتاع فورًا"!

اجتاحني خوف شديد. ولكن فجأة، من غير أن أدري كيف، خطر في قلبي ذكر حضرة الشيخ، فقلت في نفسي: "يا غوث كريم"...

لم تمض دقائق ونحن نستجديهم أن يتركونا، حتى سمعنا ضربةً قوية على الباب. فانخلع الباب من مكانه، وطُرح الرجل الواقف خلفه إلى زاوية بعيدة.

ودخل شاب ضخم البنية يرتدي لباسًا كرديًا. ثم أخذ أولئك المسلحين، واحدًا تلو الآخر، يقذفهم كأنهم أطفال ضعفاء، حتى فرّوا جميعًا هاربين.

ثم قال لنا:

"أنا درويش أعمل في مزرعة أبقار قريبة من هنا. وفجأة سمعت صوتًا في أذني يصرخ: يا غوث كريم... فتركت عملي وركضت إلى هنا".

وكان أعجب ما في الأمر أنني لم أنطق بتلك الصرخة بصوت مسموع، بل قلتها في قلبي فقط.

ثم أخذنا ذلك الشاب إلى صاحب مزرعة الأبقار التي يعمل فيها. فقال صاحب المزرعة إنه مستعد لإعطائنا عملًا بسرور، وأضاف:

"منذ أن جاء هذا الدرويش للعمل عندي، ازداد حليب الأبقار، وكثر نتاجها، وصارت البركة ظاهرة في كل شيء".

فبقينا نعمل في تلك المزرعة نحو سنتين. وبعد ذلك عدت إلى كردستان، وذهبت لزيارة حضرة الشيخ عبدالكريم لأشكره.

فلما دخلت التكية، كان الشيخ يعظ الدراويش، وكان ظهره إلى الباب. ومن غير أن يلتفت، أشار بيده نحو الباب وقال:

"لقد سمعت صرختك من زنجان. درويشي لا يخاف؛ ومن يخاف فليس درويشي".

عند هذا الموضع سكت الشيخ المسن قليلًا، ثم قال بهدوء:

"ومع مثل هؤلاء المشايخ... أنا لا أعدّ نفسي درويشًا".

وهكذا انتهت القصة التي أراد أن يرويها لنا.

الرواية 95 – النجاة من أيدي المهرّبين

رواية لأحد سالكي الطريقة

قبل سنواتٍ عديدة، جاءني أربعة أشخاص بسيارتهم وطلبوا مني أن أنقل بسيارتي (البيك أب) كمية من الدجاج المجمّد

إلى مركز المحافظة. جلس أحدهم بجانبي في السيارة، بينما تبعنا الثلاثة الآخرون بسيارةٍ أخرى.

وفي الطريق، عرض عليَّ الشخص الجالس إلى جانبي شرابًا. وما إن شربت منه حتى شعرت بدوارٍ شديد، ثم فقدت الوعي ولم أعد أذكر شيئًا.

وتبيّن لاحقًا أنهم وضعوا في الشراب مادةً منوّمة. كانت خطتهم أن يسرقوا سيارتي، ويستعملوها في نقل بضائع مهرّبة، ثم يقتلوني في النهاية. فقيدوا يديّ ورجليّ، وبينما كنت في حالة شبه غيبوبة ألقوني في مؤخرة سيارتي نفسها.

لم أكن أعي شيئًا مما يجري حولي، حتى وجدت نفسي - وأنا مقيّد اليدين والقدمين - في غرفةٍ مغلقة. فعرفت أنهم نقلوني إلى إحدى مدن شمال البلاد. بقيت هناك عدة أيام في وضعٍ قاسٍ ومؤلم، وكانوا بين حينٍ وآخر يحقنونني بمواد تجعلني أدخل في غيبوبة لساعات طويلة.

وبعد بضعة أيام، جاءني أحدهم - وكان أكبرهم سنًا ويبدو في نحو الستين من عمره - وقال لي:

"لقد رأيت الليلة الماضية في المنام شخصًا اسمه شاه حسين، كان يرتدي لباسًا أسود وعمامة سوداء. قال لي: لماذا تريدون قتل هذا الإنسان البريء؟ ماذا فعل لكم؟ أنا لا أسمح لكم أن تقتلوه".

ثم التفت إليّ وقال:

"سأتحدث مع البقية ولن أسمح لهم بقتلك".

وبعد ذلك علمت أنه تحدث مع الآخرين وأقنعهم بتغيير رأيهم. فقاموا - وأنا في حالة إغماء - بوضعي داخل سيارتي قرب أحد المساجد، ثم تركوني هناك.

عثر عليّ رجال الشرطة ونقلوني إلى المستشفى. وفي اليوم التالي، عندما استعدت وعيي، وجدت نفسي في مستشفى في مدينة بعيدة، وقد نجوت من موتٍ كان شبه محتوم.

(حضرة شاه حسين (ق) من مشايخ الطريقة القادرية الكسنزانية، وقد توفي سنة 1939).

الرواية 96 – شفاء ألم الظهر

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل عدة سنوات، أُصبتُ بانزلاقٍ غضروفيٍّ حاد، فأصابني ألمٌ شديد في أسفل الظهر؛ حتى إنني بقيت قرابة شهرين طريح الفراش في المنزل غير قادرٍ على الحركة. ولم تُجدِ أيٌّ من العلاجات أو الفحوصات الطبية نفعًا في تحسين حالتي، وكان الألم شديدًا إلى درجةٍ عطّل حياتي اليومية تمامًا.

وخلال تلك الفترة، جاء كثير من الدراويش لزيارتي والدعاء لي، لكن ظاهريًا لم يكن هناك أي تحسّن في حالتي. وفي ذروة الألم والعجز، رأيت ذات ليلة رؤيا عجيبة.

رأيت في المنام أنني مستلقٍ على سريرٍ كبير، وكان حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) جالسًا إلى جانبي على السرير نفسه. وما إن أدركت وجوده حتى سحبت نفسي نحوه رغم ضعفي وعدم قدرتي على النهوض، ولمست ثوبه المبارك ومسحته على وجهي وجسدي.

وفي تلك اللحظة، غمرني شعور عجيب بالطمأنينة والسكينة.

وفي الصباح، عندما استيقظت من النوم، لاحظت أن حالتي بدأت تتحسن بشكلٍ ملحوظ. كان الألم قد خفّ كثيرًا، وعادت إليّ القدرة على الحركة. وخلال أيام قليلة، استعَدتُ صحتي تمامًا، حتى لم يبقَ أي أثر لذلك الألم الشديد.

وبعد عدة أسابيع، ذهب أخي لزيارة حضرة الشيخ. وبين جمعٍ غفير من الزائرين، التفت حضرة الشيخ إليه وقال:

"يا خليفة، كيف حال أخيك؟ هل تحسّن؟"

فنظر أخي إليه لحظاتٍ بدهشة من هذا الاهتمام والعلم بحالي، ثم قال:

"نعم سيدي، قد شُفي ببركتكم".

الرواية 97 - حلقُ شعر الخليفة قبل وفاته بيوم

رواية بقلم مؤلف الكتاب

إنّ من أخطر أعداء السالك في طريق الله التعلّق بالدنيا، ذلك الميل إلى الجاه والمقام الذي يتسلل إلى القلب شيئًا فشيئًا حتى يفرغه من النور ويُبعد الإنسان عن طريق الحقيقة.

قبل سنوات طويلة تعرّفتُ إلى أحد خلفاء الطريقة، وكان رجلًا صالحاً من أهل السلوك والمجاهدة، قضى عمره في العبادة والسير إلى الله. كان من أبناء إحدى القرى الصغيرة، ولم يكن كثير من الناس يعرفونه في البداية. وكان إنسانًا متواضعًا هادئًا، معروفًا بين الدراويش بالصفاء والإخلاص.

لكن مع مرور الزمن، ومع كثرة مجيئه إلى مدينتنا واجتماع الناس حوله، بدأ شيء من التغيّر يظهر في سلوكه. فالإنسان الذي كان يومًا مثالًا للتواضع، صار تدريجيًا شخصًا شديدًا متكبرًا، وبدأ قلبه يتعلق بالأمور المالية وبالمكانة الاجتماعية. دخلت الدنيا إلى قلبه، وبدأت شخصيته الروحية تضعف وتنهار. اختفت كراماته، وأصبحت تصرفاته سبباً في إيذاء بعض الدراويش.

وبعد مدة، دخل في خلوة واعتكاف من غير إذن شيخ الطريقة. فاعترضتُ عليه وقلت له إن القيام بذلك دون إذن الشيخ قد يؤدي إلى سقوطٍ روحي. فأجابني قائلًا:

"الناس ينتظرون مني الكثير، ويجب أن أكون قادرًا على تلبية توقعاتهم".

فقلت له:

"هل أنت الذي ستلبّي توقعات الناس؟ إن كانت قد ظهرت لك كرامة في يوم من الأيام، فكلها كانت ببركة شيخ الطريقة، لا منك أنت. ولكنك ظننت أن هذا المقام منك".

وبسبب هذه التصرفات وغيرها مما رأيت منه، قررت أن أبتعد عنه. ومع كثرة اتصالاته بي، أخبرته بصراحة أنني لا أرغب في استمرار هذه العلاقة.

وبعد مدة أصيب بمرضٍ عضال. ومن خلال اتصالاته علمت أن حالته تسوء يومًا بعد يوم، حتى وصلني خبر وفاته. (نسأل الله تعالى أن يشمله برحمته ومغفرته، وأن يجعله في عفو مشايخ الطريقة).

وبعد عدة سنوات التقيت أحد الدراويش الذين كانوا قريبين منه، فقال لي:

"في اليوم الذي توفي فيه الخليفة، ذهبنا مع عدة أشخاص لتغسيل جسده. وفوجئنا بأن شعره قد حُلِق كله من جذوره، ولم يبقَ أثر لذلك الشعر الأبيض الطويل الذي كان يصل إلى خصره".

فغضب أحد الدراويش وقال لأبنائه:

"لماذا حلقتم شعر هذا الشيخ؟"!

فأقسم أبناؤه وهم يبكون وقالوا:

"والله لقد أجبرنا بنفسه، وبشدة، بل حتى بالضرب، أن نحلق شعره قبل يوم واحد من وفاته... ثم توفي في اليوم التالي".

تأمل ختامي

تكشف هذه القصة صورةً مخيفة عن مصير إنسانٍ كان يومًا يسير في طريق النور، ثم وقع تدريجيًا في حبّ الجاه والتعلق بالدنيا.

فالسقوط الروحي لا يحدث دائمًا فجأة؛ بل قد يحدث ببطءٍ وصمت، حتى إن الإنسان قد لا يشعر باللحظة التي تغيّر فيها مساره.

إن حلق الشعر في آخر يوم من حياته لم يكن مجرد عملٍ ظاهري، بل قد يكون علامة على اضطرابٍ داخلي وقلقٍ

روحي، وربما محاولة غير واعية لمحو آثار ماضٍ لم يعد فيه ذلك الصدق والنور.

إنها رسالة تحذير لكل السالكين:

لا أحد في مأمن من الزلل.

فلا المقام، ولا السوابق، ولا الكرامات الماضية تضمن حسن الخاتمة.

إن الذي يحفظ الإنسان هو:

التواضع الدائم،

والارتباط الكامل بالشيخ والطريقة،

والخوف المستمر من أن يتعلق القلب بالدنيا بدل الله.

فقد يمنح الله العبد سنوات طويلة من الفرص،

لكن إن لم يستيقظ،

فإن علامات السقوط قد تظهر...

حتى في اللحظات الأخيرة من الحياة.

الرواية 98 – الهداية من خلال القرآن

رواية لأحد سالكي الطريقة

في شهر رمضان المبارك ذهبتُ إلى التكية بوساطة أحد الأصدقاء. ومنذ المرة الأولى قلت في نفسي:

"ما أغرب هذا المكان... ما أطيب جوّه وما أعمق روحه".

بعد حضوري أربع جلسات في التكية أخذتُ البيعة في الطريقة، لكنني في داخلي وضعت شرطًا لنفسي: إن لم أرَ أثرًا في حياتي، فسأترك الأمر ببساطة كما تركتُ تجارب كثيرة من قبل.

في الأيام الثلاثة الأولى التزمت بالأذكار، لكنني كنت أشعر بالتعب. وكنت أقول في نفسي:

"يا إلهي... كم هذه الأذكار كثيرة! هل يجب أن أقولها دائمًا؟ وماذا عن حياتي؟ ماذا عن زوجتي وأطفالي؟"

ثم تعمّدتُ ألا أذهب إلى التكية أربعة أسابيع متتالية. لكنني لاحظت أن شيئًا ما، كأنه حبلٌ غير مرئي، كان

يجذبني مرة أخرى إلى هناك. فقلت في نفسي مرة أخرى: "حسنًا... سأذهب هذا الأسبوع، ثم لن أعود بعد ذلك".

خلال تلك الفترة كنت أسمع من هذا وذاك كلامًا عن أولياء الله وعن حضرة الشيخ محمد المحمد (ق)، وكان لذلك الكلام أثر في قلبي.

في الأسبوع الماضي، يوم الخميس، ذهبت إلى التكية، لكن بسبب أمرٍ يخصني لم أكن في حالٍ طيب، ولم أشعر بشيء خاص. وفي نهاية المجلس قلت في نفسي: "وداعًا يا طريقة... لقد تحملتنا طوال هذه المدة، والآن سنمضي".

لكن في اليوم التالي، يوم الجمعة، بعد صلاة الفجر، شعرت بدافعٍ في قلبي أن أقول الأذكار. فذكرتُ الله. وبعد صلاة الظهر فعلتُ الشيء نفسه، وبعد صلاة العصر أيضًا جلست أذكر الله.

وفي أثناء الأذكار، لا أتذكر بالضبط هل كان ذلك في وسط قول أستغفر الله العظيم أم في نهايته، لكن فجأة ظهر حضرة الشيخ أمامي.

وأشار إلى المصحف الموضوع على الرف، وقال:

"يا بُني، اقرأ الصفحة 296، الآيات من 27 إلى 31".

وبمجرد أن قال هذه الكلمات اختفى من أمامي.

بدهشة وخشوع تناولتُ المصحف وفتحت الصفحة 296. كانت من سورة الكهف. قرأت الآيات من 27 إلى 31، ثم رجعت إلى الترجمة وكتب التفسير لأفهم معناها.

عندما قرأت المعنى قلت في نفسي:

"ما أعجب هذا الأمر... إنه حقًا يشبه المعجزة".

ومنذ ذلك اليوم أصبحت هذه الآيات نقطة ارتكازٍ لقلبي. والآن، كل ليلة قبل النوم، أو كلما دخلت البيت بعد خروجي، أقرأ هذه الآيات أولًا؛ حتى أتذكر الطريق الذي أنا فيه، والعهد الذي بيني وبين الله.

تأمل ختامي

إن ما يزيد عمق هذه القصة أن هذه الآيات نزلت في شأن أهل الصُّفّة .ففيها يخاطب الله تعالى رسولَه الكريم ﷺ مباشرةً ويتحدث عن هؤلاء العباد المخلصين. يأمره أن يكون مع

الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وأن لا يصرف نظره عنهم.

فهذه الآيات دفاعٌ إلهي عن أهل الذكر وأهل الفقر إلى الله، وتأكيدٌ على منزلتهم العالية عند الله تعالى.

وهذا هو بعينه ما تعيشه الطريقة. فالطريقة ليست طريقًا جديدًا ولا فكرة شخصية، بل هي امتدادٌ لذلك الطريق نفسه؛ طريق أصحاب الصُّفّة، طريق الذين لا تقوم قيمتهم على المال ولا على الجاه، بل على صدق القلب، وكثرة الذكر، والاتصال بالله.

وحينما أرشد حضرة الشيخ هذا الشخص إلى تلك الآيات، فكأنما أراد أن يبيّن له أن هذا الطريق ليس أمرًا عابرًا، بل هو امتداد مباشر لمدرسةٍ حفظها الله بنفسه وأمر نبيَّه أن يكون مع أهلها.

فالطريقة هي اختيار طريق أصحاب الصُّفّة في زمنٍ آخر؛
اختيار الذكر بدل الغفلة،
والإخلاص بدل المظاهر،
والحقيقة بدل بريق الدنيا.

ولهذا صارت تلك الآيات علامةً واضحة لذلك السالك، تشير إلى أن الجذب الذي كان يشعر به في قلبه لم يكن مجرد إحساسٍ عابر، بل دعوةٌ إلهية ليكون في صف أولئك الذين خلّد اللّٰه ذكرهم في كتابه الكريم.

الرواية 99 - أهمية الصلاة الوصفية

رواية لإحدى سالكات الطريقة

في بداية دخولي إلى الطريقة تعرّفتُ إلى "الصلاة الوصفية" التي تُتلى في الطريقة. وفي أول الأمر لم يكن تقبّلها سهلًا بالنسبة لي. كنت أقول في نفسي:

"هذه الصلاة من وضع أهل الطريقة، ومن المستبعد أن يكون مثل هذا الذكر مقبولًا عند اللّٰه".

كان في قلبي تردّد، ولم أستطع أن أطمئن إليها اطمئنانًا كاملًا.

وفي إحدى الليالي رأيت في المنام أنني في الحرم للإمام علي بن موسى الرضا (ع). كنت واقفةً أمام الضريح، وكان

الحرم خاليًا تمامًا من الزائرين. وكان الجو مفعمًا بالسكينة والهيبة والنور.

وفجأة شعرت بيدٍ توضع على كتفي، وسمعت من يناديني باسمي.

فلما التفتُّ شعرت بخشوعٍ وهيبة عظيمة. فقال لي ذلك المبارك بهدوء:

"لا تخافي، أنا الإمام الرضا".

ثم قال بلطفٍ وطمأنينة:

"يا ابنتي، أرسلي الصلاة الوصفية. هذه الصلاة نحن قلناها لتُرسلوها أنتم".

فلما سمعتُ هذه الكلمات، زال كل ما كان في قلبي من شكّ. وأدركت أن ما يجري في الطريقة ليس نابعًا من أهواء الناس أو أذواقهم، بل له أصلٌ في حقيقةٍ روحيةٍ يحفظها أولياء الله ويرشدون إليها.

ومنذ تلك الليلة لم تعد الصلاة الوصفية عندي ذكرًا عاديًا، بل صارت علامةً على صلة الطريقة بأهل البيت (ع)، وتأكيدًا واضحًا من عالم المعنى.

تأمل ختامي

إن ما يجعل هذه الرواية جديرةً بالتأمل هو أن الصلاة الوصفية تُعرض فيها لا كأمرٍ شخصي أو اجتهادٍ فردي، بل كذكرٍ له جذورٌ أعمق من التصورات الفردية.

وهذا يشير إلى أن كثيرًا من الأذكار والأعمال في الطريقة تقوم على تقليدٍ روحيّ ممتد، يتعرّف إليه السالك تدريجيًا، ويكتشف معانيه الأعمق مع مرور الزمن.

فالطريقة في جوهرها محاولةٌ لحفظ الصلة بطريق الذكر، وحضور القلب، والارتباط بالله تعالى. وفي هذا المنظور، لا تكمن الأهمية في الشكل الظاهري للأذكار، بل في النية الصادقة، وصدق القلب، والاستمرار في ذكر الله.

ويمكن فهم هذه الرؤيا بوصفها علامة طمأنينة داخلية، انتقلت بصاحبتها من التردد الأول إلى السكينة والقبول.

الرواية 100 - إن كانت لديكم أسئلة فاسألوها..

رواية بقلم مؤلف الكتاب

ذهب جمعٌ من الإخوة الذين دخلوا الطريقة حديثًا، بصحبة أحد الخلفاء - ولم يكن له هو أيضًا باعٌ طويل في السلوك - لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وكان كل واحد من الدراويش يحمل في ذهنه سؤالًا، وقد اتفقوا فيما بينهم أن يتولى الخليفة طرح تلك الأسئلة في مجلس حضرة الشيخ ليجيب عنها.

وكانت أغلب الأسئلة تدور حول مسائل تتعلق بالشريعة، والإمامة، وأمورٍ قد تفتح باب الخلاف أو الجدل الحساس بين المذاهب؛ أسئلة قد تؤدي - حتى لو أُجيب عنها جوابًا صحيحًا - إلى نقاشاتٍ تثير الفرقة والانقسام.

فلما دخلوا المجلس، جلس الخليفة قريبًا من مقعد حضرة الشيخ، وجلس الدراويش صفًّا مقابلَه.

وما إن دخل حضرة الشيخ حتى نظر إلى الخليفة وقال بهدوء:

"يا خليفة، كيف حالك؟"

كانت هذه الجملة وحدها كافية لأن يتأثر الخليفة تأثرًا بالغًا. فاختنق صوته وانفجر بالبكاء. وطوال مدة المجلس بقي مطأطئ الرأس، لا ينظر إلى أحد، ولا يقدر على الكلام؛ كأنه غارق في بحرٍ من الهيبة والنور.

أما الدراويش الذين كانوا قد نسّقوا معه لطرح أسئلتهم، فقد نظروا إليه بدهشة، وبعضهم بشيءٍ من الامتعاض. كانوا ينتظرون أن يرفع رأسه ليطرح الأسئلة، لكنه لم يعد في حالٍ تسمح له بالكلام.

وفي أثناء المجلس قال حضرة الشيخ:

"من كان عنده سؤال، فليطرحه في قلبه؛ إن شاء اللّٰه سيجد جوابه في قلبه".

وساد المجلس صمتٌ عميق. دخل كل واحدٍ في خلوةٍ مع نفسه، وطرح سؤاله في داخله.

وبعد الزيارة، أخبرني ما لا يقل عن ستةٍ من الحاضرين قائلين:

"بمجرد أن طرحنا السؤال في قلوبنا، وجدنا الجواب واضحًا في صدورنا، من غير أن يُتداول كلام".

وبعد أشهر، بينما كنت أتلو القرآن، مررت بهذه الآية من سورة المائدة:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ - وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ - عَفَا اللَّهُ عَنْهَا - وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ"

(المائدة: 101)

فخطر ذلك المجلس في بالي فورًا، وتذكرت كلام حضرة الشيخ.

وعندما رجعت إلى كتب التفسير، قرأت أن بعض الصحابة في زمن نزول الوحي كانوا يعلمون أن أجواء نزول القرآن هي أجواء كشفٍ للحقيقة، بحيث إن من يطرح سؤالًا قد يُنزّل الله تعالى جوابه مباشرة.

ولهذا كانت تُطرح أحيانًا أسئلة من قبيل الأمور الشخصية الخفية، مثل:

"إلى متى سأعيش؟"
"هل فلانٌ حقًا أبي أم لا؟"

ولأن علاقات غير مشروعة كانت قد انتشرت في الجاهلية، فإن كشف مثل هذه الحقائق قد يكون مؤلمًا ومهينًا ومُدمّرًا.

لذلك جاء النهي الإلهي:

"لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم".

أي إن ليس كل علمٍ خيرًا لصاحبه،

وليس كل سؤالٍ يقود إلى نور.

وهنا أدركت أن ما جرى في مجلس حضرة الشيخ كان انعكاسًا لتلك الحقيقة القرآنية. فكما كان كلام الله في زمن التنزيل يحمل نورًا يكشف الحقائق في القلوب، فإن كلام الشيخ - لمن كان قلبه مستعدًا - يحمل نورًا يوصله إلى الجواب؛ لا عبر الجدل والمناظرة، بل عبر إشراقٍ قلبيّ.

فالهداية ليست دائمًا في كثرة الأسئلة،

بل أحيانًا في صفاء القلب الذي يتلقى الجواب مباشرةً من النور.

تأمل ختامي

يتبيّن من أحداث ذلك اليوم أن حضرة الشيخ أخرج الحاضرين من ساحة الأسئلة التي قد تفضي إلى الجدل والخلاف، وأدخلهم إلى ساحة التلقّي القلبي.

فالسؤال إن كان من جنس المجادلة أورث اختلافًا، وإن كان من جنس الطلب الصادق أورث نورًا.

وكما أن الوحي في زمن نزول القرآن لم يكن مجرّد إخبار، بل كان تحققًا للحقيقة في القلوب، فإن كلام وليّ الله ليس ألفاظًا تُقال فحسب، بل هو وسيلةٌ لجريان نور الهداية في الصدور. وهذا هو معنى الكرامة هنا:

ليس وحيًا تشريعيًا،

بل امتداد نور الوحي في مقام الولاية؛

حيث يسمع الإنسان الجواب لا بأذنه،

بل بقلبه.

الرواية 101 – عصا "مَن تَشاء"

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام، قدمنا إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، وكان معنا نحو سبعين درويشًا في حافلتين. وبينما كنا مجتمعين بانتظار حضرة الشيخ، لفت انتباهي أحد الدراويش الذي كان قد انضمّ إلى طريقتنا قبل مدة قادمًا من طريقةٍ أخرى، وكان والده المرحوم من كبار رجال تلك الطريقة. رأيته يحمل في يده قطعةً من غصن شجرة، رأسها مستدير كالعصا.

دخل حضرة الشيخ وجلس على الكرسي، فاندفع الدراويش الذين جاؤوا معنا، ومعهم نحو خمسين درويشًا من أكراد كردستان، ليجتمعوا حوله. وفجأة رأيت حضرة الشيخ يشير إلى ذلك الدرويش، وكان يقف في الصفوف الخلفية على بُعد نحو عشرة أمتار، فقال:

"أنت... تعال إلى الأمام".

انفرج الجمع، وتقدّم الرجل وجثا على ركبتيه أمام حضرة الشيخ. ثم مدّ تلك القطعة الخشبية نحوه وقال:

"سيدي، هذه كانت لوالدي المرحوم".

أخذ حضرة الشيخ العصا وقال:

"قل إنها وصلت إليّ".

فقال الرجل:

"لمن أقول؟"

لكن حضرة الشيخ لم يُجبه.

وبعد انتهاء اللقاء، قلت له بانفعال:

"ماذا فعلت حتى ناداك حضرة الشيخ؟ وما هذه العصا التي أعطيتها له؟"

فقال:

"كنت خارج الحلقة. فقال حضرة الشيخ: غير الأكراد إن كان لديهم سؤال فليسألوا. فبدأ الأكراد يتكلمون. فاعترضتُ وقلتُ: حضرة الشيخ قال غير الأكراد يسألون، لا الأكراد. فقال لي من بجانبي: 'قلها بصوت أعلى، فالشيخ لا يسمعك.'

وفي تلك اللحظة خطر في قلبي خاطر: إن كان شيخ الطريقة لا يسمعني من مسافة عشرة أمتار، فكيف ينقذني من مسافات بعيدة؟ فما إن خطر ذلك في نفسي، حتى مدّ حضرة الشيخ يده نحوي وقال:

"تعال إلى الأمام"".

ثم حدّثني عن العصا فقال:

"هذه عصا مباركة في طريقتنا السابقة، كانوا ينذرون لها، واسمها عصا 'مَن تَشاء'، وكانوا يقولون إنها تفعل لمن يحملها ما يشاء. في رأسها أربعون عقدة. وكانت لأحد دراويش الطريقة القدماء، وقد وجدها بجانبه بعد أن أتمّ خلوته واعتكافه. وبعد وفاته أُعطيت لوالدي، وكان من كبار تلك الطريقة. كان والدي يعطي كل من سأله شيئًا، لكنه لم يعطِ هذه العصا لأحد. وبعد وفاته، بحثتُ عمّن يستحقها فلم أجد أحدًا. وقبل سفري إلى السليمانية، خطر في قلبي أن أقدّمها هدية لحضرة الشيخ".

وبعد مدة التقيته مرة أخرى، فقال:

"بعد عودتنا من السليمانية، ذهبت يومًا إلى المسجد القريب من بيتنا لأداء الصلاة، فرأيت حفيد شيخ طريقتنا السابقة. وبعد وفاة شيخنا، ولأنني انضممت إلى الطريقة الكسنزانية، صار أهل الطريقة السابقة يعادونني ولا يكلمني أحد منهم. لكن في ذلك اليوم، على غير العادة، جاء نحوي وسألني:

"كيف حال طريقتكم؟"

قلت: "الحمد لله، بخير".

قال: "وكيف حال شيخكم؟"

قلت: "بخير".

قال: "أما رأيت شيخكم؟"

قلت: "بل ذهبت قبل أسبوع إلى السليمانية لزيارته".

قال: "إذًا حدّثني عن لقائك به".

فقلت: "لقد قدّمتُ له عصا 'مَن تَشاء'".'

فسكت قليلًا، ثم بكى وقال:

"يا سيد، أقسم بجدّك إن مالك 'مَن تَشاء' هو شيخك".

قلت: "لكنها كانت لأحد دراويش طريقتكم قديمًا".

فقال:

"رأيتُ جدّي في المنام البارحة، وكان مسرورًا جدًا، وقال: عصا 'مَن تَشاء' عادت إلى صاحبها"".

ثم قال:

"عدتُ إلى البيت مذهولًا. فجاء عمي إلى منزلنا، وما إن رآني حتى قال:

"يا سيد، كان لأبيك عصا... أين هي؟"

قلت: "سبحان الله، لماذا يتحدث الجميع اليوم عن هذه العصا؟"

قال: "رأيتُ أباك في المنام الليلة الماضية، وكان مسرورًا، وقال شيئًا عن هذه العصا، لكنني استيقظت ونسيت بقية الكلام"".

الرواية 102 – الخطاب في المطر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في الليلة التي تلت الواقعة المذكورة في الرواية السابقة، وقع حدث عجيب آخر.

جاء حضرة الشيخ لإلقاء كلمة، وجلسنا جميعًا على الأرض بين يديه. وفي أثناء الخطاب، ومع اقتراب الظلام، لاحظنا – بفضل أضواء الكشّافات – أن المطر قد بدأ يتساقط. كانت القطرات الدقيقة تظهر واضحة في ضوء المصابيح. وساد بين الحاضرين قلقٌ خفيّ؛ إذ خشي الجميع أن يبتلّ حضرة الشيخ أو يتوقف المجلس. غير أنّه واصل حديثه بهدوءٍ تام، كأن المطر لا يعنيه في شيء.

شيئًا فشيئًا اشتدّ المطر، وكبرت قطراته، وابتلّت الأرض من حولنا تمامًا. ومع ذلك، لم نشعر برطوبة على أجسادنا، ولا رأينا أثر بللٍ على ثيابنا؛ وكأننا داخل نطاقٍ غير مرئي يحجب عنا المطر.

بعد انتهاء الخطاب، دعا حضرة الشيخ للحاضرين، وأعلن أن من شاء فله أن يذهب للراحة. ثم توجّه إلى القاعة الكبيرة المجاورة لساحة الذكر. وما إن دخل القاعة، حتى اشتدّ المطر على الدراويش الذين بقوا في الخارج.

دخلتُ القاعة مع حضرته وجلست قريبًا منه. جلس على مقعده المخصّص، وبدأ المنشدون بالمديح. ومن خارج القاعة كان يصلنا صوت الدراويش وهم يذكرون الله تحت المطر.

وأثناء المديح، كلما ذُكر الاسم المبارك لرسول الله ﷺ، كان حضرة الشيخ - ممسكًا بعصاه المباركة - يُغمض عينيه فجأة، ويُحرّك رأسه بحركات خاصة. وكان لون وجهه يميل إلى الاحمرار، ويبدو رأسه في تلك اللحظات أكبر من حجمه المعتاد على نحوٍ لافت. وفي الوقت نفسه، كانت ترتفع من الخارج صيحات الفرح والوجد من أفواه الدراويش.

بعد انتهاء المديح، خرج حضرة الشيخ من القاعة. توجهتُ أنا أيضًا إلى حيث كان الدراويش. رأيتهم جميعًا تحت المطر، يلوّحون براياتهم، وقد ابتلّت ثيابهم تمامًا.

في تلك اللحظة، جاءني الدرويش الذي كان قد أهدى عصا "مَن تَشاء" إلى حضرة الشيخ، وقال لي:

"لا تعلم ماذا حدث. في بعض اللحظات، كنا نرى سحابة بلون أزرق لازوردي تخرج من داخل القاعة التي كان فيها حضرة الشيخ، وتتجه نحونا، وتمرّ بين الدراويش. وكانت إذا مرّت بالإنسان أحدثت في قلبه حالةً من الفرح والوجد، حتى ليكاد يطير من شدّة السرور".

وفي تلك اللحظة أدركت أن هذا كان يحدث تحديدًا في الأوقات التي كان حضرة الشيخ يُحرّك فيها عصاه المباركة.

ولم تنتهِ الدهشة عند هذا الحد. فبعد ساعتين أو ثلاث من الواقعة، كانت شعور الدراويش وثيابهم - وبعضها طويل وثقيل ويصعب عادةً تجفيفه حتى بالمجفف الكهربائي - وكذلك راياتهم، قد جفّت تمامًا بصورة عجيبة؛ كأنها لم تتعرّض للمطر أصلًا.

وبعد سنوات، حين كنت أكتب كتاب "دورة 19 خطوة نحو الطمأنينة"، صادفتُ رواية عن معبد فاطيما في البرتغال، ذُكر فيها حادثٌ مشابه؛ حيث بعد هطول المطر،

جفّت ملابس الحاضرين وشعورهم، بل وحتى الأرض التي وقفوا عليها، خلال نحو نصف ساعة، على نحوٍ غير معتاد.

وفي الرواية التالية، سأعيد نقل تلك الحادثة كما وردت نصًّا في كتاب "دورة 19 خطوة نحو الطمأنينة."

الرواية 103 – رؤية السيدة فاطمة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في اليوم الثالث عشر من ستة أشهر متتالية بدأت في شهر مايو عام 1917، ظهرت سيدة نورانية لثلاثة أطفال رعاة، وعرّفت نفسها بأنها "سيدة المسبحة". وقد وقعت هذه الظهورات بالقرب من قرية فاطيما في البرتغال.

في الظهور الأول، كانت فتاة في العاشرة من عمرها تُدعى لوسيا، برفقة ابن عمها فرانسيسكو وابنة عمتها جاسينتا، اللذين كانا يبلغان من العمر تسع وسبع سنوات على التوالي، يرعون الغنم حين شاهدوا فجأة سيدة وصفوها بأنها "أشد إشراقًا من الشمس."

وقد وصف الأطفال هذه السيدة بقولهم:

"كان ينبعث منها نور أشد من نور الشمس، وكانت تشعّ أشعةً من ذاتها، ككرة بلورية موضوعة أمام أشعة الشمس المباشرة، ينبعث منها نور صافٍ نقي".

وجاء في النص الإنجليزي:

"Brighter than the sun, shedding rays of light clearer and stronger than a crystal ball filled with the most sparkling water and pierced by the burning rays of the sun."

ومن الأمور اللافتة في هذا الوصف أن "الزهراء" أحد ألقاب السيدة فاطمة (س)، ومعناه المشرقة الوجه. كما أن اسم "فاطيما" في اللاتينية هو الصيغة الأوروبية لاسم "فاطمة"، وهو ما يضفي عمقًا إضافيًا على هذا التوافق الاسمي والرمزي.

تكررت الظهورات في اليوم الثالث عشر من شهري يونيو ويوليو. وفي الظهور الثاني سألت لوسيا السيدة:

"هل سنذهب إلى الجنة بعد موتنا؟"

فأجابت:

"نعم. سأأخذ فرانسيسكو وجاسينتا إليّ قريبًا، أما أنتِ فستبقين مدة أطول في الدنيا لتنشي الطهارة والروحانية ونور الإيمان بين الناس".

وقد تحقق هذا التنبؤ بالكامل؛ إذ توفي فرانسيسكو بعد عامين، وجاسينتا بعد ثلاثة أعوام خلال وباء الإنفلونزا الذي اجتاح البرتغال، بينما عاشت لوسيا حتى عام 2005، وقضت حياتها حتى سن 97 عامًا راهبةً في خدمة طريق الله.

في الحوارات التي جرت بين السيدة والأطفال، حثّتهم على التوبة لنيل مغفرة الذنوب، وطلبت منهم المجاهدة من أجل خلاص الخطأة. وتأثر الأطفال بشدة حتى إنهم صاموا مدةً من الزمن، وامتنعوا في بعض ساعات النهار عن الطعام والشراب.

وكانت السيدة تحثهم على **الذكر والتسبيح اليومي**، وتعلّمهم أن الذكر الدائم لله تعالى — وهو ذكر الطريقة — مفتاح الطمأنينة وخلاص كل إنسان، بل وخلاص البشرية جمعاء.

انتشر خبر هذه الظهورات تأثيرًا عميقًا في المجتمع آنذاك، وكان له دور مهم في إبعاد الناس عن الأفكار الشيوعية والعلمانية المعادية للدين، التي كانت تنتشر في أوروبا في تلك الفترة.

وبحسب رواية الأطفال، كشفت السيدة لهم ثلاثة أسرار عُرفت لاحقًا باسم "أسرار فاطيما الثلاثة". وقد أُعلن عن السرّين الأول والثاني بعد أربعة وعشرين عامًا، أي عام 1941، حين صرّحت لوسيا بأنها مُنحت الإذن بكشفهما. أما السر الثالث، فقد قالت إن السيدة طلبت أن يُكشف عام 1960، إلا أن الفاتيكان لم يسمح بنشره، فحُفظ في ظرف مختوم في خزائن الفاتيكان بعيدًا عن متناول الناس.

وفي عام 2000، أي بعد أربعين عامًا من التاريخ المحدد، نشر الفاتيكان نصًا بعنوان "السر الثالث لفاطيما"، إلا أن كثيرًا من الباحثين شككوا في صحته.

مع انتشار خبر الظهورات، توافد الآلاف إلى فاطيما لرؤية الأطفال. الحكومة آنذاك، ذات التوجهات اللائكية

المعادية للدين، اعتقلت الأطفال ومنعتهم من الحضور في الموعد التالي في اليوم الثالث عشر من الشهر.

تعرض الأطفال للتحقيق والضغط الشديد لكشف الأسرار، وهددهم المسؤولون بقليهم في الزيت إن لم يفصحوا عنها، لكنهم صمدوا ولم يكشفوا شيئًا.

وبعد إطلاق سراحهم، أعلنوا أنهم رأوا السيدة في ذلك الشهر يوم الخامس عشر من أغسطس بدلًا من الثالث عشر.

وبعد ظهور يوليو، أخبر الأطفال أن السيدة وعدت بإظهار معجزة علنية في الثالث عشر من أكتوبر لإثبات الحقيقة.

في ذلك اليوم، تجمع نحو سبعين ألف شخص، من عامة الناس والصحفيين والمصورين. وفي الساعة المحددة توقف المطر فجأة، وتكوّنت طبقة رقيقة من الغيوم أمام الشمس بحيث استطاع الناس النظر إليها مباشرة دون أذى.

كما جفّت ثياب الناس المبتلة بطريقة عجيبة في وقت قصير.

ثم طلبت لوسيا من الناس النظر إلى الشمس. وشاهد معظم الحاضرين، بل وحتى سكان المناطق على بعد أربعين كيلومترًا، ظاهرة خارقة.

وصف الصحفي أولينو ألميدا الحدث بقوله:

"أمام أعين الجماهير المذهولة، بدأت الشمس تدور وتتحرك بحركات عنيفة لا يمكن وصفها، مخالفةً لجميع القوانين السماوية المعروفة".

وسمّى الناس الحدث "رقصة الشمس."

وقال الدكتور دومينغو، طبيب العيون:

"بدت الشمس محاطة بألسنة لهب حمراء وهالات صفراء وأرجوانية، وبدت في بعض اللحظات كأنها تنفصل عن مكانها وتتجه نحو الأرض".

وخلال هذه الرؤية، كان الناس راكعين، رافعين أيديهم، باكين ومتضرعين.

أما السر الأول فكان رؤية جهنم، وقد وصفتها لوسيا قائلة:

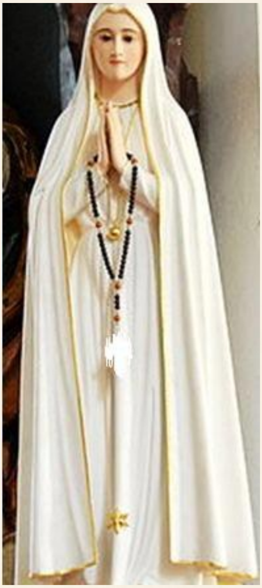
"أرتنا السيدة بحراً عظيمًا من النار تحت الأرض، ورأينا فيه شياطين وأرواحًا بشرية شفافة كالجمر المتقد، تصعد وتهبط وسط صراخ وألم شديدين".

وأما السر الثاني فكان يتعلق بخلاص البشر من النار، حيث قالت السيدة:

"أريتكم الجحيم حيث تذهب أرواح الخطأة. ولخلاص الناس، يريد الله أن يسعوا إلى تزكية نفوسهم. إذا فعل الناس ما أطلبه، سينجو كثيرون ويسود السلام الأرض. أما إن لم يفعلوا، فستقع حرب أعظم. علامتها ظهور نور عظيم في الليل".

وقد ظهر بالفعل نور واسع في 25 يناير 1938 في نصف الكرة الشمالي. وبعد شهر واحد احتل هتلر النمسا واندلعت الحرب العالمية الثانية.

كما أنه بعد شهر واحد من معجزة فاطيما، في نوفمبر 1917، نجحت الثورة الشيوعية في روسيا وبدأ أول نظام رسمي معادٍ للدين، حيث هُدمت آلاف الكنائس والمساجد وقُتل وعُذِّب مئات الآلاف من المؤمنين.



صورةُ تمثالٍ صُنع استنادًا إلى وصف الأطفال، ويُظهر شكلَ المسبحة والحجابَ الأبيض.



تصويرُ الأطفالِ الثلاثةِ وهم يحملون المسبحة، الذين رأوا السيدة فاطمة (س) عام 1917.








O SECULO

AUSTRIACOS

AS ELEIÇÕES SUPLEMENTARES DE HONTEM

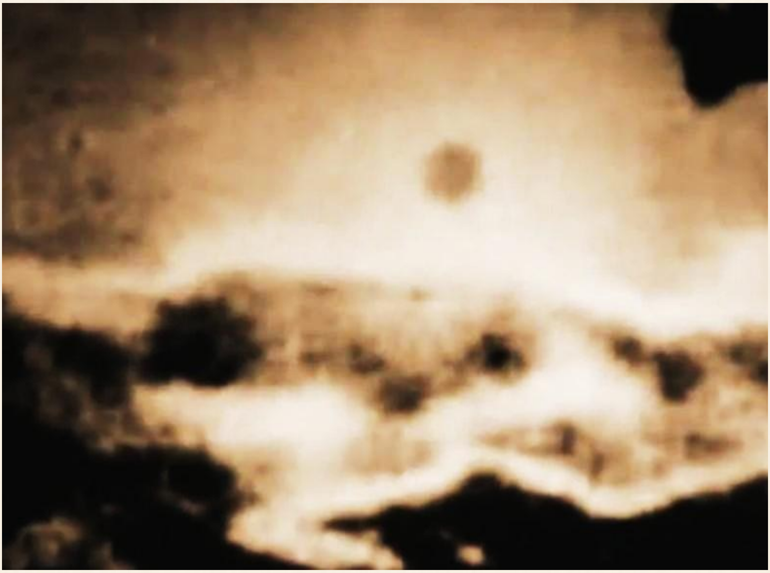
COISAS ESPANTOSAS

COMO O SOL BAILOU AO MEIO DIA EM FATIMA

The Miracle of the Sun
was reported in the anti-clerical press, *O Seculo*.


O MILAGRE DE FÁTIMA

الصحفُ الصادرةُ آنذاك التي وصفتِ الحادثةَ بعنوانِ "معجزةٍ" وشرحت تفاصيلها.





صورتانِ للشمسِ أثناء دورانِها وحركتِها في السماء.

الرواية 104 – قصيدةٌ في حقِّ السيدة فاطمة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنتُ أنا وزوجتي نعمل في دائرة التربية والتعليم في مدينتنا. وبعد سنواتٍ من الخدمة، عُيّنتُ مديرًا للمنطقة. وبعد مدةٍ تقاعد المدير العام القديم، وتسلّم المنصب شخصٌ آخر. ومنذ البداية، ولأنه كان يعلم أنني خليفة في الطريقة، لم يكن تعامله معي لائقًا. ومع مرور الوقت، ازدادت معاملته سوءًا، حتى قام – بحججٍ واهية – بعزلي من منصبي.

ثم أبلغني رسميًا بوجوب إخلاء البيت الوظيفي الذي كنا نسكنه خلال مدة قصيرة، وتسليمه لشخصٍ من معارفه عيّنه مكاني. كان القرار مفاجئًا وثقيلًا عليّ نفسيًا وماليًا، فقد اجتمع عليّ فقدان الوظيفة، والقلق على المستقبل، وخطر فقدان المأوى.

في إحدى الليالي، كانت زوجتي نائمة، وكنتُ جالسًا أذكر الله، غارقًا في همّي. لم يفارقني القلق. فتوسّلتُ إلى أستاذ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وفي

تلك الحال، خطر في قلبي فجأة أن أنظم قصيدةً في حق والدته، السيدة فاطمة الزهراء (س).

جلستُ دون تردّد إلى طاولة الطعام، وفتحتُ دفتري وبدأت أكتب. كانت الكلمات تنساب على الورق بسلاسة عجيبة، كأنها تأتي من موضعٍ خارج إرادتي. كنتُ أنا نفسي متعجباً من السرعة والحال الذي استولى عليّ.

بعد قليل، خرجت زوجتي من غرفة النوم وسألتني:

"ماذا تفعل؟"

تعجبتُ، لأنها عادةً لا تستيقظ في تلك الساعة إذا نامت. فقلتُ دون تفكير:

"أكتب رسالةً إلى المدير العام".

ولأول مرة في حياتنا، قالت لي بلهجةٍ جادة:

"أنت تكذب"!

تأثرتُ كثيراً من عبارتها، لأنها لم تخاطبني بهذه الطريقة من قبل. ثم تابعت:

"لقد رأيتُك تكتب، وكانت هناك امرأةٌ شابة، على رأسها قطعة قماشٍ بيضاء، واقفةً فوقك وتنظر إلى ما تكتبه".

في تلك اللحظة انفجر بكائي. أريتها القصيدة التي كنت قد كتبت منها نحو عشرة أسطر، فبكت هي أيضًا. عمّ البيت شعورٌ بالخشوع والطمأنينة والدهشة.

ولم تمضِ أسبوعٌ حتى وصلنا خبر أن المدير العام الجديد عُزل من منصبه بسبب اختلاسٍ ارتكبه. وجاء خلفٌ له كان يعرفني. فلم يُعدني إلى عملي فحسب، بل منحني زيادةً في الراتب أيضًا. وتحوّلت تلك الضغوط والهموم، في زمنٍ قصير، إلى فرجٍ واضح وغير متوقَّع.

تأمل ختامي

كانت هذه الحادثة درسًا حيًّا في حقيقة التوسل والإخلاص والالتجاء إلى أولياء الله. حين أُغلقت الأبواب في الظاهر، فُتح بابٌ من حيث لا تحتسب الحسابات المادية.

لم تكن قصيدة تلك الليلة مجرد كلماتٍ منظومة، بل كانت لسان قلبٍ مكسورٍ احتمى بباب السيدة فاطمة الزهراء (س). وكان الجواب أكثر من استرجاع وظيفةٍ أو حلّ

مشكلة دنيوية، كان يقينًا عميقًا بأن من سلّم قلبه إلى السماء، هدأت له الأرض.

إن هذه القصة تذكّرنا بأن أعظم الفرج يبدأ أحيانًا من لحظة يفقد فيها الإنسان كل أملٍ ظاهري، ولا يبقى له إلا باب النور.

الرواية 105 – سيفٌ لرجالِ الله

رواية بقلم مؤلف الكتاب

جاءني يومًا أحد الدراويش، وكان في ذلك الوقت من أصدق وأطهر أهل التكية قلبًا، وروى لي رؤيا عجيبة بحالٍ مؤثّر. قال:

"رأيتُ في المنام أن مدةً قد مضت على واقعة كربلاء، وأنني وصلتُ إلى مكان الحادثة. كانت الخيام المحترقة في كل مكان، وبعضها لا يزال يتصاعد منه الدخان. كان الجو ثقيلًا، كأن الحزن والمظلومية يملآن الفضاء. تقدمتُ نحو الخيام، فإذا بعيني تقع على سيفٍ ملقى على الأرض. كان نصله

مضرّجًا بالدم، يلمع فوق رمال كربلاء. كان السيف متوسط الحجم، لا كبيرًا ولا صغيرًا.

قلتُ في نفسي: سأحمله. فانحنيتُ لأرفعه، لكن ما إن أمسكتُ بمقبضه حتى شعرتُ أن وزنه غير عادي؛ كأنني لا أحمل سيفًا واحدًا، بل عبئًا بثقل عشرات، بل مئات السيوف.

وضعتُ قدميّ على جانبي السيف، وأمسكتُ المقبض بكلتا يديّ، وجمعتُ كل قوتي. ارتفع قليلًا عن الأرض، لكنه سقط من يدي فورًا. حاولتُ مرةً أخرى، وكان العرق يتصبب من جبيني ووجهي، فلم أستطع. وفي المحاولة الثالثة بذلتُ كل جهدي، لكنني هذه المرة أُرهقتُ إلى حدٍّ لم أعد أستطيع معه حتى تحريكه.

وفي تلك اللحظة سمعتُ صوتًا يقول لي:

"هذا السيف ثقيلٌ جدًّا، ولا يرفعه إلا رجالُ الله".

فاستيقظتُ من نومي".

حين قصَّ عليَّ هذه الرؤيا، استقرَّ في داخلي حزنٌ غريب. قلتُ في نفسي:

هذا درويشٌ صادق، طاهر، كثير الذكر، فلماذا لم يستطع رفع السيف؟

ولماذا قيل له في المنام إن هذا الحمل لا يطيقه إلا رجال الله؟

مرت سنوات. تزوّج ذلك الدرويش، وانشغل تدريجيًا بمشكلات الحياة. أثقلت عليه الضغوط الاقتصادية، والتوترات الأسرية، والمصاعب النفسية واحدةً تلو الأخرى. قلَّ حضوره في التكية، وضعف ذكره، ووقع بينه وبين الطريقة بُعدٌ غير مرئي. حتى إنه في النهاية قصَّ الشعر الذي كان قد أطاله اقتداءً بسنة رسول الله ﷺ، وترك الطريقة. ثم بعد أشهر أدرك خطأه فعاد، ولكن — مع الأسف — لم يعد ذلك الدرويش الأول كما كان.

عندها انكشف لي معنى تلك الرؤيا.

تأمل ختامي

لم يكن ذلك السيف سيفَ حديدٍ وفولاذ؛

كان سيفَ المسؤولية،

وسيفَ الوفاء حتى نهاية الطريق،

وسيفَ الثبات في وجه الدنيا،
وسيفَ حفظ العهد مع الله في أشد ظروف الحياة.
لم يكن حملُ ذلك السيف بقوة الساعد،
بل بقوة القلب،
وبثبات الروح،
وبالقدرة على البقاء في الطريق، حتى حين تنقلب الظروف على الإنسان. أما الصوت الذي قال:
"لا يرفعه إلا رجال الله"
فلم يكن تحقيرًا ولا إقصاءً،
بل كان إخبارًا عن حقيقة عميقة:
إن طريق الله لا يبدأ بالحماس وحده،
بل يُستمرّ بالصبر،
ويُكتمل بالوفاء.
كم من أناسٍ يدخلون بصدقٍ وصفاء،
لكنهم لا يطيقون وزن هذا السيف إلى النهاية.
وقليلٌ هم أولئك الذين يحملون الأمانة حتى آخر الطريق،
ولا يضعونها أرضًا.

الرواية 106 - كراتٌ من نار وإنذارٌ قبل الزلّة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

ذلك الدرويش الذي ذكرتُه في الرواية السابقة، خَطَبَ بعد سنوات امرأةً وكانا يستعدّان للزواج. وفي تلك الأيام كانت عائلة أُخته مسافرة، وقد سلّموه مفتاح المنزل ليعتني به.

في إحدى الليالي رأيتُ ذلك الدرويش يأتي إلى التكية برفقة خطيبته. كان لون وجهيهما شاحباً، وملامحهما بيضاء، وأجسادهما ترتجف من الخوف. لم تكن حالتهما طبيعية. وما إن جلسا حتى قال الدرويش بصوتٍ مرتجف:

"ذهبنا معًا إلى بيت أختي. كنّا جالسين نتحدّث، وفجأة حدث أمرٌ عجيب. من أحد جوانب الجدار بدأت تدخل كراتٌ من نار، كل واحدة منها بحجمٍ يقارب ضعف كرة السلة، وكانت تتحرك بسرعةٍ هائلة، تدخل من جانب وتخرج من الجانب الآخر، واحدةً تلو الأخرى.

لكن الأشد رعباً من منظر الكرات نفسها كان صوت ألسنة النار، صوتًا مهيبًا مخيفًا، كأن النار حيّة وتصرخ وهي تتحرّك".

توقّف قليلًا، وأخذ نفسًا عميقًا، ثم تابع:

"خِفنا إلى درجة أننا لم نعد نجرؤ حتى على التفكير. خرجنا من البيت مسرعين، ومن دون توقف جئنا مباشرةً إلى التكية".

كان في عينيهما خوفٌ عميق، ممزوجٌ بيقظةٍ واضحة؛ خوفٌ لم يكن ناتجًا عن رؤية مشهدٍ غريبٍ فحسب، بل عن إدراك معنىً خفيٍّ وراء ما جرى.

تأمل ختامي

هذه الحادثة تذكّرنا بأن الإنسان يُنذَر أحيانًا قبل أن يقع في الزلل. لا بكلمة، ولا بموعظةٍ،
بل بصورةٍ تهزّ الروح.

لم تكن تلك الكرات النارية مجرد ظاهرةٍ مخيفة؛
بل كانت رمزًا لنارٍ قد تشتعل في حياة الإنسان إذا لم يعرف حدوده، نارِ الزلّة والغفلة وتجاوز الحدود الإلهية.

أحيانًا يُخيف الله عبده قبل السقوط، لينقذه.

وقبل أن تشتعل نار الذنب، يُريه صورة النار ليستيقظ قلبه.

ذلك من الرحمة لا من الغضب؛
رحمةٌ تريد للإنسان أن يرى طريق الرجوع قبل أن يحترق.

الرواية 107 – حين يرتجف قلبُ الأستاذ

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في الطريقة، احترام الأستاذ ليس مجرد أدبٍ ظاهري، بل هو أمرٌ مرتبطٌ بنظام العوالم الخفية. لقد اقتربتُ من أستاذين للطريقة، ولمستُ من كليهما حقيقةً واحدةً بصورةٍ عينية:

إغضاب أستاذ الطريقة ليس إغضاب إنسانٍ فحسب؛ بل هو مساسٌ بتوازنٍ قائمٍ بين الظاهر والباطن.

أول ما أدركتُه خلال هذه السنوات أن الأستاذ قد يعفو عن خطئك، ويسامحك، بل ولا يُظهر في الظاهر أدنى علامة انزعاج؛ غير أن حوله قوى ومأمورين من عالم الغيب لا يفهمون هذا العفو على أنه إلغاءٌ للحق. فهم يُجرون العدالة الإلهية، لا العاطفة البشرية. وإذا وقع سوء أدبٍ أو جسارةٌ تجاه الأستاذ، فإن تلك القوى لا تهدأ، وتجري الجزاء بصورةٍ خفية، وأحيانًا مهيبة.

أما الأمر الثاني فهو أعمق وأثقل:

إذا ارتجف قلب أستاذ الطريقة، اضطرب النظام.

لا في حياة السالك فحسب، بل في محيطه، وفي الأشياء، بل وحتى في التيارات الخفية من حوله.

ذات يومٍ أعددتُ أمرًا لأرسله إلى حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق). كنتُ أعلم أن قراءة هذه الرسالة ستؤذيه. لكنني في الوقت نفسه كنتُ على يقينٍ أن عدم

إرسالها سيجعلني – ظاهراً وباطنًا – موضع مساءلةٍ لكتماني حقيقةً ينبغي بيانها.

لم أجد في تلك اللحظة إلا أن أستمد العون منه هو نفسه، ثم ضغطتُ زر الإرسال في تطبيق الواتساب متوكّلًا.

كنتُ أعلم أنه سيرى الرسالة في اللحظة نفسها.

لم تمضِ ثوانٍ حتى هبّت في قلبي عاصفة. حالةٌ ثقيلةٌ حارقة، كأن روحه انتقلت إلى روحي. وبينما كنتُ في تلك الحال، اشتغل فجأةً مضخّة الماء الكهربائية الموضوعة على خزان الماء المصفّى، وبدأ الماء ينسكب على السجادة.

ضغطتُ زر الإيقاف؛ فلم تتوقف.

أخرجتُ الجهاز من داخل الخزان؛ وظل يعمل.

فألقيته بدهشةٍ إلى زاويةٍ من الغرفة.

وفي اللحظة نفسها حذفتُ الرسالة.

وفجأةً عاد كل شيءٍ إلى السكون.

توقفت المضخة.

وعاد جوّ البيت إلى طبيعته.

واطمأن قلبي.

كنتُ على يقينٍ أن حضرة الشيخ قد قرأ الرسالة، وأنه أدرك حالتي الداخلية حين حذفتُها. وكأن ما حدث لم يكن عقوبة، بل إنذارًا وإيقاظًا.

ذكّرني ذلك بروايةٍ عن المرحوم مام حسين، أحد الخلفاء القدماء لحضرة الشيخ عبد الكريم الكسنزان (ق)، وكان صاحب كراماتٍ شهدتُ بنفسي بعض آثارها. وكان مبتلىً بالعمى، وكان أحد الدراويش مكلّفًا بخدمته.

كان ذلك الدرويش يقول:

في زمن حضرة الشيخ محمد المحمد (ق)، حين كان شيخ الطريقة، وكان حضرة الشيخ شمس الدين (ق) لا يزال شابًا، استأذنا لزيارة مام حسين. وبينما كنتُ أقوده نحو مجلس الشيخ، سمعنا حضرة الشيخ يتحدث بصوتٍ مرتفع مع أحدهم.

فجأةً تغيّر لون مام حسين.

أمسك بيدي وقال:

"أعدني. حدّد لنا موعدًا آخر. هذه الأسرة إذا غضبت، فهي خطيرة".

لم يكن خوفًا على النفس،
بل رهبةً من حالٍ باطني قد يُحدث اضطرابًا في نظام العالم.

تأمل ختامي

هذه الرواية ليست موعظةً أخلاقيةً بسيطة، بل بيانُ حقيقةٍ ميتافيزيقية.
أستاذ الطريقة ليس معلمًا في الأرض فحسب؛ بل هو نقطة اتصالٍ بين عالم الظاهر والباطن.
إذا كان قلبه مطمئنًا، بقي ما حوله في توازن.
وإذا حزن، فإن حزنه لا يبقى في صدره وحده، بل يسري في شبكةٍ خفيةٍ من الوجود.
عدم إغضاب الأستاذ ليس أدبًا عرفانيًا فقط،
بل حفظٌ لتوازنٍ وُكِّلتَ به.
ولعل كثيرًا من البلايا التي يظنها الناس بلا سبب،
ليست إلا انعكاسًا لاستهاناتٍ لم يتصوروا يومًا
أن لها هذا الوزن في ميزان الغيب.

الرواية 108 - أسرار الذكر الدائم

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنتُ أشارك مدةً طويلة بصورة متواصلة في مجالس الذكر والمديح، وكان يخطر في بالي دائمًا سؤالٌ حول معنى الذكر الذي يُقال فيه "دائم-دائم"، ولماذا يصل الدراويش في هذا الذكر إلى أحوالٍ خاصة؟

مكثتُ مدةً معتكفًا في التكية، وكنتُ في صيامٍ متواصلٍ لمدة أربعين يومًا. وفي الليلة الخامسة والثلاثين، نحو الساعة الثالثة فجرًا، وفي حالةٍ بين النوم واليقظة، رأيتُ نفسي في حال ذكرٍ واتصالٍ قلبي بحضرة الشيخ. وفجأةً سمعتُ صوتًا يصدر من جهة الراية الموضوعة في زاوية التكية يناديني ويقول:

"تعال".

استقرَّ في قلبي خوفٌ لطيفٌ ممزوجٌ بالهيبة، غير أنني تقدمتُ امتثالًا لذلك النداء.

ثم قيل لي:

"إذا سمعتَ صوت الطبل والدف، فابدأ بذكر (دائم-دائم) وأخبرني بأحوالك".

لم تمضِ لحظات حتى شعرتُ بيدٍ تمسك بيدي وتديرني كما تُدار الريشة في الهواء؛ دورانًا سريعًا كحركة شفرات المروحة، حتى لم يعد يُرى شيء. وبصعوبةٍ بالغة استطعتُ أن أقول:

"هناك من يمسك بيدي".

فجاءني الجواب:

"هذه يدُ رسولِ الله ﷺ".

وحين انتهى ذكر "دائم-دائم" سألتُ:

ما فائدة هذا الذكر؟

فقيل لي:

"لهذا الذكر ثلاث فوائد عظيمة:

الأولى: أن أولياء الله به ينتقلون في سيرهم الروحي من مقامٍ إلى مقام، ومن مدينةٍ إلى مدينة؛ انتقالًا في طريق الدعوة والهداية والسلوك الإلهي.

الثانية: أن هذا الذكر سببٌ لمغفرة ذنوب المريد، لأنه يجمع بين الذكر الدائم لله تعالى والمجاهدة الحقيقية للنفس، من خلال الحركة، والتعب، والتواضع، وكسر الأنا.

والثالثة – وهي أعظمها:–

أن رسول الله ﷺ يحضرون في أثناء إقامة هذا الذكر في مركز دائرة الذكر، ويمدّون يدهم الشريفة، فيلمسون من يشاؤون. فمن نال هذا اللمس، غُفر له بإذن الله تعالى، وطَهُر، وصار كيوم ولدته أمه بلا ذنب، وإن شاء الله لن تمسّه نار الآخرة".

بعد انقضاء تلك الحالة الروحية، عدتُ إلى وعيي، وقلبي مملوءٌ بالهيبة والسكينة واليقين. وما أرويه إنما أذكره أمانةً وشهادةً على حقيقة ما عشته، لا ادّعاءً، بل أداءً لحق الأمانة.

الرواية 109 – دورانُ الدرويش أثناء الذكر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

قد يبدو لمن يقرأ الرواية السابقة أن مسألة دوران الدرويش في حلقة الذكر شيءٌ فيه مبالغة أو بعيدٌ عن التصديق. ولذلك أجد لزامًا عليّ أن أروي تجربةً كنتُ شاهدًا عليها بنفسي، بلا واسطة.

كان أحد الدراويش قد تزوّج امرأةً تحمل نظرةً سلبيةً جدًّا تجاه الطريقة. وكانت تقول لزوجها دائمًا إن هذه الأمور ليست حقيقية، وليست إلا خيالًا ووهمًا. وقد أدّى هذا الاختلاف الفكري إلى نزاعاتٍ متكررة بينهما، حتى كادا يصلان إلى الطلاق.

عرض عليّ ذلك الدرويش الأمر، فقلتُ له:

"أحضِر زوجتك إلى التكية، ودعنا نتحدث معها بعد انتهاء الذكر".

في تلك الليلة، وعند إقامة مجلس الذكر، ذهبت تلك السيدة إلى القسم المخصص للنساء، وبدأ الذكر. وفي أثناء

المجلس، سُمِع فجأة صراخٌ طويلٌ غير مألوف من جهة النساء. فجاء الدرويش مسرعًا إليّ وقال:

"هذا صوت زوجتي".

ظننا في البداية أنه أمرٌ عابر، فلم نلتفت كثيرًا، لكن الصوت كان شديدًا ومتواصلًا وغير عادي، حتى اضطر الدراويش إلى إيقاف الطبل والدف. وما إن توقّف الذكر حتى انقطع الصوت فجأة.

توجّهتُ أنا وذلك الدرويش فورًا إلى قسم النساء. فقالت خليفة قسم النساء:

"أثناء الذكر – لا أذكر هل كان ذكر (دائم) أم ذكرًا آخر – بدأت هذه السيدة فجأة تدور، وصرخت بشدة".

وبعد أن هدأت، قالت السيدة نفسها:

"كنتُ في حال الذكر، وفجأة شعرتُ بأن أحدًا أمسك بيديّ وأدارني كما تُدار شفرات المروحة".

وكان كلامها مطابقًا تمامًا لما ورد في الرواية السابقة، من غير أن تكون قد سمعت بها أو علمت بشيءٍ عنها.

وهكذا، فإن ما قد يبدو للوهلة الأولى مبالغةً، هو في الحقيقة تجربةٌ تقع في عالم الذكر والاتصال الروحي، وتتكرر لدى أشخاصٍ مختلفين وفي ظروفٍ متعددة، بصورةٍ مستقلةٍ وغير مقصودة.

وعلى أي حال، كانت هذه الحادثة سببًا في أن تقبل تلك السيدة الطريقة، وأن يتغيّر موقفها من زوجها تغييرًا كاملًا.

الرواية 110 – الدوران في السماء

رواية لإحدى سالكات الطريقة

كان لي ابنتان وابنان قد انضمّوا إلى الطريقة. وبعد مدة، أصبح بيتنا مكانًا لإقامة الذكر، وصار يُعقد فيه مجلس ذكرٍ جماعي كل يوم اثنين.

كان تغيّر سلوك أبنائي واضحًا، فبدل الذهاب إلى السهرات، واللعب، والانشغال بالهاتف والكمبيوتر، صاروا يقضون أكثر أوقاتهم في الذكر والعبادة. ومع ذلك، كان في داخلي أحيانًا تردّدٌ خفي. كنتُ أقول لنفسي: لعل بعض

الحركات التي يقومون بها في حلقة الذكر، كتحريك الرأس والحالات الظاهرة، فيها شيءٌ من التصنّع.

ولذلك كنتُ في الغالب أُبقي عينيّ مفتوحتين أثناء الذكر، وأنظر إلى الآخرين بنظرةٍ يختلط فيها شيءٌ من السخرية والمسافة؛ لا عن عداوة، بل عن عدم أُلفةٍ بذلك الحال.

في إحدى الليالي، أثناء ذكر "دائم" — ذلك الذكر الذي يردّده الجميع بصورةٍ متواصلة "دائم دائم" ويحركون رؤوسهم فيه يمينًا ويسارًا — قلتُ في نفسي:

"دعيني هذه المرة أُغمض عينيّ مثلهم، وأرى ماذا سيحدث".

وما إن أغمضتُ عينيّ حتى شعرتُ في اللحظة نفسها بأن شخصين جاءا وأمسكا بيديّ. أحسستُ أنهما رفعاني عن الأرض وصعدا بي نحو السماء. ثم أخذا يُديرانني في الهواء كأنني لعبةُ دوّارة تدور في فضاءٍ لا نهاية له.

فتحتُ عينيّ مذعورة. رأيتُ البيت تحت قدميّ، وشعرتُ أنني ابتعدتُ عنه. استولى عليّ الخوف، وصرختُ:

"اتركاني! اتركاني"!

وأخذتُ أصرخ بلا إرادةٍ مني.

لا أعلم كيف ولا في أي لحظة انتهت تلك الحالة. كل ما أذكره أنني فجأةً وجدتُ نفسي أمام باب غرفة نوم ابني، على بُعد مترٍ ونصف تقريبًا من حلقة الذكر، وكان هناك درجةٌ صغيرة. سقطتُ على تلك الدرجة كأنني أُطلقتُ من ارتفاعٍ حقيقي.

كان جسدي يرتجف، وقلبي يخفق بقوة؛ لكن في أعماقي كان شيءٌ قد انكسر: جدار الشكّ ونظرتي الساخرة إلى الذكر.

تأمل ختامي

الإنسان ما دام يقف موقف المتفرّج، لا يدرك الحقيقة.

يرى الذكر، لكنه لا يذوقه.

يرى الحركة، لكنه لا يلمس معناها.

كانت هذه السيدة تنظر بعينين مفتوحتين، لكنها كانت تحكم بقلبٍ مغلق.

وما إن أغمضت عينيها حتى فُتح لها بابٌ آخر، بابٌ لا يقود إلى الخيال، بل إلى التجربة.

لقد تعلّمت أن الذكر ليس لعبًا بالجسد،
ولا حركةً استعراضية،
ولا تقليدًا أعمى؛
بل هو – إذا خرج من القلب – يرفع الإنسان عن الأرض، وإن كان جسده لا يزال عليها.
وأحيانًا يمنح الله الإنسان تجربةً مفاجئة ليكسر كبرياءه الخفي،
وليُفهمه أن بين "مشاهدة الطريق" و"السير فيه" مسافةً كالمسافة بين الأرض والسماء.
وفي تلك الليلة أدركت:
أن الذكر لا يُحكم عليه من الخارج،
بل يُذاق من الداخل فقط.

الرواية 111 – ظهور النور

رواية بقلم مؤلف الكتّاب

أروي حادثةً أخرى لا ترتبط زمنيًا ولا موضوعيًا بالرواية السابقة، لكنها من حيث المعنى والحقيقة الروحية تسير في المسار نفسه.

قبل سنوات، جاءني أحد عمّال المصنع — وكان يعمل في قسم النجارة وقد أخذ الطريقة — وقال لي بحزن:

"زوجتي على تواصلٍ مع بعض من يزعمون أنهم علماء روحانيون. وهم يرون الطريقة باطلة، وبسبب كلامهم أصبحت تعارضني بشدة. حتى إنها قطعت مسبحتي، وتقول لي: لن أسمح لك أن تذهب إلى التكية".

قلتُ له: "أحضِر زوجتك إلى التكية لأتحدث معها".

قال: "لن تأتي".

فقلتُ له: "قل لها إنك إن لم تأتِ، فسيكون الأمر سيئًا بالنسبة لي، لأن خليفة التكية هو رئيسي".

وبعد أيام، في يوم الذكر، رأيتُ الرجل قد جاء مع زوجته إلى التكية. ذهبت المرأة إلى قسم النساء، وبدأ مجلس الذكر.

وفي أثناء الذكر، ارتفع فجأة صوتُ صراخٍ وبكاءٍ متواصلٍ من جهة النساء، صوتٌ شديدٌ وغير مألوف حتى انتبه إليه الجميع. واستمر هذا الصوت إلى نهاية الذكر.

بعد انتهاء المجلس، نادى الرجل زوجته ليحضرها إليّ، لكنها قالت:

"لا حاجة للكلام بعد الآن. لقد أخذتُ الطريقة".

لم أسألها عن السبب.

وبعد انصراف الضيوف، سألتُ زوجتي — وكانت خليفة قسم النساء:—

"ما سبب هذا الصراخ؟"

فقالت:

"دخلت زوجة ذلك العامل المجلس بحالةٍ من التكبر والسخرية. وعندما وقف الجميع للذكر، جلست هي خارج حلقة الذكر، على أريكةٍ صغيرة أمام درج الطابق الثاني، وكانت تنظر إلى الدراويش بنظرةٍ مليئةٍ بالاستهزاء.

وفجأةً ألقت بنفسها على الأرض، وبدأت تصرخ وتبكي بشدة".

وبعد انتهاء الذكر، قالت المرأة:

"لم أكن أؤمن بالطريقة، ولا بشيخكم، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان.

لكنني فجأةً رأيتُه ينزل من الدرج، بلباسه الكردي نفسه الذي في الصورة المعلّقة داخل التكية.

وعندما رأيتُ نورانيته، وعظمته، وطهارته الإلهية، شعرتُ أنني أمامه كقمامةٍ ملوثةٍ مليئةٍ بالذنوب. لم يبقَ لي طريقٌ إلا أن أرتمي عند قدميه وأبكي بكلّ ما فيّ".

وفي تلك اللحظة نفسها، تحوّل قلبٌ كان ممتلئًا بالإنكار والسخرية إلى قلبٍ ممتلئٍ بالتسليم واليقين.

تأمل ختامي

النور لا يحتاج إلى برهان. إذا ظهر، كان هو برهان نفسه.
كثيرٌ من الناس يُنكرون بألسنتهم،
لكن الروح تعرف الحقيقة، ولو قاومها العقل.

أمام النور الحقيقي يسقط الكبرياء،
ويصمت الادعاء، ويرى الإنسان نفسه كما هي:
محتاجًا، فقيرًا، مفتقراً إلى الرحمة.
هذه الظهورات ليست للإهانة، بل للإيقاظ.
ليست لكسر الإنسان،
بل لكسر "الأنا الكاذبة" في داخله.
وطوبى لمن يخفض رأسه بإرادته أمام الحقيقة،
قبل أن يُسقطه النور أرضًا.

الرواية 112 – مقاومة قبول الطريقة

رواية لإحدى سالكات الطريقة

كان جميع أفراد أسرتي قد أخذوا الطريقة، أما أنا فكنتُ أقاوم قبولها. وفي النهاية، وبإلحاحٍ من أخي، قبلتُ الطريقة. كنتُ في الظاهر أعلم أن الطريقة طريق الله، وأن ذكرها مقبولٌ عنده تعالى، لكن في داخلي بقي شيءٌ من التردّد. كنتُ أقول لنفسي:

"ماذا لو لم يكن هذا الشيخ على حق؟ ماذا لو كان في هذا العمل – لا سمح الله – شبهةُ شركٍ؟"

كانت هذه الأفكار تشغل ذهني وتحرمُني السكينة.

وفي يومٍ كنتُ فيه غارقةً في هذه الشكوك، سمعتُ فجأةً صوت فتح باب المنزل. نظرتُ من خلف جدار المطبخ، فرأيتُ حضرة الشيخ محمد المحمد يدخل البيت ويتجه نحوي. خفق قلبي بشدة.

نظر إليّ بعينين مملوءتين رحمةً، وبصوتٍ يفيض مودةً قال:

"يا ابنتي، إن في صدري نورَ حضرة محمد ﷺ، فتعالي لأعطيكِ هذا النور".

وفي اللحظة التي قال فيها ذلك، أشار إلى صدره المبارك، فانبعث منه نورٌ عظيمٌ أبيض اللون، وملأ أرجاء البيت كله. لم يكن نورًا يشبه الأنوار العادية، ولا يمكن وصفه بلغةٍ مألوفة؛ بل كان نورًا يحمل في طيّاته سكينةً وهيبةً وطمأنينةً عميقةً تستقرّ في القلب.

الرواية 113 - تاجٌ وُضع قبل أوانه

رواية بقلم مؤلف الكتاب

لحضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق) ولدٌ ذَكَر يُدعى الشيخ تيجان، والذي إن شاء الله سيتولى مقام مشيخة الطريقة بعده.

وكلمة "تيجان" في اللغة العربية هي جمع "تاج". والتاج في الأدب العرفاني ليس مجرد رمزٍ لسلطانٍ ظاهري، بل هو إشارةٌ إلى الكرامة، والعزة الإلهية، والمقام الروحي، والنور الذي يُوضَع على رؤوس عباد الله المقرّبين. ومن هنا فإن اسم "تيجان" يحمل في ذاته معنى عميقًا يرتبط بتِيَجان الكرامات والمقامات النورانية.

كان حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) يُولي الشيخ تيجان عنايةً ومحبةً خاصتين. وفي وقتٍ كان لا يزال فيه طفلًا صغيرًا، أجلسه حضرة الشيخ على كرسيه الخاص، ووضع على رأسه تاجًا، وألبسه عباءةً على كتفيه، وأعطاه عصًا ذات رأسٍ كروي، ونُشرت صورةٌ لتلك الحالة. وقد

أثار هذا الفعل دهشة كثيرين؛ إذ حتى أبناء حضرة الشيخ المقربين لم يكونوا يجرؤون – في غيابه – على الجلوس على ذلك الكرسي. وكان في هذا التصرف رسالةٌ عميقةٌ ورمزية تتجاوز مجرد عاطفة تجاه طفل.

غير أن حادثةً أعجب وقعت في ارتباطٍ بتلك الصورة.

فقبل نشرها بعدة أشهر، كانت إحدى دراويش تكيّتنا – وهي فتاةٌ شابة – تمر بأزمةٍ نفسيةٍ وعائليةٍ شديدة. وكانت تبكي ليلًا وتتوسل إلى شيخ الطريقة، وتطلب من الله الفرج. وفي إحدى الليالي رأت في المنام طفلًا على رأسه تاج، وعلى كتفيه عباءة، وفي يده عصًا ذات رأسٍ كروي. أقبل ذلك الطفل نحوها بلطفٍ وقال:

"يا أختي، لا تبكي. شيخ الطريقة يعلم بحالك، وستُحل مشكلتك".

وبعد مدة، وبفضل الله، انفرجت أزمتها وعاد الاستقرار إلى حياتها.

والأمر العجيب أن تلك الفتاة حين قصّت رؤياها على زوجتي – وكانت خليفتها – لم يكن أحدٌ منا يعلم بوجود

صورةٍ لطفلٍ يحمل تاجًا وعصًا، ولا عن أمرٍ كهذا أصلًا.
وبعد أشهر فقط نُشرت الصورة الرسمية للشيخ تيجان بالتاج نفسه والعصا الكروية نفسها، مطابقًا تمامًا لما رأته تلك الفتاة في منامها.

وكان هذا التطابق العجيب ذا دلالةٍ عميقةٍ عندنا، إذ بيّن أن مقام مشايخ الطريقة ليس أمرًا عارضًا أو نتيجة إعدادٍ ظاهريٍ دنيوي، بل هو تقديرٌ إلهيٌّ مكتوب في مصيرهم منذ الطفولة.

تأمل ختامي

أحيانًا يُظهر الله الحقيقة في القلوب الطاهرة قبل أن يراها الناس بأعينهم. وقبل أن تثبت المقامات في الظاهر، تكون قد كُتبت في عالم المعنى.

وقبل أن يُوضَع التاج على الرأس، تكون روحه قد اختيرت في عالم الغيب.

هذه الرواية تذكّر بأن الطريقة امتدادُ تصميمٍ إلهي؛
تصميمٍ لا يتشكل بمقاييس البشر، بل بمشيئة الله وحكمته.

الرواية 114 – عودة الإيمان على يد طفلٍ صغير

رواية لأحد سالكي الطريقة

بعد نحو سنةٍ من أخذنا الطريقة، أنا وزوجتي، تأثرنا بحملات التشويه والافتراء والدعاية السلبية التي كان يثيرها بعض المتشددين والمتعصبين؛ أولئك الذين يقدّمون أنفسهم في الظاهر على أنهم حماة الإسلام، لكن كلماتهم كانت تزرع في قلوبنا الشك والخوف. ومع مرور الوقت، بدأ الفتور يتسلل إلينا تجاه الطريقة. وفي إحدى الليالي كنا جالسين في البيت، وبعد حديثٍ طويل، توصّلنا إلى قرارٍ بترك الطريقة. وافقت زوجتي على ذلك، وشعرنا معًا أن الطريق الذي سلكناه ينبغي أن نضعه جانبًا.

في تلك اللحظة نفسها، كانت ابنتنا ذات العام الواحد — التي كانت قد بدأت لتوّها الوقوف على قدميها — تزحف من جوارنا متجهةً نحو غرفة الجلوس. وفجأة سمعنا صوتًا يقول: "الله... الله"...

ولكن بالنغمة نفسها التي يُردَّد بها الذكر في المجلس الجماعي، وبصوتٍ طفوليٍّ رقيق.

ذهبنا بدهشة إلى غرفة الجلوس، فإذا بنا أمام مشهدٍ عجيب. كانت ابنتنا، التي لم يمضِ وقتٌ طويل على تعلمها الوقوف، واقفةً على قدميها، وتتحرك بحالٍ يشبه السماع الدرويشي، وتردد الذكر الجماعي "الله الله". كانت حركاتها منسجمة وطبيعية، ومطابقةً تمامًا لما كنّا نراه في مجالس الذكر.

فلما رأتنا، أشارت إلينا أن نقترب. اقتربنا منها. أمسكت بأيدينا، وقادتنا لتقف بنا أمام صورةٍ صغيرةٍ لحضرة الشيخ محمد المحمد (ق) كانت في بيتنا. وفي تلك الحال، غيّرت ذكرها من "الله الله" إلى "حي الله، حي الله."

تبدّل حالنا في تلك اللحظة. انكسر في داخلنا شيء، وحلّ محلّه شيءٌ آخر: سكينةٌ ويقينٌ وطمأنينةٌ عميقة. أدركنا أن القرار الذي اتخذناه قبل دقائق لم يكن نابعًا من عمق الإيمان، بل من الخوف والتأثر بكلام الآخرين.

وكان مما زاد الأمر عجبًا أن ابنتنا كانت في كل مرةٍ تأتي معنا إلى التكية تنام طوال مجلس الذكر، ولم تكن قد بدأت

بالكلام أصلًا. فكيف تعلّمت حركات الذكر؟ وكيف استطاعت أن تنطق بأذكار الطريقة المختلفة بذلك الانسجام الطبيعي؟

ومنذ تلك الليلة، عدنا إلى أذكار الطريقة والالتزام بتعاليمها بقلبٍ مطمئنٍ وثقةٍ متجددة، وأدركنا أن الله أحيانًا يختار أبسطَ الوسائط وأطهرها ليعيد القلوب المترددة، حتى طفلًا لم ينطق بالكلام بعد.

الرواية 115 – العناية بالأسرة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

ذات يوم كنتُ أنوي السفر إلى محافظةٍ أخرى من أجل الإرشاد والدعوة إلى الطريقة. فقالت لي أمي بقلق:

"لا تذهب يا بني... لا تُنفق كل مالك على هذه الأسفار. ادّخر لمستقبلك. إن افتقرتَ فلن يكون لك مستقبل".

فقلتُ لها:

"يا أمي، أنا أذهب لهداية الناس إلى طريق الله، وهذه النفقات أنفقها في سبيل الله. أنا أُقرض هذا المال لله. ألم يقل الله في القرآن:

"من ذا الذي يقرض الله قرضًا حسنًا فيضاعفه له أضعافًا كثيرة؟"

لا تقلقي، إنه قرضٌ لله".

سكتت أمي قليلًا، ثم قالت بنبرةٍ مليئةٍ بالشفقة:

"يا بني، لا تترك والديكِ الشيخين وحدهما. إن حدث لنا شيء، ماذا ستفعل؟"

فقلتُ لها:

"يا أمي، حضرة الشيخ قال: إذا خرجتم للإرشاد، فنحن بأنفسنا نتكفّل بأُسَركم".

قلتُ ذلك، وسافرت.

بعد نحو خمسين يومًا عدتُ. وصلتُ إلى البيت في الصباح الباكر. استقبلتني أمي بوجهٍ بشوش، وقد أعدّت مائدة إفطارٍ عامرة، وجلست بقربي بمحبةٍ واضحة وتنظر إليّ بشوق. كان تصرّفها يثير دهشتي؛ لا لأنّ أمي لم تكن حنونة دائمًا، ولكن

لأن حنانها في ذلك اليوم كان مختلفًا، كأن سكينةً عميقةً استقرّت في قلبها.

سألتُها: "أما اشتقتِ إليّ يا أمي؟"

قالت: "بلى يا بني... كثيرًا. لكن دعني أخبرك بشيء".

ثم تابعت بصوتٍ هادئ:

"في الليلة التي خرجتَ فيها من البيت، كنتُ حزينةً جدًا. كنتُ وحدي، وأبوك كان عند أختك ولم يعد إلا متأخرًا. كنتُ نائمة، فإذا بي أشعر أن أحدًا في البيت. خفتُ. أزحتُ الغطاء قليلًا ونظرتُ إلى يساري، فرأيتُ ساقَي رجلٍ بلباسٍ كردي قرب رأسي. فعدتُ سريعًا تحت الغطاء من شدة الخوف.

ثم أزحتُ الغطاء مرةً أخرى ونظرتُ إلى يميني، فرأيتُ الساقين نفسيهما. فأعدتُ رأسي تحت الغطاء.

وبعد مدةٍ تشجعتُ ورفعتُ رأسي، فإذا بحضرة الشيخ محمد المحمد (ق) جالسًا على الأريكة عند رأسي، ينظر إليّ. خفتُ كثيرًا وقلتُ:

"أنا خائفة... بالله عليك اذهب".

سكتت أمي لحظة، ثم قالت:

"منذ تلك الليلة لم أره مرةً أخرى، لكن إلى الليلة الماضية كنتُ أشعر بأمانٍ عجيب، كأن أحدًا يراقب البيت ويحفظ حياتنا دائمًا".

تأمل ختامي

هذه الرواية تُعلّمنا أن الإنسان إذا تحرّك لله، تكفّل الله بكل شأنه، حتى الأمور التي نخاف أن نفقدها فنعود بسببها عن طريق الحق.

كانت أمي قلقةً على مستقبلي المالي،

قلقةً من وحدتها، قلقةً على أمن البيت،

لكن الله أظهر أن العبد إذا سار إليه، سار الله به وإليه.

نظنّ أننا إن ابتعدنا عن أهلنا صاروا بلا حماية،

لكن إذا خرجنا لله، كانوا في رعايته المباشرة.

لقد كشفت هذه الحادثة لنا المعنى الحقيقي للتوكّل:

أن ترفع قلبك عن الأسباب الظاهرة، وتسلّمه إلى مُسبّب الأسباب.

لا أن تُهمل مسؤوليتك،
بل أن تعلم أن وراء كل رعايةٍ يدًا إلهيةً تعمل.
وفي تلك الليلة، أظهر الله لأمي أن الحارس الحقيقي للبيت ليس قفل الباب، ولا وجود الابن،
بل نظرُ اللطف الإلهي،
فإذا كان حاضرًا، فلا سبيل للخطر.

الرواية 116 – قصةٌ عن النية والمصير

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كان لي عمٌّ انقطعت أخباره عني لسنواتٍ طويلة، ولم أعد ألتقيه. كنتُ أذكره في طفولتي رجلًا مواظبًا على الصلاة والعبادة، لكنني سمعتُ لاحقًا أنه ابتعد تدريجيًا عن الصلاة، بل كاد يصل إلى حد إنكار كثيرٍ من المعتقدات الدينية.
كان ذا طبعٍ خاصٍّ مضطرب؛ أحيانًا يختفي فجأةً لفتراتٍ طويلة، ويذهب إلى الجبال أو البراري، كأنه يريد أن يبتعد

عن كل شيءٍ وكل أحد. ومع ذلك، كنتُ أدعو له دائمًا في قلبي، وأتمنى أن يأتي يوم أعرّفه فيه على الطريقة.

ذات يومٍ اتصلوا بنا وأخبرونا أن عمي قد توفي، ودعونا لحضور مجلس العزاء. حضرنا المراسم، لكن بعد عودتي لم يهدأ فكري. كنتُ أتساءل باستمرار: ما مصيره، وهو الذي كانت له سابقةُ إيمانٍ وعبادة، ثم عاش في سنواته الأخيرة بتلك الحالة المضطربة؟

في الليلة السابعة من وفاته رأيته في المنام. وجدتُ نفسي في بيتٍ فخمٍ جدًّا من طابقين، يلمع من شدة النظافة، ومملوء بالأثاث والأشياء الثمينة. وكان فيه عددٌ كبير من الخدم.

سألتُه متعجباً:

"يا عم، ماذا تفعل هنا؟ هل أنت خادمٌ في هذا البيت؟"

ابتسم وقال:

"لا، هذا بيتي، وكل هؤلاء خَدَمي".

ثم سكت لحظة، وسألني:

"هل تعرف شخصًا اسمه شمس الدين؟"

قلتُ:

"نعم، هو أستاذي. لماذا؟"

قال:

"كل هذا الذي أراه هنا إنما هو ببركة شمس الدين".

وفي ختام الحديث، نظر إليّ نظرةً عميقة، وقال بنبرةٍ هادئةٍ لكنها حاسمة:

"تذكّر، كل ما تفعله، فليكن بنيّة قربةً إلى الله، كلَّ عمل".

الرواية 117 – عطر الحضور

رواية لأحد سالكي الطريقة (رجل)

منذ أن قبلتُ الطريقة، كنتُ أحرص دائمًا على الاستماع إلى خطب حضرة الشيخ محمد المحمد قدس الله سره. وكانت هناك عبارةٌ منه استقرّت عميقًا في نفسي ولم أنسها قط. كان يقول:

"كلُّ من سمع أوامر الطريقة وعمل بها، أَعِدُه أن أضع يده في يد رسول الله ﷺ، وإن لم أَفِ بهذا الوعد، فذنوبه في عنقي".

كانت هذه الكلمات تملؤني دهشةً وطمأنينةً في آنٍ واحد. عظمة هذا الوعد كانت تُحرّك قلبي، وفي الوقت نفسه تبعث في داخلي رجاءً عظيمًا. ومنذ ذلك الحين، بذلتُ جهدي ما استطعتُ للالتزام بتعاليم الطريقة وتطبيقها في حياتي.

في ليلةٍ وافقت مولد النبي الأكرم ﷺ، أرسل أحد الإخوة من أهل الطريق رسالة تهنئة تضمّنت قصيدةً في مدح رسول الله. وحين قرأتُ الأبيات قلتُ في نفسي:

"طوبى لمن نال شرف زيارة النبي ﷺ".

وما إن خطر هذا الخاطر في ذهني حتى غلبني النوم.

رأيتُ في المنام أنني أسير في زقاقٍ ضيّق، وفي نهايته بيت. فلما بلغتُ آخر الزقاق ودخلتُ ذلك المكان، رأيتُ رسول الله ﷺ. كان يرتدي دشداشةً خضراء بالكامل، ووجهه مفعمًا بالنور والمحبّة والسكينة. كانت نظراته مشبعةً بالعطف والرحمة، ويبتسم لي ابتسامةً رقيقة. وكان حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) واقفًا عن يمينه.

لما دنوتُ منه، مدّ النبي الأكرم يده اليمنى المباركة نحوي وقال: "تعالَ يا بُنيّ، تشرّف بالزيارة".

أردتُ أن أقبّل يده الشريفة، فإذا بعطرٍ عجيب يفوح، عطرٌ لا يزال أثره في ذاكرتي. كان شبيهًا برائحة الزهور الطازجة، فيه شيءٌ من الحدّة اللطيفة، لكنه بالغ الرقة والجمال.

ثم مدّ النبي ﷺ يده اليسرى وقال:

"يا بُنيّ، قبّل هذه أيضًا".

"وفي تلك اللحظة انتبهتُ إلى أن خليفتي كان يقف خلفي مبتسمًا. فأشار حضرةُ الشيخ قدس الله سره إلى الخليفة أن يمسك بيدي، فقبض على يدي، وأمسك حضرةُ الشيخ بيد النبي ﷺ، وقال":

"تعالَ، هذه يدك، وهذه يد النبي".

وفي تلك اللحظة وُضعت يدي في يد رسول الله ﷺ.

فحضرت في ذهني كلمات الشيخ التي سمعتها قبل سنوات، ذلك الوعد الذي بقي في قلبي حيًّا.

واستيقظتُ من نومي، وقلبي مملوءٌ دهشةً وسكينةً وإحساسًا عميقًا بالحضور والمعنى.

الرواية 118 – نظرةُ شيخ الطريقة

رواية لأحد سالكي الطريقة

ذهب ثلاثةٌ من علماء الدين في العراق، الذين يُسمَّون في اللغة الكردية "ماموستا"، لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد (ق). وقبل هذه الزيارة، تحدّثوا مع أحد خلفاء الطريقة القدامى، وسألوه عن البرامج وأساليب السلوك في الطريقة.

وكان ذلك الخليفة لا يجيد القراءة والكتابة، فقال ببساطةٍ وصدق:

"لدينا في الطريقة أذكارٌ وعبادات، ولكن الذي يُحدث التقدّم الحقيقي لنا هو نظرةُ شيخ الطريقة".

ثقل هذا الكلام على العلماء الثلاثة، فقالوا باستغرابٍ، بل بشيءٍ من الاعتراض:

"وما معنى نظرة شيخ الطريقة؟ نحن لا نعرف في الشريعة شيئًا من هذا. كلُّ إنسانٍ يتقدّم بقدر عمله وعبادته".

ومهما شرح لهم الخليفة معنى "النظرة" وأثرها في السلوك الروحي، لم يقتنعوا، ورأوا في هذا المفهوم أمرًا خارج إطار فهمهم للشريعة.

بعد مدة، أُذن لهم بالدخول، فدخلوا على حضرة الشيخ. ولم يكونوا قد بدأوا الكلام بعد، حتى التفت إليهم الشيخ وقال:

"عندي سؤالٌ لكم".

تفاجأ الماموستا، وقالوا بأدب:

"تفضّلوا، قربان". قال:

"لا تقلقوا، ليس سؤالًا فقهيًّا ولا معقّدًا، بل سؤالٌ بسيط. السلحفاة لا تلد، بل تضع بيضًا، أليس كذلك؟"

قالوا: "بلى، صحيح".

قال:

"وللسلحفاة درعٌ صلبٌ عظمي، وبطنها أيضًا صلبٌ كظهرها. ولو جلست فوق بيضها لانكسر. فكيف تحافظ على بيضها حتى يبقى سليمًا ويُثمر؟"

أجاب أحدهم:

"يقال يا سيدي إن السلحفاة تحفر حفرةً في الرمل، وتضع بيضها فيها، ثم تجلس على مقربةٍ منه وتنظر إليه حتى يبقى محفوظًا وينمو".

تبسّم حضرة الشيخ وقال:

"يا ماموستا، إذا كانت سلحفاةٌ صامتةٌ تستطيع أن تنظر إلى بيضها حتى يُثمر، فكيف لا يستطيع شيخ الطريقة أن ينظر إلى درويشه حتى يحيا قلبه ويُثمر طريقه؟"

عندها سكت الماموستا، وقد كانوا هم من نطق بكلمة "ينظر"، فبدا عليهم التأمل في المعنى الذي كانوا ينكرونه قبل قليل.

تأمل ختامي

هذه الرواية لا تسعى إلى إثبات مفهوم "النظرة" كأصلٍ اعتقاديٍّ ملزم، بل تطرحه بوصفه تمثيلًا تربويًّا ومعنويًّا. ففي هذا الفهم، "نظرة الشيخ" ليست دعوى خارقة، بل تعبير عن دور التوجيه، والرعاية، والدعم الروحي، وبعث الطمأنينة في مسار السلوك.

القصة بلغةٍ بسيطة توضّح أن كما في الطبيعة يمكن لحضورٍ غير مباشرٍ ورعايةٍ معنويةٍ أن تحفظ وتنمّي، كذلك في المسار الروحي يمكن لعلاقة الثقة بين المرشد والسالك أن تكون عاملًا مؤثرًا في الثبات والنمو.

وهي دعوةٌ إلى التأمل في معنى الهداية، وأثر العلاقة بين المعلّم والمتعلّم، وأهمية السند النفسي والمعنوي في طريق الإيمان.

الرواية 119 – ذكرُ الزهرة في التكية

رواية لأحد سالكي الطريقة

في إحدى تكايا كردستان، كنتُ جالسًا إلى جانب درويشٍ جليل القدر. كان قلبي مضطربًا، وكنتُ بحاجةٍ إلى دعاءٍ ومددٍ روحي. طلبتُ منه أن يدعو لي. فأمسك بيدي اليمنى بهدوء، وأغمض عينيه، وفي صمتٍ مفعمٍ بالحضور، استمدّ العون من أستاذ الطريقة.

لم تمضِ لحظات حتى شعرتُ بحالةٍ غريبةٍ تسري في كياني. امتلأ وجودي بشوقٍ عميق ودفءٍ لا يوصف؛ كأن موجةً لطيفةً انبعثت من قلبي وسرت في روحي كلّها. وانهمرت دموعي دون إرادةٍ مني. وفي الوقت نفسه، شعرتُ بخفّةٍ خاصة، كأنني أبتعد عن ثقل العالم المادي.

فجأةً أحسستُ أن الأشياء من حولي فقدت هيئتها المعتادة. بدا كل شيء وكأنه يتحرّك في تموّجٍ لطيف، كأن العالم يتأرجح بين الظهور والاختفاء. وفي تلك الحالة، وقعت عيني على زهرةٍ في إناءٍ موضوعٍ على الرفّ بقربي. فرأيتُ - بدهشةٍ عجيبة - أن الزهرة أخذت تتحرّك بحركاتٍ هادئةٍ منسجمة، متوافقةٍ مع حال الفضاء المحيط.

لكن ما هزّ قلبي لم يكن حركة الزهرة فحسب، بل إحساسي بأن كيانها يذكر الله. وسمعتُ في داخلي بوضوح:

"حيّ الله... حيّ الله... حيّ الله"...

لا بلسانٍ منطوق، بل بوجودها.

لا بصوتٍ مسموع، بل بحضورٍ شامل.

في تلك اللحظة أدركتُ أن الذكر ليس مجرد ألفاظ ينطقها الإنسان، بل حقيقةٌ ساريةٌ في الكون كلّه. كل ذرّةٍ، كل مخلوق، كل حركة في الوجود، يسبّح ربّه بطريقته الخاصة. وأنا إنما أُذِن لي للحظةٍ أن أرى ذلك.

تأمل ختامي

تعلّمنا هذه الواقعة أن الذكر لا يقتصر على اللسان ولا على الإنسان. فالكون بأسره محرابٌ عظيم، وجميع موجوداته في عبادةٍ وتسبيح.

غير أنّ الإنسان كثيرًا ما يغرق في ضجيج أفكاره وانشغالاته، فيُحجب عن سماع هذا التسبيح العام.

حركة الزهرة تشير إلى أن:

الذكر الحقيقي هو الانسجام مع الجريان الإلهي للوجود.
الذكر الحقيقي هو أن تتناغم روح الإنسان مع الكون كلّه.

ولعل دعاء ذلك الدرويش ومدده كان سببًا في أن يُرفع الحجاب لحظةً، ليرى هذا السالك أن:

الكون حيّ... وكل شيءٍ فيه مشغولٌ بذكر الله.

وهذا هو عين معنى قول الله تعالى:

"تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"

سورة الإسراء، الآية 44.

الرواية 120 - ذكرُ قطرات الماء

رواية بقلم مؤلف الكتاب

سافرتُ إلى إحدى المدن لدعوة الناس إلى الطريقة، وهناك دخل جمعٌ من المشتاقين في الطريق، ومن بينهم فتى في الرابعة عشرة من عمره. وبعد نحو أربعين يومًا، عدتُ إلى المدينة نفسها في مناسبةٍ أخرى. فجاء دراويش التكية للقائي، وأُقيم مجلسٌ بسيطٌ يسوده الودّ.

وكان بين الحاضرين طالبان من طلاب معارف الإسلامية، كان لهما موقفٌ سلبي مسبق من الطريقة، وقد

حضرا بنيّة المناظرة والاعتراض. نخيّم على المجلس شيءٌ من الثقل، وكان الجميع ينتظر أن يبدآ بالكلام.

غير أنّه قبل أن يجدا فرصةً للحديث، بدأ ذلك الفتى ذو الأربع عشرة سنة - الذي كان حديث العهد بالطريقة - يتكلّم بهدوءٍ وصدق، وقال:

"منذ أن دخلتُ الطريقة، نشأ في قلبي حبٌّ عجيبٌ لله، إحساسٌ لم أذقه من قبل. وقبل ليلتين، استيقظتُ من نومي على صوت: الله... الله... فلما فتحتُ عينيّ، رأيتُ غرفتي كأنها ممتلئةٌ بالحركة. الجدران، والأبواب، وكل ما حولي بدا كأنه حيٌّ يذكر الله".

سكت المجلس سكونًا عميقًا. ثم تابع الفتى:

"من شدة الدهشة والخوف ركضتُ إلى المطبخ، فرأيتُ حتى قطرات الماء التي كانت تتساقط من الصنبور، ومع كل قطرة كانت تقول:

اللهً... الله"...

كان في حديثه من الصدق ما لا يترك مجالًا للشك. لم يكن يبالغ، ولم يكن يسعى لإثبات شيء، بل كان يروي تجربةً غمرت كيانه كله.

وفي تلك اللحظة، التفتت الأنظار إلى الطالبين. كان الشحوب بادياً على وجهيهما، وصمتهما أبلغ من أي كلام. لم ينطقا بكلمة اعتراض، بل بدا كأنهما قد دخلا في حالة تفكّرٍ وذهول أمام هذه التجربة الحيّة.

وانتهى المجلس دون مناظرة؛ غير أن الأثر الذي تركه ذلك الفتى في القلوب كان أعمق وأبلغ من آلاف الحجج والنقاشات.

الرواية 121 – ظهورُ حبّاتِ المسبحة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

ذهبتُ مع جمعٍ من الدراويش بسيارتي الخاصة إلى إحدى المدن للدعوة إلى الطريقة. وعندما وصلنا وبدأنا بتفريغ الأغراض من صندوق السيارة، وقع بصري فجأةً على حبّتين

كبيرتين صفراوين من حبّات المسبحة، لهما نقشٌ مميّز ومختلف. كان وجودهما هناك غير متوقّعٍ تمامًا.

قال أحد المرافقين بدهشةٍ وحماس:

"هذه حبّاتُ مسبحةِ محمد، صديقي"!

نظرتُ إليه متعجّباً وقلت:

"وما الذي تفعله حبّات مسبحة محمد في صندوق سيارتي؟"

قال:

"والله لا أدري. قبل أيام كنّا نجلس في حافلة، وكنّا نضحك على أحد الركاب، فإذا بمسبحة محمد تنقطع وتسقط حبّاتها على الأرض. بحثنا في كل مكان، لكن ثلاث حبّات منها لم نجدها. والآن لا أفهم كيف وصلت هاتان الحبّتان إلى هنا".

قلتُ له:

"فتّشوا، لعل الحبّة الثالثة هنا أيضًا".

فبدأنا جميعًا نبحث بدقّة. حتى إننا أخرجنا الغطاء المطاطي لأرضية الصندوق وفتّشنا تحته. قلبنا كل زاوية، لكننا لم نجد

الحبّة الثالثة. لم يكن هناك سوى الحبّتين؛ كأنهما حضرتا لتُعطيا إشارة، لا لتُكملا القصة في تلك اللحظة.

وكانت رحلتنا، بفضل الله، مليئةً بالبركة. تاب كثيرون ودخلوا في الطريقة، وامتلأت القلوب نورًا وشوقًا. وبعد انتهاء البرامج عدنا إلى تكيّتنا. وأثناء تفريغ الأغراض من صندوق السيارة، وحين رفعتُ آخر حزمةٍ من الكتب، وقع بصري فجأةً على شيءٍ تحتها مباشرةً.

كانت الحبّة الثالثة من المسبحة هناك.

توقّفتُ لحظةً... وارتجف قلبي.

ثلاث حبّاتٍ ضاعت يومًا في مكانٍ آخر، ظهرت واحدةً بعد أخرى، وفي أوقاتٍ مختلفة، على طريق خدمة الطريقة.

الرواية 122 – سفينة النجاة

رواية لأحد سالكي الطريقة

منذ طفولتي كنتُ عاشقًا للإمام الحسين (ع)، وكنتُ أسمع مرارًا الحديث المشهور:

"إنَّ الحسينَ مصباحُ الهدى وسفينةُ النجاة".

فلما قبلتُ الطريقة، قيل لي إن هذه الطريقة هي طريقة الإمام الحسين (ع). ومنذ ذلك الحين ترسّخ هذا المعنى في قلبي. كنتُ أبكي كثيرًا في الليالي، وأقول بحرقةٍ وتضرّع:

"يا إمام حسين، بحقك عليك، اركبني سفينة نجاتك".

لم يعد هذا الدعاء مجرد كلمات، بل صار صرخةَ قلبٍ منكسرٍ يريد أن يجد الطمأنينة في كنفه.

وفي إحدى تلك الليالي، وبينما كنتُ أبكي بحرقةٍ وأستغيث به بكل كياني، عرضت لي حالةٌ روحية خاصة. رأيتُ الإمام الحسين (ع) يدخل الغرفة التي كنّا قد علّقنا فيها بيرق الطريقة على الجدار.

امتلأ المكان بنور حضوره. وقف بجلالٍ ووقارٍ ملكوتي إلى جانب البيرق، ثم ضربه بيده المباركة ثلاث مرات، وقال:

"هذه سفينةُ نجاتي، كن معها، تكن دائمًا في أمان".

ثم غاب عن بصري، لكن أثر كلماته بقي راسخًا في أعماق روحي.

تأمل ختامي

تُظهر هذه الرواية أن سفينة النجاة ليست مجرد مفهومٍ تاريخي أو تعبيرٍ روائي،

بل هي الطريق الذي يصل الإنسان بالإمام الحسين (ع).

وكل طريقٍ يقود إلى الصدق، والإخلاص، وذكر الله، والمحبة الحقيقية لأهل البيت (ع)،

فهو في حقيقته سفينة النجاة.

فالأمان الحقيقي ليس في غياب العواصف،

بل في الركوب على سفينةٍ ربانُها الحسين بن علي (ع).

الرواية 123 – انقطاعُ المسبحة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في أمسيات يوم الأربعاء كنّا نعقد مجلسًا يحضره من يرغب في التعرّف على الطريقة. وعادةً، بعد محاضرةٍ تستغرق نحو خمسٍ وأربعين دقيقة، كان من يُبدي رغبةً يأخذ الطريقة. وبفضل الله وهمّة أستاذ الطريقة، كان معظم الحاضرين – وكان عددهم يتراوح غالبًا بين ثلاثين وأربعين شخصًا – يقبلون هذا المسار، ثم يغادرون التكية بعد أن يستلموا ورقةً مدوّنًا فيها تعليمات الطريقة.

وفي أحد الأيام، وبعد أن انتهى المجلس وكان الجميع يستعدّ للمغادرة، رفع أحد الحاضرين صوته وسأل:

"يا خليفة، هل الأفضل أن نقول الذكر بالمسبحة أم بعدّادٍ إلكتروني؟"

قلتُ: "الأفضل أن تذكروا بالمسبحة، وأن توصلوا بها مشبكًا صغيرًا ليساعدكم على ضبط العدد".

قال: "ولماذا؟"

قلتُ:

"لأنه إذا انقطع خيط مسبحتكم من غير سبب، أو سقط المشبك، فاعلموا أن هناك خللًا في أعمالكم، فراجعوها وأصلحوها حتى تبقى طريقتكم محفوظة".

وفي اللحظة نفسها أدركتُ أنني لم أكن ينبغي أن أقول هذا الكلام أمام من دخلوا الطريقة حديثًا. كان هذا المعنى مفهومًا لدى الدراويش القدامى، أما عند الجدد فقد يُفهم على أنه خرافة، فيؤثّر في نظرتهم إلى الطريقة. فقلتُ في نفسي إنني أخطأتُ حين صرّحتُ به على الملأ.

ساد في المجلس صمتٌ ثقيل، وتبادل بعضهم نظرات الاستغراب. وأشار شابّان من الطلبة الجامعيين - كانا قد أخذا الطريقة لتوّهما - إلى بعضهما إشارةً كان معناها واضحًا، كأنهما يقولان في نفسيهما: "هذا كلامٌ غير معقول".

وفي تلك اللحظة وقع أمرٌ لم يكن في الحسبان.

انقطع خيط مسبحتي رجلين كانا يقفان في زاوية القاعة جنبًا إلى جنب، وكان في يد كلٍّ منهما مسبحةٌ كبيرة. وتساقطت حبّات المسبحتين على الأرض بصوتٍ واضحٍ

متتابع، فمزّق ذلك الصوت سكون المجلس ولفت أنظار الجميع.

اتّسعت العيون دهشةً،

وساد المكان صمتٌ مهيب.

لم ينطق أحد بكلمة.

لم يكن الشابّان وحدهما في حيرة، بل جميع الحاضرين وقفوا أمام هذا التزامن العجيب في ذهولٍ عميق.

وخلافًا لقلقي، لم يؤدِّ هذا الحدث إلى فتور أحد، بل أيقظ في القلوب حالةً من الانتباه واليقظة. كأن حقيقةً ما قد تجلّت دون كلام؛ حقيقةٌ لو قيلت في ألف بيان، لما كان أثرها كهذا الأثر.

الرواية 124 – انكسارُ قفلِ المسبحة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

لعدِّ الأذكار، يضع بعض الدراويش على مسبحتهم مشبكًا صغيرًا أو قفلًا صغيرًا كقفل القلادة. وكلما أتمّوا ألف ذكرٍ

حرّكوا ذلك المشبك أو القفل حبّةً إلى الأمام. وفي عرف أهل الطريقة، يُعدّ سقوط المشبك بلا سببٍ أو انقطاع المسبحة علامةً على وجود خللٍ أو نقصٍ في حال الدرويش وسلوكه.

كان هناك درويشٌ يسقط مشبك مسبحته باستمرار. وكلما جاءني وتحدّثتُ معه، تبيّن أنه في ذلك اليوم أو في الأيام القليلة السابقة قد ارتكب خطأً أو ذنبًا. وكأن المسبحة تُفصح عن حاله قبل لسانه.

وفي يومٍ آخر سقط مشبكه مرةً أخرى. تحدّثتُ معه، فاتّضح له أن العمل الذي قام به في ذلك اليوم، والمال الذي أخذه مقابله، لم يكن حلالًا، وأن عليه ألّا يكرّره. وأثناء الحديث، كان ينظر مرارًا إلى مسبحتي الكبيرة التي في يدي، وكان عليها قفلٌ كبير من نوع أقفال القلائد.

فقال فجأةً:

"يا خليفة، من أين أستطيع أن أشتري مثل هذا القفل الكبير؟ هذه لا تنفتح كالمشابك الصغيرة ولا تسقط".

قلتُ له:

"أتظنّ أن مشكلتك تُحلّ إن وضعتَ مثل هذا القفل على مسبحتك؟ المشكلة ليست في القفل، بل في حالك. ومع ذلك، تفضّل، عندي واحدٌ زائد".

ففتحتُ أحد الأقفال الإضافية من مسبحتي لأعطيه إياه. وفي تلك اللحظة خرجت من فمي جملةٌ لا أدري حتى الآن لماذا قلتها:

"قد تنكسر هذه الأقفال حتى في يدك".

ولم أكن قد أتممتُ عبارتي حتى انكسر القفل في يده.

تغيّر لون وجهه من الخوف والدهشة. نظر إلى القفل المكسور بيدين مرتجفتين، ثم نادى أصدقاءه الذين كانوا معه، وراح يحدّثهم بصوتٍ عالٍ عمّا جرى.

وفي تلك اللحظة أدركنا جميعًا أن المسألة ليست مشبكًا، ولا قفلًا، ولا مسبحة؛ بل هي حالُ القلب.

الرواية 125 – مسبحةٌ كشفت حقَّ خمسةَ عشرَ رجلًا

رواية بقلم مؤلف الكتاب

جاءني يومًا أحد الدراويش، وكان مديرًا لأحد المصانع. بدا على وجهه القلق والاضطراب. قال:

"يا خليفة، اليوم حين أردتُ أن أُغلق باب سيارتي، علقت مسبحتي في الباب. ومع انغلاقه انكسرت خمس عشرة حبّة منها".

تأمّلتُ قليلًا ثم قلتُ له:

"لعلّك قمتَ بعملٍ غير صحيح، وله صلةٌ بعدد خمسة عشر. فكّر قليلًا، ربما يخطر لك شيء".

لم تمضِ سوى ثوانٍ حتى تغيّر لون وجهه، كأن حقيقةً مباغتة انكشفت أمامه. قال بصوتٍ مرتجف:

"نعم... صدقت. لم أدفع حقَّ خمسة عشر عاملًا كاملًا. أخذتُ منهم التوقيع، لكنني كنت أعلم أن حقوقهم لم تُؤدَّ كما ينبغي".

ثم سكت وخفض رأسه، وأضاف:

"الآن أفهم أن شيخ الطريقة أراد أن يُنبّهني إلى أن هذا الفعل كان ظلمًا وباطلًا".

وفي تلك اللحظة تبيّن أن انكسار خمس عشرة حبّة من المسبحة لم يكن حادثةً عابرة،
بل كان مرآةً كشفت ظلمًا خفيًّا في تفاصيل العمل اليومي.

تأمل ختامي

أحيانًا يحاول الإنسان أن يُخفي خطأه خلف توقيعٍ أو قانونٍ أو مظهرٍ صحيح،
لكن القلب يملك سجلًّا آخر لا يُغلق بأي توقيع.

المسبحة في هذه الرواية لم تكن مجرد أداة ذكر، بل كانت ميزان عدل. وكان رقم خمسة عشر ليس مصادفةً،
بل إشارةً دقيقة إلى حقٍّ ضائع.

تعلّمنا الطريقة أن حقوق العباد، قبل أن تُحاسَب في المحاكم، تُحاسَب في ضمير الإنسان وقلبه،
ولا ذِكرَ يُغني عن أداء حقوق الناس.

الرواية 126 - مالُ الربا

رواية بقلم مؤلف الكتاب

انضمّ شابّان وأختهما الصغرى من أسرةٍ واحدة إلى الطريقة حديثًا. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى جاءني الأخ الأصغر وقال إن مسبحته انقطعت من غير سبب. وبعد أيام، جاءت أختهما - وكانت أصغر منهما - وقالت بدهشة إن المشبك الذي وضعته على مسبحتها لعدّ الأذكار قد سقط، لكنها عندما التقطته من الأرض وجدته مغلقًا بإحكام. فتعجّبت كيف يمكن لمشبكٍ مغلق أن ينفصل عن المسبحة.

وبعد مدة، اتصل بي الأخ الأكبر وقال إنه رأى حلمًا مزعجًا للغاية، رأى في منامه أن جسده كلّه قد تلوّث بالنجاسة، بل إنه كان يأكل منها. وقد أقلقه هذا الحلم بشدّة.

عندما جمعتُ هذه العلامات الثلاث، قلت في نفسي: من المستبعد أن يواجه ثلاثةٌ من أسرةٍ واحدة، وفي بداية سلوكهم، مثل هذه الإشارات في الوقت نفسه، إلا إذا كان هناك سببٌ مشترك في حياتهم الأسرية.

في ليلة الذكر دعوتهم جميعًا، وطرحتُ عليهم الأمر، ثم سألتهم:

"ما مصدر دخل أسرتكم؟ ومن أي طريقٍ تعيشون؟"

قالوا:

"أمّنا أعطت مالًا لشخصٍ ما، وهو يدفع لنا مبلغًا ثابتًا كل شهر، ونحن نعيش من هذا المال".

قلتُ لهم:

"الغالب أن هذا من الربا؛ لأن أخذ ربح ثابت يختلف عن المضاربة. ففي المضاربة يكون الربح والخسارة مشتركيْن، أما هنا فالربح مضمونٌ وثابت، وهذا هو الربا. فتأكّدوا من الأمر وأخبروني بالنتيجة".

عادوا بعد البحث وقالوا:

"نعم، أمّنا تأخذ نسبةً ثابتة من المال".

قلتُ لهم:

"عليكم أن تقنعوا أمّكم بأن تستردّ المال وتستثمره في طريقٍ حلال".

عندما عرضوا الأمر على أمّهم، قالت:

"لن أفعل ذلك، ولا أسمح لكم بالتدخّل في شؤوني".

فقالوا لها:

"أنتِ أمّنا، نحبّك ونحترمك، لكن ما دام طعام البيت يُشترى بمالٍ حرام، فلن نأكل منه. إمّا أن نأكل عند أصدقائنا، أو في التكية".

ثقل هذا الكلام على الأمّ، وحزنت، ثم بعد تفكيرٍ قالت:

"أعدكم أن أغيّر مصدر دخلي، ولن أُدخل مال الربا إلى البيت بعد اليوم".

والحمد لله، بعد هذا القرار عاد كل شيءٍ إلى طبيعته؛

فلم تنقطع مسبحة،

ولم يسقط مشبكٌ بلا سبب،

ولم تتكرّر الكوابيس.

وكأنّ القلوب هدأت حين طهُر الرزق.

تأمل ختامي

تُظهر هذه الرواية أن الطريقة ليست مجرد ذكرٍ باللسان، بل هي قبل ذلك طهارةُ الكسب وحِلّ المعيشة.

فالذكر في قلبٍ تلوّث بمالٍ حرام كالنور إذا سطع على زجاجٍ متّسخ؛ النور موجود، لكنه لا ينفذ.

أحيانًا يرسل الله إشاراتٍ لطيفة لإيقاظ الإنسان:

انقطاع مسبحة،

انفصال مشبكٍ مغلق، أو حلمٍ مزعج.

كلها تنبيهاتٌ صامتة تقول:

"أصلح الأصل، لا الفرع".

فإذا طهُر الرزق، حيا الذكر،

واطمأنّ المنام، واستقام طريق السلوك.

فالطريقة، قبل أن تكون طريقَ اللسان، هي طريقُ اللقمة والنيّة.

الرواية 127 – عينٌ لم تُشفَ

رواية لأحد سالكي الطريقة

في طفولتي تعرّضتُ لإصابةٍ شديدة في إحدى عينيَّ، فأفقدتني البصر فيها تمامًا. عشتُ سنواتٍ طويلة بهذه الحال،

حتى رأيتُ - بعد شهرين من أخذي الطريقة - رؤيا غيّرت نظرتي إلى الألم ومعناه إلى الأبد.

في المنام رأيتُ رسول الله ﷺ، ومعه حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق). أمسك حضرة الشيخ بيدي، وقادني بكل أدبٍ إلى حضرة رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ:

"إنه حقًّا وصدقًا من دراويشنا".

وبقلبٍ يرتجف أدبًا وخشوعًا قلتُ:

"يا رسول الله، لي عندكم طلب".

فقال ﷺ: "وما طلبك؟"

قلتُ:

"أرجو أن تشفوا عيني. لقد أُصبتُ في صغري، وأنا الآن لا أُبصر إلا بعينٍ واحدة".

فنظر إليّ رسول الله ﷺ نظرةً مفعمةً بالرحمة، وقال:

"أنا صاحبُ أمةٍ كبيرة، ولي أبناءٌ كثيرون. إن رددتُ إليك بصرك، فسيسألني الدراويش والمؤمنون أن أشفيهم جميعًا.

دع عينك كما هي، واصبر عليها، ولك في مقابل صبرك درجاتٌ عالية في الجنة".

فنزلت في قلبي سكينةٌ عميقة، سكينةٌ كانت أسمى من الشفاء نفسه.

ومنذ ذلك اليوم أدركتُ أن بقاء بعض الآلام قد يكون نعمة، وأن بعض الحرمان جسورٌ إلى قربٍ أعلى.

الرواية 128 – خاتمٌ بقي أمانةً

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنتُ حديثَ عهدٍ بالزواج. طلب مني جمعٌ من الناس في حيٍّ بعيدٍ عن المدينة أن أزور منطقتهم لتعريفهم بالطريقة.
كان الطريق ترابيًّا شديد الوعورة، مليئًا بالحفر والحجارة. وبعد مسافةٍ من السير، انثقبت عجلة السيارة.

وعندما أردتُ تغيير الإطار، نزعتُ خاتم زواجي – الذي لم يمضِ وقتٌ طويل على شرائه – من إصبعي كي لا يخدشه

العمل، ووضعته على المصدّ الخلفي للسيارة، ثم انشغلتُ بتبديل العجلة.

وبعد أن انتهيت، ولأن الوقت كان قد تأخر، ركبتُ السيارة على عجلٍ وانطلقت. وبعد نحو ربع ساعة، حين وقعت عيني على يدي فوق المقود، أدركت فجأةً أن الخاتم ليس في إصبعي. وفي اللحظة نفسها علمت أنني تركته على المصدّ.

توقفتُ فورًا من شدّة القلق. راحت الأفكار تتزاحم في رأسي: ماذا أقول لزوجتي؟ وكيف أشتري خاتمًا آخر؟ وفي تلك اللحظة، قلتُ في قلبي موجّهًا الخطاب إلى شيخ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق):

"سيدي، إن كان مقدّرًا أن يُؤخذ مني هذا الخاتم، فأنا راضٍ بحكمكم. ما تشاؤونه هو الذي يكون".

وفي الحال سمعتُ نداءً في داخلي يقول:

"ارجع، الخاتم على المصدّ".

نزلتُ من السيارة وتوجهتُ إلى الخلف، فإذا بالخاتم في مكانه تمامًا على المصدّ. ولمّا هممتُ بأخذه، وجدتُه كأنه ملتصقٌ بالمعدن التصاق المغناطيس بالحديد. وعلى الرغم من

الطريق الطويل الوعر المليء بالاهتزازات، لم يتحرّك من موضعه قيد أنملة.

تأمل ختامي

تكشف هذه الواقعة عن معنى الأمانة والرعاية الإلهية. فقد يظنّ الإنسان أن شيئًا قد ضاع، بينما هو محفوظٌ بعناية الله، وليس إلا امتحانًا لقلبه.

تعلّمنا هذه الحادثة أن لحظة التسليم الصادق - حين يقول العبد: "ما تشاء أنت" - تكون الإجابة قد نزلت في قلبه قبل أن تظهر في الواقع الخارجي.

فالنداء الذي قال: "الخاتم على المصدّ" لم يكن مجرد إخبارٍ عن حقيقة مادية، بل كان إشارةً إلى حقيقةٍ أعمق:

أن ما يُودَع عند الله أمانةً، لا يضيع أبدًا.

الرواية 129 – نظّارةُ جاءت من الغيب

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في أحد الأيام دعاني جمعٌ من الأصدقاء لأذهب إليهم لتعريفهم بالطريقة. ولأنني أحرص دائمًا على الالتزام بمواعيدي، كنتُ في عجلةٍ من أمري. غير أن العمل الميكانيكي للسيارة التي كنتُ أصلحها طال أكثر مما توقعت، فزاد قلقي؛ إذ خشيتُ إن تأخرتُ أن يتفرّق الحاضرون وينفضّ المجلس.

لبستُ خوذتي على عجل، وركبتُ دراجتي النارية وانطلقت. وبعد مسافةٍ قصيرة دخلتُ الطريق السريع. كان ذهني منشغلًا كلّه بالوصول في الوقت المناسب، حتى إنني لم أنتبه إلى أنني تركتُ نظارتي في المغسلة عندما غسلتُ يدي.

بعد لحظاتٍ شعرتُ فجأة أن رؤيتي ليست واضحة. أحسستُ أن شيئًا غير طبيعي. مرّرتُ يدي على وجهي، وتيقّنت أن النظارة ليست على عينيّ. غمرني قلقٌ شديد. الطريق كان طويلًا، وكان عليّ أن أعود من مخرجٍ بعيد، ثم

أقطع المسافة نفسها من جديد، وهذا يعني تأخيرًا كبيرًا.
وقلتُ في نفسي إن معظم الحاضرين قد يغادرون قبل عودتي.

وبحزنٍ أشرتُ لتغيير المسار. وكعادتي نظرتُ إلى المرآة.
وفي تلك اللحظة رأيتُ بدهشةٍ عارمة أن النظارة على وجهي.
ظننتُ أولًا أنني أتوهم. أعدتُ يدي إلى وجهي، فإذا بالنظارة ثابتةٌ على عينيّ، ورؤيتي واضحةٌ تمامًا، كأنها لم تُنزع قط.

توقفتُ داخليًّا في ذهولٍ لثوانٍ. لم أعد، ولم أتوقف، ولم ألتقط نظارةً من مكانٍ ما. لكنها كانت هناك... في موضعها الصحيح.

في تلك اللحظة أدركتُ أن الإنسان إذا صدقت نيّته في خدمة طريق الله، وكان قلبه متوجّهًا لهداية الناس، فإن يد العناية الإلهية قد تتدخل أحيانًا بأسلوبٍ خفيٍّ لطيف؛ بلا ضجيجٍ ولا ادعاء، ولكن بواقعٍ لا يُنكر.

الرواية 130 - أعيدوا إليَّ درجتي

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كان أحد الخلفاء القدامى في كردستان، ممن حضروا في زمن حضرة الشيخ محمد المحمد وحضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان (قدس الله سرهما)، والد وجدّ الشيخ الحاضر، وهو - والحمد لله - ما يزال على قيد الحياة، يروي هذه الحادثة:

قال:

في زمن حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان، كنا نجلس مع جمعٍ من الدراويش في مجلسه المبارك نستفيد من مواعظه. وفي ذلك المجلس، كان أحد الخلفاء المعروفين، وهو رجل تجاوز الخمسين من عمره، واقفًا على مسافةٍ غير بعيدة. كان قد أسند رأسه إلى عصاه، ويبكي بحرقة، ويردد بصوتٍ مكسور مرتجف:

"سيدي ... سيدي ... بحق الله، أعِد إليَّ ما أخذتَه مني".

لم يلتفت إليه حضرة الشيخ في البداية، ثم بعد برهة ناداه بصوتٍ حازم:

"خليفة! تعال إلى هنا".

ثم التفت إلى الدراويش وقال:

"هذا الرجل كان يومًا من كبار الأولياء، بلغ من المقام درجةً أننا حين أردنا أن نعطيه درجة أحد كبار مشايخ الطريقة النقشبندية، لم يكن يقبلها. لكنه قصّر، فسحبنا درجته منه".

ثم التفت إليه وقال:

"اذهب! لا تبكِ ولا تتوسل. ما نأخذه لا نرده".

ذلك اليوم، انطبعت هذه الجملة في قلوبنا جميعًا، جملة ثقيلة، عميقة، زلزلت النفوس.

مرّت نحو عشرين سنة. وانتقل حضرة الشيخ عبدالكريم إلى جوار ربه، وتولى ابنه حضرة الشيخ محمد المحمد مشيخة الطريقة لسنوات طويلة. وفي أحد الأيام، ذهبت لزيارته في منطقة جبلية تُسّمى كربچنه. كنتُ أنتظر خروجه من المنزل،

فإذا بي أرى ذلك الخليفة نفسه، وقد صار شيخًا طاعنًا في السن، واقفًا في صف الدراويش.

ما إن رآني حتى تقدم نحوي وقال:

"خليفة! لك مكانة خاصة عند حضرة الشيخ. لقد كان لي مقام عالٍ في زمن والده، لكني قصّرت فسُحبت درجتي. اطلب من حضرة الشيخ أن يعيد إليَّ درجتي".

لم يكن يعلم أنني كنت حاضرًا قبل عشرين عامًا حين بكى وتوسل في المجلس، ورأيت كل ما جرى. فقلت له:

"والله، لو أردتُ شيئًا لنفسي، ما تجرأت أن أطلبه من حضرة الشيخ؛ فكيف أطلب لك مثل هذا الأمر؟"

لم أُتِمّ كلامي حتى خرج حضرة الشيخ من باب المنزل. ومن مسافة تقارب عشرين مترًا، ومن غير أن ينطق ذلك الخليفة بكلمة، رفع يده نحوه وقال:

"خليفة! ما نأخذه من أحد لا نرده".

سبحان الله...

الكلمة نفسها، حرفًا بحرف، التي قالها قبل عشرين عامًا والده المبارك، حضرة الشيخ عبدالكريم.

تأمل ختامي

ليست هذه الرواية مجرد حكاية من الماضي؛ بل هي درس في حقيقة المقام، وفي أمانة الدرجة، وفي ثقل المسؤولية الروحية.

في الطريق، المقام ليس عطية شخصية، بل أمانة إلهية تُعطى بالاستحقاق، وتُسحب بالتقصير. البكاء، والتوسل، وطول الانتظار، لا يعوّضون الصدق، ولا يغنون عن الأدب، ولا يقومون مقام الاستقامة.

ما يُفقد أحيانًا لا يعود بالدموع، بل يعود - إن عاد - بتطهير القلب، وإعادة بناء الداخل.

وربما الأهم من ذلك كله أن هذه الحادثة تكشف أن كلمة الحق واحدة في عالم المعنى؛ سواء جرت على لسان الأب أو الابن. الأشخاص يتغيرون، لكن القانون الإلهي في تربية الأرواح لا يتبدل.

الرواية 131 - العون في مدينةٍ غريبة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل عدة سنوات، انتقلنا إلى مدينةٍ لم يكن لنا فيها أيُّ معارف. وكنا نمرّ بأشدّ الظروف المالية قسوةً، إذ كنتُ قد فقدتُ عملي، ولم يكن لنا مصدر دخل. وكان ابني الصغير آنذاك في عامه الأول فقط. كنّا أنا وزوجتي جالسين في البيت نستعدّ لتناول الطعام، فأخذت زوجتي قدر المرق الذي كان يغلي على الموقد ووضعته على المائدة.

وفي تلك اللحظة، جاء ابني الذي كان قد بدأ لتوّه يتعلّم المشي، واقترب من المائدة، وفجأة أدخل يده اليمنى في القدر المملوء بالطعام المغلي.

كان مشهدًا لا يُنسى.

سحبنا يده مذعورَين، لكن حرارة الطعام كانت شديدة إلى درجة أن يده تورّمت بسرعة، وتغيّر لونها، وصارت تقريبًا ضعف حجمها الطبيعي. أخذ الطفل يبكي بكاءً شديدًا من

الألم، وكنّا نحن في حالٍ من الخوف والاضطراب والعجز، لا ندري ماذا نصنع.

أردنا أن نأخذه فورًا إلى الطبيب، لكن الحقيقة المؤلمة أننا لم نكن نملك حتى القدرة المالية البسيطة لفعل ذلك. ذهبتُ بما كان معي من مالٍ يسير إلى الصيدلية، ولم أستطع شراء إلا مرهمٍ عشبي بسيط للحروق. عدتُ إلى البيت ودهنتُ يده به، لكن لم يتغير شيء؛ ظل الطفل مضطربًا يبكي، واستمرّ التورّم.

في تلك اللحظة، لم يكن لنا ملجأٌ إلا الله.

حملنا الطفل بين أذرعنا، أنا وزوجتي، وبقلبٍ منكسرٍ استمددنا العون والرحمة من مشايخ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد وحضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (قدس الله أسرارهم).

وبعد دقائق، هدأ الطفل ونام.

وبعد نحو ساعةٍ أو ساعتين، حين استيقظ، رأينا ما أدمع أعيننا فرحًا:

كانت يده قد عادت طبيعية تمامًا، وزال التورّم، ولم يبقَ إلا فقاعة صغيرة جدًّا، أثرٌ خفيف لحادثةٍ كان يمكن أن تتحول إلى كارثةٍ كبيرة.

الرواية 132 - نحن نتحمّل الأذى

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في إحدى الليالي ذهبتُ إلى التكية لحضور الذكر. وبعد انتهاء الذكر الجماعي، جلستُ أنتظر حتى يجلس ضاربو الدفوف لنبدأ المديح. كان إلى جانبي ترمسٌ مملوءٌ بالماء المغلي. وكان ابني ذو الثلاث سنوات يلعب بالقرب مني. فجأةً اقترب من الترمس وعبث به، وإذا بالماء المغلي ينسكب على ساقه.

ارتعد قلبي من شدّة الخوف. نزعتُ الشال الذي كان على رأسي ولففته فورًا حول ساقه، وبدأتُ في الوقت نفسه أستمدّ العون وأتوسّل. كان طفلي يصرخ ويبكي بشدّة من الألم.

وبعد لحظاتٍ نزعتُ الشال عن ساقه، وكنتُ على يقينٍ أنّ جلده قد احترق بشدّة أو أنّ فقاعاتٍ كبيرة ستظهر عليه.

لكنني فوجئتُ بأن جلده لم يكن إلا محمرًّا قليلًا، من غير أيّ أثرٍ لحروقٍ أو فقاعات.

في تلك الليلة، وبعد عودتي من التكية، رأيتُ في المنام حضرة الشيخ محمد المحمد (ق). فرأيتُ قدمه المباركة وقد ظهرت عليها فقاعاتٌ وآثار حروق. فسألته بقلقٍ وحزن:

"سيدي، ماذا حدث؟"

فقال:

"نحن لا نسمح لمريدنا أن يُصاب بأذى في التكية، نحن نتحمّل الأذى عنه".

الرواية 133 – ذكرُ الله جارٍ في كلِّ مكان

رواية لأحد سالكي الطريقة

قبل سنوات، حين كان أبنائي تتراوح أعمارهم بين الخامسة عشرة والثلاثين، انضمّوا إلى الطريقة، وكانوا يقيمون الذكر الجماعي في منزلنا. وكان أصدقاؤهم يأتون كل يوم اثنين لإقامة مجلس الذكر عندنا. ورغم أنني لم أكن أعترض على ذكر الله، وكنت أرى أن هؤلاء الشباب قد تركوا كثيرًا من أعمالهم السابقة وانشغلوا بعبادة الله، إلا أنني في داخلي كنت أشعر بنوعٍ من التردد وعدم الاطمئنان تجاه الطريقة. لم يكن قلبي قد صفا تمامًا، وبقيت في نفسي بقيةُ احتياطٍ وازدواجية.

في إحدى الليالي، وبعد انتهاء الذكر وانصراف الدراويش، نمتُ. ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى استيقظتُ على صوت ذكرٍ واضح: "الله... الله...". فقلت في نفسي:
"لماذا لا يراعي ابني الوقت؟ الجميع نائمون وهو يرفع صوته بالذكر".

نهضتُ ونظرتُ إلى غرفته، فوجدته في نومٍ عميق، ولا يصدر منها أي صوت. نظرتُ إلى زوجتي، فكانت نائمة كذلك. كان البيت هادئًا تمامًا، إلا من ذلك الصوت الذي ما يزال يتردّد.

قلتُ في نفسي لعلني أتوهم. فقررتُ أن أذهب إلى المطبخ لأشرب ماءً. وكلما اقتربتُ من المطبخ، ازداد صوت الذكر وضوحًا وقوة.

كان بجوار باب المطبخ ساعةٌ كبيرةٌ قائمة. فلما اقتربتُ منها، رأيتُ بدهشة أن الصوت يصدر منها هي. أصغيتُ جيدًا، فلم أصدق ما أسمع: كان ذكر "الله" يُسمع من الساعة، وكأن عقرب الثواني يتحرك بإيقاعٍ منتظمٍ يوافق تمامًا إيقاع الذكر في حلقات الذكر:

الله... الله... الله...

لم يكن صوتًا مصطنعًا، ولا وهماً سمعيًّا. بل كان إيقاع حركة العقربتين متناسقًا مع إيقاع الذكر، حتى بدا وكأن الساعة نفسها تسبّح الله.

في تلك اللحظة، انكسر شيءٌ في داخلي. ذلك التردد الخفي الذي بقي في قلبي مدةً طويلة انهار. شعرتُ أن ذكر الله ليس مقصورًا على لسان الإنسان؛ فكل شيء يمكن أن يكون وعاءً للذكر، حتى الحديد والتروس وعقارب الساعة.

تأمل ختامي

تذكّرنا هذه الرواية أن ذكر الله لا يجري على لسان الدرويش والسالك فحسب؛

بل الذكر حقيقةٌ جاريةٌ في سائر الوجود.

إذا تهيأ القلب، يسمع الإنسان أن:

الجدار يذكر، والريح تذكر، والزمان يذكر،

وحتى الساعة، مع كل ثانية، تردد اسم الله.

وتعلّمنا هذه الحادثة أن الطريقة، قبل أن تكون نظامًا خارجيًا، هي يقظةٌ داخلية؛

يقظة أذن القلب لسماع ذكرٍ لا ينقطع، يجري دائمًا وفي كل مكان.

الرواية 134 – زيارةٌ معنوية

رواية لأحد سالكي الطريقة

كنتُ أكنّ محبةً عميقةً للإمام الحسين (ع)، وقد سعيتُ سنواتٍ طويلةً في خدمته. وذاتَ مرةٍ قصدتُ كربلاء للزيارة، لكنني مرضتُ في الطريق، فلم يُكتب لي توفيقُ زيارةِ الحرمِ المطهَّر. وقد خلّف ذلك في قلبي حسرةً كبيرةً، وكنتُ أردد في نفسي مرارًا:

لعلّ سيدي لم يقبلني، ولستُ موضع قبولٍ عنده؟

مرّت السنوات حتى تعرّفتُ إلى الطريقة عن طريق أبنائي. جعلنا منزلنا تكية، وكان الدراويش يأتون كل ليلة اثنين لإقامة الذكر عندنا. وبعد صراعاتٍ داخلية طويلة، وتأملاتٍ عميقة، ومشاهدة بعض الكرامات، قبلتُ الطريقة بقلبٍ مطمئن.

في إحدى الليالي بعد الذكر، جرى الحديث عن عظمة الإمام الحسين (ع) ولطفه. عندها ارتجف قلبي، وغمرني

حزنٌ عميق، وقلتُ في نفسي:

"لعلّ سيدي حقًا لم يقبلني"...

وفي تلك الليلة رأيتُ في المنام أننا ذهبنا جماعةً إلى مكانٍ للزيارة. فلما وصلنا وجلسنا، رأيتُ الإمام الحسين حاضرًا بيننا. كان جالسًا على كرسيّ، يرحّب بالجميع بأقصى درجات اللطف. كان الجو مفعمًا بالنور والسكينة.

ثم أشار إليّ وقال: "تقدّم".

تقدّمتُ إليه بشوقٍ ممزوجٍ بالخوف، وقبّلتُ قدمه المباركة. ثم قال:

"ماذا تريد؟ اطلب ما تشاء".

كنتُ في ذلك الوقت أعاني ألمًا شديدًا في ركبتيّ، وكان الأطباء قد قرروا ضرورة إجراء عملية جراحية ووضع مفصلٍ صناعي. فقلتُ بأدبٍ وخجل:

"يا سيدي، ركبتاي تؤلمانني كثيرًا، وقد قال الأطباء إنني بحاجة إلى عملية جراحية".

فمرّر الإمام الحسين يديه المباركتين على ركبتيّ، وقال بنبرةٍ مملوءةٍ رحمةً وطمأنينة:

"لا، لا تقلق، ركبتاك ليس فيهما شيء".

استيقظتُ من النوم وأنا ما أزال أشعر بذلك الصفاء.

ومنذ تلك الليلة، زال الألم عن ركبتيّ تمامًا، ولم يعُد إليّ ولو للحظةٍ واحدة حتى يومنا هذا.

الرواية 135 – السكينة بعد العاصفة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

منذ مدة كنتُ قد نشرتُ كتابًا عن إعجاز القرآن الكريم.

فاتصل بي يومًا شخصٌ وقال:

"أنا الدكتور فلان. حصلتُ على رقمكم من أحد الدراويش. أنا وزوجتي – وهي أيضًا دكتورة وأستاذة جامعية – باحثان، ونرغب في مناقشة كتابكم والقرآن معكم".

اتفقنا على يوم الجمعة. وفي الموعد المحدد حضر هو وزوجته ومعهما طفلٌ في نحو الخامسة من عمره إلى منزلنا. وبعد التعارف، قدّم لي كتيّباً يقارب مئتي صفحة، وقال:

"من خلال كتاباتكم يبدو أنكم إنسان طيب، لكن هذا خلاصة أبحاثي أنا وزوجتي. إذا قرأتموه ستدركون أن ما تقولونه عن القرآن والإسلام غير صحيح، وأن هذا الطريق لا يوصل الإنسان إلى شيء".

فقلتُ له:

"لا أملك الوقت لقراءة هذا الحجم الكبير. تفضلوا بطرح النقاط التي ترون أنني مخطئ فيها، وناقشوها شفهيّاً".

فقال هو وزوجته:

"لا يمكننا البقاء طويلًا، لأن هذا الطفل يستحيل أن يجلس خمس دقائق بهدوء؛ سيبدأ بالصراخ والعبث".

فقلت:

"هو الآن هادئ. فإذا اضطرب يمكنكم أخذه".

بدأ النقاش، واستمر قرابة ساعتين. كانوا يطرحون الشبهات، وكنتُ أجيبهم بالحجة والبرهان. كان الحوار محترمًا،

لكن شعرتُ بتوترٍ داخلي واضح في نفوسهم. وحين وصل الحديث إلى الطريقة، ازداد اضطرابهم، وإن حافظوا على أدبهم.

فقلتُ لهم:

"خذوا الطريقة، وخلّصوا أنفسكم من هذا الصراع الداخلي والقلق الدائم؛ ذلك القلق الذي أنا على يقين أنه ينعكس على حياتكم الشخصية أيضًا".

سكتوا ونظر بعضهم إلى بعض، كأنني نطقتُ بكلمةٍ كانت مخبوءة في أعماقهم منذ سنوات.

ثم قلتُ:

"ألا تريدان أن تنعما بالسكينة مثل هذا الطفل؟"

فنظر الاثنان فجأة إلى ابنهما، كأنهما تذكّرا وجوده في تلك اللحظة. كان الطفل مستلقياً بهدوءٍ عجيب على الأريكة بجانبنا، عيناه مفتوحتان ونظرته لطيفة ساكنة، كأنه في حالة صفاءٍ عميق. فقلت:

"ألم تقولا إنه لا يجلس خمس دقائق في مكان؟ لقد مضت قرابة ساعتين وهو في هذا الهدوء. أنتما ملأتما بيتكما بأفكارٍ

مظلمة وصراعٍ مع الفطرة السليمة، فمن الطبيعي أن يكون هذا الطفل مضطربًا في ذلك الجو. أما هنا، فجوّ ذكرٍ وسكينة، وفطرته تنسجم معه".

ثم تابعتُ:

"خذا الطريقة، واجعلا بيتكما موضع نورٍ وسلامٍ لكما ولهذا الطفل. واجعلا العلم الذي تستعملانه اليوم لمعارضة الإيمان وسيلةً لإرشاد الناس إلى طريق النور والطمأنينة".

غرقا في صمتٍ ثقيل، لكنه صمتٌ صافٍ.

وبعد لحظات، قالت الدكتورة بهدوء:

"ماذا يجب أن نفعل لأخذ الطريقة؟"

وبعد دقائق، أخذا الطريقة. تبدّل حالهما الروحي بصورةٍ لافتة، كأن عاصفةً كانت تعصف في داخلهما لسنوات قد سكنت فجأة.

وفي لحظة البيعة، مدّ ذلك الطفل الصغير يده تبركًا، فوضعها في يدي، بلا خوفٍ ولا تردد، بيقينٍ لا يوجد إلا في القلوب الصافية.

تأمل ختامي

قد يقضي الإنسان سنواتٍ يصارع بعقله وعلمه عاصفةً داخلية، لكنه لا يجد السكينة في الجدل، بل في التسليم.

ذلك الطفل أدرك الحقيقة قبل والديه:

السكينة لا تُنال بالمناظرة،

بل بالاتصال بالنور. والطريقة،

كانت لهذه الأسرة نهاية العاصفة وبداية الشاطئ الآمن.

الرواية 136 – تعلُّم على يد طفلةٍ في الثالثة من عمرها

رواية بقلم مؤلف الكتاب

روى أحدُ الخلفاء القدامى فقال:

"في الفترة التي كان فيها حضرة الشيخ محمد المحمد (ق) قد تسلّم مقام المشيخة حديثًا، كنتُ لا أزالُ متعلّقًا تعلّقًا عميقًا بحضرة الشيخ عبدالكريم، الشيخ الراحل. كان حبُّه

حيًّا في قلبي، ولم يكن ذلك الارتباط القلبي قد تكوَّن بعدُ في داخلي تجاه الشيخ الجديد. ولهذا، كنتُ في أحاديثي أُكثر من ذكر الشيخ السابق، ونادرًا ما أذكر اسم الشيخ الجديد.

وفي إحدى الليالي، جاءنا أحد الأصدقاء إلى البيت. كنّا أنا وهو وزوجتي نجلس في الصالة ونتحادث. وكانت ابنتُنا الصغيرة، ذات الثلاثة أعوام، مريضةً محمومة، وقد بسطنا فراشها قريبًا منا لنطمئنّ عليها.

وكعادتي، طوال الحديث لم أذكر اسم الشيخ الجديد ولو مرّة واحدة، وإنما اقتصرتُ على ذكر حضرة الشيخ عبدالكريم.

وفجأةً، رأينا الطفلة ـ وكانت محمومة نائمة ـ تستيقظ. قامت بهدوء، وتوجّهت إلى الرفّ حيث كانت صورة حضرة الشيخ محمد المحمد موضوعة هناك، وأشارت بيدها أنها تريد الصورة.

ناولتها الصورة. فأخذتها بكل احترام، قبّلتها، ثم وضعتها على رأسها لحظةً، وأعادتها إليّ، ثم رجعت إلى فراشها، وفي اللحظة نفسها غاصت في نومٍ عميق، كأنّ شيئًا لم يكن.

عندها ضربتُ رأسي بيدي وقلتُ بحزنٍ وخجل:
ويحك يا نفسي! أيُّ خليفةٍ أنا، حتى تحتاج طفلةٌ في الثالثة من عمرها أن تُعلّمني آداب الدروشة؟"

تأمل ختامي

أحيانًا لا تصلنا الحقيقة على ألسنة العلماء والكبار،
بل تتجلّى في قلب طفلٍ نقيّ، لم تحجبه العادات ولا قيّدته التعصّبات.

تُظهر هذه الرواية أن الطريقة، قبل أن تكون مقامًا أو لقبًا، هي أدبُ قلبٍ؛
ومعرفةُ مقام وليّ الزمان؛
والتسليمُ المطلق للحقيقة التي يُظهرها الله في كل عصر.

وقد يجعل الله ـ لإيقاظ قلب السالك ـ معلمه طفلةً في الثالثة من عمرها، بدلًا من الشيخ نفسه.

الرواية 137 – رؤيا الجدّ

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كنّا نعزم على السفر إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وكانت إحدى فتيات التكيّة قد سجّلت اسمها معنا، لكنها بعد مدة أبلغتنا أنها لا تستطيع مرافقتنا، إذ إنّ أمّها ـ التي كانت شديدة المعارضة للطريقة ـ لم تأذن لها بالسفر، رغم بكائها وتوسّلها المتكرر.

وكان جدُّ هذه الفتاة قد توفّي منذ سنوات. وكان رجلًا خيّرًا، نقيّ السريرة، معروفًا بين أقاربه بالاستقامة والصدق.

وقبل موعد الانطلاق بيومين، جاءت تلك الفتاة إلى التكيّة ووجهها يفيض سرورًا، وقالت بحماس:

"لقد رأَتْ أمّي جدّي في المنام الليلة الماضية. وقد خاطبها بلهجة حازمة قائلًا: لماذا تمنعين هذه الفتاة؟ إنها تريد أن تذهب لزيارة الحج".

الرواية 138 – كرامة شفاء البصر

رواية لأحد سالكي الطريقة

مضت عشرة أيام وأنا فاقدٌ لبصري. أثناء مروري بالسيارة فوق أحد الجسور، غامت عيناي فجأة، وانطفأ العالم أمامي. راجعتُ كلَّ طبيبٍ أعرفه أو أُرشِدتُ إليه. أجريتُ تصويرًا بالرنين المغناطيسي، وخضعتُ لفحوصاتٍ متعددة، لكن دون جدوى. وفي النهاية أُحِلتُ إلى لجنةٍ طبيةٍ خاصة، وقالوا لي:

"من جهتنا، لا تعاني من أي مشكلة".

لكنني لم أكن أرى شيئًا.

ذهبتُ إلى التكيّة طلبًا للشفاء، غير أنّ الأمر لم يتغيّر. وعند عودتي كنتُ أعمى تمامًا؛ لا أرى شيئًا، لا أستطيع القيادة ولا تناول الطعام، وكان أفراد أسرتي يُطعمونني بأيديهم.

وبعد يومين عدتُ مرةً أخرى إلى التكيّة. والحمد لله، بفضل لطف وهمّة حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق)، عاد بصري إليّ، واستعادت عيناي الرؤية من جديد.

الرواية 139 – تحليق الروح

رواية لأحد سالكي الطريقة

في أحد الأيام كنتُ أعمل في المصنع منشغلًا باللحام. كان الجهاز ينقطع ويعود للعمل مرارًا. فتقدّمتُ لإصلاح الخلل وضبط السلك. وما إن لامستُ السلك بيدي حتى صعقني التيار الكهربائي فجأة. انقبضت يداى على السلك، وبدأ جسدي كلّه يرتجف. لم تدم الحادثة سوى ثوانٍ معدودة، لكن في تلك الثواني وقع أمرٌ غيّر نظرتي إلى الحياة إلى الأبد.

شعرتُ أنني انفصلتُ عن جسدي. رأيتُ نفسي واقفًا على ارتفاعٍ يقارب ستة أمتار، قريبًا من سقف الورشة. كنتُ أنظر من الأعلى إلى جسدي الممدّد على الأرض بلا حراك.

لم أشعر بخوفٍ ولا بقلق؛ بل غمرني سكونٌ عميق لا يُوصَف، سكينةٌ لم أختبر مثلها في حياتي العادية قطّ.

ومن علُ رأيتُ العمال يتراكضون نحوي واحدًا تلو الآخر. كانوا مضطربين، يهرعون محاولين فعل شيء. وبينهم لمحتُ أحد العمال يركض من مسافةٍ بعيدة نحو القاطع الرئيسي للكهرباء. وبعد لحظات، قام بفصل التيار.

في تلك اللحظة، كأن قوةً ما أعادتني إلى جسدي. وفجأةً أظلم كل شيء. وبعد دقائق فتحتُ عينيّ، فوجدتُ نفسي ممدّدًا على الأرض، محاطًا بزملائي الذين التفّوا حولي. كان جسدي لا يزال ثقيلًا، لكنني كنتُ حيًّا أتنفّس.

وحين تحسّن حالي قليلًا، ناديتُ العامل الذي فصل التيار وشكرته. قلتُ له:

"لولا أنك قطعتَ التيار، لعلّي ما كنتُ الآن حيًّا".

نظر إليّ بدهشة وقال:

"وكيف عرفتَ أنني أنا من فصل التيار؟ لقد كنتَ فاقد الوعي على الأرض"!

عندها أدركتُ أن ما رأيتُه لم يكن مجرّد خيالٍ أو وهم؛ لقد شاهدتُ أمرًا لا يمكن رؤيته بالوسائل العادية.

الرواية 140 – سبحةٌ ذكَّرت بالأدب

رواية بقلم مؤلف الكتاب

انضمّ عددٌ من أعضاء رابطة الشعراء إلى الطريقة، وكانوا يحضرون أحيانًا إلى التكيّة للمشاركة في مجالس الذكر.

وفي أحد الأيام، صعد أحد رجال هذه المجموعة إلى الحافلة متجهًا إلى التكيّة، فصادف أن كانت إحدى السيدات من الجماعة نفسها على الحافلة ذاتها. كانت الحافلة مزدحمة، ولم يكن فيها مقعدٌ شاغر. فوقفا كلٌّ منهما ممسكًا بالعمود المعدنيّ للمحافظة على توازنه.

وأثناء سير الحافلة، وقع تماسٌّ عابرٌ غير مقصود بين يد الرجل ويد المرأة، ولم يكن ذلك إلا لحظةً خاطفة. وقبل أن تنقضي تلك اللحظة، انقطعت السبحة التي كانت في يد الرجل فجأةً بصوتٍ مسموع، وتناثرت حباتها على أرض الحافلة.

كان صوت انقطاع السبحة واضحًا إلى حدٍّ لفت انتباه الرّكّاب، ووقف الاثنان في دهشةٍ شديدة.

وعندما وصلا إلى التكيّة، جاء ذلك الرجل إليّ، وقصّ عليّ القصة كاملةً في حالٍ امتزج فيها التعجّب بالتأثّر.

وبعد انتهاء المجلس، أخبرتني زوجتي أنها سمعت الرواية نفسها من تلك السيدة على نحوٍ مستقلّ، دون زيادةٍ أو نقصان.

روايتان منفصلتان، على لسانين مختلفين، ولكن بحقيقةٍ واحدة.

تأمل ختامي

تُذكّرنا هذه الحادثة بأن الذكر في الطريقة ليس مجرّد ألفاظٍ تُتلى؛ بل هو تربيةُ حضور،

وتربيةُ أدب، وتربيةُ مراقبةٍ للقلب والسلوك.

فقد تقع زلّةٌ عابرة، لا عن إثمٍ مقصود،

بل عن غفلةٍ يسيرة، فيُنبَّه الإنسان بعلامةٍ لطيفةٍ لكنها مؤثّرة.

لم يكن انقطاع السبحة صرخةَ وعيد،
ولا عقوبةً، بل كان تذكيرًا رفيقًا:
"إن الذكر لا يجري على اللسان فحسب،
بل ينبغي أن يجري في النظرة، وفي حركة اليد، وفي سائر تصرّفات الإنسان".
ولعلّ من أعظم نِعم الطريقة
أن يُعاد الإنسان إلى أدب الله بإشارةٍ صغيرة
قبل أن تثقل عليه الزلّة.

الرواية 141 – سبحةٌ كشفت نية القلب

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في أحد الأيام كنّا مع جمعٍ من الدراويش نقرأ "وِرد العصر"، وهو من الأذكار الأساسية والمهمّة في الطريقة. كان الجوّ هادئًا مهيبًا، مشبعًا بحضور القلب. وكان كلّ واحدٍ في حلقة الذكر مطأطئ الرأس، مستغرقًا في الترديد بخشوع.

وفي أثناء الذكر، انشقّ صمت المجلس فجأةً بصوتٍ قويّ. فقد انقطعت السبحة التي كانت في يد أحد الدراويش - وهو معروفٌ بالصلاح والإخلاص - بطريقةٍ غير مألوفة، وتناثرت حباتها في الجهات المختلفة. بل إنّ بعض الحبات ارتطم بزجاج نافذةٍ قريبة بصوتٍ واضح.

وقف الجميع مدهوشين، واصفرّت الوجوه، وساد صمتٌ ثقيل للحظات، غير أنّ الذكر استمرّ حتى خُتم المجلس.

وبعد انتهاء الذكر، استدعيتُ ذلك الدرويش وسألته بهدوء:

"ما الذي كان يجول في قلبك في تلك اللحظة؟"

فأجاب بصدقٍ وتواضع:

"وأنا في حال الذكر، انصرف ذهني إلى أحد أفراد الحلقة. فقلت في نفسي: ما هذا الدرويش الذي عبادته قليلة هكذا؟ ولماذا هو بهذا الفتور؟

وما إن خطرت هذه الفكرة في خاطري حتى انقطعت السبحة في يدي".

وكان رأسه مطأطأً وهو يتكلم، ولم يظهر على وجهه خوفٌ ولا اعتراض، بل خجلٌ ممزوجٌ بيقظةٍ داخلية.

تأمل ختامي

لقد بيّنت هذه الحادثة أنّ الذكر ليس حركةَ لسانٍ فحسب، بل هو حضورُ قلب.

والقلب هو المخاطَب الأول بين يدي الله، قبل اللسان.

قد يكون الإنسان في الظاهر مشغولًا بالعبادة،

لكنّه في الباطن أسيرُ حكمٍ على غيره، أو مقارنةٍ، أو شعورٍ بالتفوّق.

وهنا يبتعد الذكر عن حقيقته.

لم يكن انقطاع السبحة في تلك اللحظة علامةَ غضب،

ولا عقوبة، بل كان تنبيهًا حيًّا واضحًا:

"في حضرة الله، لا أحد ميزانٌ للحكم على غيره.

لكلّ قلبٍ طريقُه وحاله،

والله أعلم بالسرائر".

ولعلّ تلك السبحة انكسرت لتعلّمنا
أن الذكر الحقيقي هو الذي لا يطهّر اللسان فقط،
بل يطهّر النظر، والفكر، والحكم على الآخرين أيضًا.

الرواية 142 – علامة البقاء في حضن الرحمة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

أعرفُ رجلًا يعمل مغنّيًا ويعزف على آلةٍ موسيقية. ليس من دراويش الطريقة، لكنه يحضر أحيانًا مناسبات المولد في تكيّة السليمانية. وكان منذ مدة يمرّ بظروفٍ حياتيةٍ قاسية؛ ضغوط نفسية، حزن داخلي، وحالة من اليأس أخذت تتسلّل إلى قلبه شيئًا فشيئًا.

وكان يضيق صدره أحيانًا إلى درجةٍ يقول فيها لنفسه: "لعلّي ابتعدتُ عن نهج أمة النبي الأكرم ﷺ؟ لعلّ أعمالي ليست محلّ رضى الله؟"

اتصل بي قبل يومين، وكان صوته ممتزجًا بالبكاء والانفعال. قال:

"كانت حالتي ليلة أمس عجيبة. كنتُ شديد الحزن واليأس. قبل أن أنام، بكيتُ حتى أنهكني البكاء. وخاطبتُ رسولَ الله ﷺ في قلبي وقلت:

يا رسولَ الله، أنا عبدٌ مذنب، ولكن أبقِني قريبًا منك. لا تدعني أبتعد عن طريق الله. لا تتركني".

قال إنه غلبه النوم وهو في تلك الحال من البكاء، ثم تابع بصوت مرتجف:

"رأيتُ في المنام رسولَ الله ﷺ، وما زالت ملامح وجهه النوراني أمام عينيّ إلى الآن. كان نورُه لا يُوصَف. وكان إلى جانبه رجلٌ جالسٌ قريبًا جدًا منه، حتى إن ذراعه كانت ملاصقةً لذراع رسول الله ﷺ.

فلما تقدّمتُ لأقبّل يده الشريفة ﷺ، انتبهتُ فجأةً أن ذلك الرجل هو حضرة الشيخ شمس الدين نهرو الكسنزان (ق). وكان ينظر إليّ مبتسمًا، ابتسامةً هادئة، رحيمة، مطمئنة".

ثم سكت لحظات، وقال:

"تلك النظرة وحدها كانت كافية. كأن كلّ خوفي وحزني وشكوكي تلاشت. أدركتُ أنني لم أُترَك، وأنني ما زلتُ في طريق رحمة الله".

الرواية 143 – دعوةٌ من عالم الغيب

رواية لإحدى خليفات الطريقة

كان أخي منذ مدة يعاني اضطرابًا نفسيًا شديدًا، وللأسف وقع في تعاطي المخدّرات. وعلى الرغم من المحاولات الكثيرة التي بذلتها الأسرة لإنقاذه وعلاجه، لم تُجدِ تلك الجهود نفعًا، بل كان حاله يزداد سوءًا يومًا بعد يوم.

في تلك الفترة، كنتُ قد تعرّفتُ إلى الطريقة، وأصبحتُ ألتزم بالأذكار وأشارك في حلقات الذكر، وكنتُ أدعو الله بإخلاصٍ شديد من أجل شفاء أخي وصلاح حاله. وفي إحدى الليالي، كان قلبي مكسورًا إلى حدٍّ بعيد، وشعرتُ بعجزٍ عميق. وفي طريقي إلى التكيّة، استغثتُ بكلّ كياني بشيخ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان،

وحضرة شاه حسين الكسنزان – وهو شيخُ الطريقة قبل حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان، وللدراويش به محبةٌ خاصة – قدّس الله أسرارهم، وسألتُهم أن يأخذوا بيد أخي، وأن يخلّصوه من هذه الظلمة، وأن يعيدوا إلى قلبه الشفاء والطمأنينة.

وبعد يومين، ذهبتُ إلى بيت والدي. وفوجئتُ بأخي يسألني بدهشة:

"هل لديكم خليفة يُدعى (فلان)؟"

قلتُ:

"نعم، ما الأمر؟"

كان مذهولًا، وقال:

"قبل ليلتين، بينما كنتُ في غرفتي أتهيأ للنوم، دخل رجلٌ من باب الشرفة. شعرتُ بالخوف الشديد. فقال لي: لا تخف، أنا صديقك (الخليفة فلان). قلتُ: لا أعرفك. فقال: أنا صديقُ فلان، خليفةُ أختك، وقد جئتُ لأساعدك. إن أردتَ أن تحسّن حالك، فتعالَ يوم الخميس إلى التكيّة الفلانية، سأكون هناك بانتظارك".

ثم غادر ذلك الرجل الغرفة.

وقد ذهب أخي فعلًا في يوم الخميس نفسه إلى التكيّة التي ذُكر اسمها له في المنام. والعجيب أنّ الخليفة الذي رآه في المنام كان قد جاء في ذلك اليوم من مدينةٍ أخرى للإرشاد هناك. فأعطاه الطريقة، واستمدّ له الشفاء من الشيخ الطريقة.

وبفضل الله تعالى وعنايته، كأن آلام الإدمان ومعاناته قد انهارت في ليلةٍ واحدة. زالت عنه التعلّقات، وتبدّلت حالته النفسية تبدّلًا واضحًا، وظهر في قلبه سكونٌ حُرم منه سنواتٍ طويلة.

وفي ذلك اليوم أدركتُ أنّ الدعاء إذا خرج من أعماق القلب، واقترن بتوسّلٍ صادقٍ واستمدادٍ خالص، فإن أبواب الرحمة الإلهية تُفتح على نحوٍ تعجز العقول العادية عن إدراكه.

الرواية 144 – شفاءُ الجمعة بعنبٍ أسود

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل سنوات، في أحد أيام الجمعة، كنّا في تكيّة أحد الخلفاء القدامى في قريةٍ من قرى كردستان. فجأةً جاءت أسرةٌ مسرعةً مضطربة تحمل طفلًا صغيرًا، وقالوا إن طفلهم ابتلع إبرةً عن طريق الخطأ. كانت المنطقة ريفيةً بالكامل، ولا تتوافر فيها أي إمكاناتٍ طبية أو وسيلة سريعة للوصول إلى العلاج. وكان القلق ظاهرًا على وجوه الجميع.

طمأنهم الخليفة بهدوءٍ تام وقال:

"اليوم جمعة، وكلّ الأماكن مغلقة، ولا يمكن الوصول إلى طبيب. انتظروا لنرى ماذا يُدبّر شيخُ الطريقة لهذا الطفل".

ثم أرسل الطفل مع أمّه إلى قسم النساء، وسأل زوجته:

"هل لدينا فاكهة في التكيّة؟"

فأجابت:

"نعم، لقد أحضر أحد الدراويش مقدارًا من العنب الأسود".

فقال:

"اعصري نصف كوبٍ من ذلك العنب وأعطيه للطفل".

ومضت ساعات. وبعد نحو ثلاث إلى أربع ساعات، نادى الخليفة زوجته وقال:

"اذهبي وضعي يدك برفقٍ على بطن الطفل، وانظري هل تشعرين بشيء".

ذهبت، ثم عادت بعد لحظات وقالت:

"نعم، يبدو أن طرف الإبرة ظاهرٌ تحت جلد بطنه".

فقال الخليفة بهدوء:

"خذي ملقطًا وأخرجيها برفق".

وكان الأمر فوق التصديق. فبعد دقائق عادت زوجته تحمل الإبرة بيدها؛ هي نفسها التي ابتلعها الطفل، وقد خرجت من جسده من غير جراحةٍ ولا أذى.

وعمّت الدهشة والحيرة المكان. وفي ذلك اليوم أدرك الحاضرون أن التوكّل والإيمان والاستمداد الصادق بأولياء الله يفتح أبوابًا لا تدخل في الحسابات المألوفة ولا في المقاييس الطبية المعتادة .

الرواية 145 – بركة الطاعة؛ رزقٌ نزل في عشر دقائق

رواية لأحد خلفاء الطريقة

جاء أحد الخلفاء القدامى إلى مدينتنا، وكان من المقرّر أن يعود في اليوم التالي. وكان ذلك عصرَ يومِ الجمعة، وهو أهمّ وقت في تجارتي. فكّرتُ في نفسي: إن ذهبتُ لزيارة الخليفة فسأفقدُ أهمّ دخلٍ في ذلك اليوم. ووجدتُ قلبي متردّدًا بين الدنيا والمعنى.

لكنني قلتُ لنفسي فجأةً: إن الخليفة جاء للإرشاد، لإحياء القلوب، ولربط الناس بالله. أفأترك هذه الفرصة الروحية من أجل ساعاتٍ من البيع والشراء؟ فأغلقتُ متجري احترامًا لشيخ الطريقة، وذهبتُ لزيارة الخليفة.

وكان الوقت قرابة الساعة الحادية عشرة ليلًا. فالتفت إليّ الخليفة فجأةً وقال:

"يا فلان، أغلقتَ متجرك اليوم من أجل شيخ الطريقة؟"

ومن شدّة الدهشة والأدب لم أجب.

فقال:

"اذهب الآن وافتح متجرك".

قلتُ متعجّبًا:

"الآن وقتٌ متأخّر من الليل، ولا أحد سيأتي للشراء".

فقال:

"لا، اذهب وافتحه. إن شاء الله سيأتي".

لم يبقَ في قلبي إلا الطاعة. فقمتُ وتوجّهتُ إلى متجري وفتحته. ولم تمضِ عشر دقائق حتى دخل رجلٌ يحمل حقيبتين كبيرتين. وقال مباشرةً:

"أنا أشتري الأوشحة المعيبة لأبيعها في المدن الأخرى. هل عندك أوشحة معيبة؟"

توقّفتُ من شدّة التعجّب وقلت:

"في الحقيقة، جمعتُ منها منذ سنوات، ولم أجد لها مشتريًا".

فقال: "أحضرها كلّها".

فأخرجتُ جميع الأوشحة التي بقيت في المخزن سنواتٍ طويلة بلا مشترٍ. فاشتراها كلّها دون مساومة، ودفع مبلغًا كبيرًا أدهشني تمامًا، ثم وضعها في حقيبتيه وانصرف.

الرواية 146 – التخلّص من التأتأة، شفاءٌ بدأ بالبيعة

رواية لإحدى خليفات الطريقة

منذ الصف الرابع الابتدائي وحتى أوائل المرحلة الجامعية، كنتُ أعيش مع تأتأةٍ شديدة في الكلام. ولم تكن هذه المشكلة مجرّد صعوبة في النطق، بل كانت عبئًا ثقيلًا على نفسي وروحي. كنتُ أشعر دائمًا بالحرج والانزعاج، ولم أكن أملك الجرأة للإجابة عن الأسئلة في الصف، خوفًا من سخرية زميلاتي. وقد أثّر ذلك بشدّة في ثقتي بنفسي، ودفعني إلى العزلة.

خلال تلك السنوات، راجعتُ مراكز علاجية متعدّدة، وجرّبتُ أساليب وتمارين مختلفة، لكن دون نتيجة. بقيت التأتأة ترافقني، وبدأ اليأس يتسلّل إلى قلبي شيئًا فشيئًا.

إلى أن تعرّفتُ إلى الطريقة. وفي أحد الأيام، كنتُ جالسةً في منزل الخليفة، فدعوتُ الله من أعماق قلبي أن يقرّبني إليه كما قرّب الخليفة وزوجَه، وأن يحدث في حياتي

تغييرًا عميقًا، لا من أجل علاج التأتأة فحسب، بل من أجل السكينة والقرب من الله.

وحين حان وقت البيعة، شعرتُ بخوفٍ شديد. كنتُ أخشى أن تتعثر كلماتي عند الترديد، وأن تتكرّر معاناتي المعتادة فأشعر بالحرج من جديد. لكن خلافًا لكلّ تجاربي السابقة، خرجت الكلمات من فمي سهلةً واضحة، بلا أيّ تعثّر. كان ذلك بالنسبة لي أشبه بولادةٍ جديدة.

ومنذ تلك اللحظة، زالت التأتأةً تمامًا. مشكلةٌ لازمتني سنواتٍ طويلة، ولم تُجدِ معها أيّ وسيلة علاج، اختفت بصورةٍ مفاجئةٍ وعميقة. وقد أُصيب أفراد أسرتي بالدهشة من هذا التحوّل، وكانوا يقولون: "إنها معجزة".

أما بالنسبة لي، فلم يكن الأمر مجرّد علاجٍ جسدي أو نفسي، بل علامةً بيّنةً على لطف الله وبركةِ البيعة والدخول في طريق الطريقة. وقد علّمتني هذه التجربة أنّ الشفاء الحقيقي قد لا يبدأ من الوسائل الظاهرة، بل من عمق اتصال القلب بالله تعالى.

الرواية 147 - شفاء مرض الصدفية

رواية لأحد سالكي الطريقة

منذ مدةٍ طويلة، وبعد وفاة زوجتي، وبسببِ ضغوطٍ نفسيةٍ شديدة وحزنٍ يفوق قدرتي على الاحتمال، أُصبتُ بمرضٍ مناعيّ ذاتي هو الصدفية.

وهو مرضٌ كان يسلبني كلّ يومٍ جزءًا من راحتي، بما فيه من ألمٍ وإرهاقٍ نفسيّ وجروحٍ متكرّرة.

راجعتُ أطباء كثيرين، وكانوا جميعًا متّفقين على أمرٍ واحد: لا يوجد لهذا المرض علاجٌ شافٍ نهائيّ، وإنما يمكن السيطرة عليه فحسب.

وفي يومٍ بلغت فيه حالتي أشدّ درجاتها، وقد أنهكني المرض جسديًا ونفسيًا، شغّلتُ سورة يس على هاتفي المحمول، واضطجعتُ على سريري.

وفي تلك اللحظة، انتابني شعورٌ عجيب.

تغيّر صوت تلاوة سورة يس، وتحول إلى الصلوات الوصفية بصوت حضرة الشيخ شمس الدين محمد نهرو الكسنزان (ق).

وفي اللحظة نفسها، رأيتُ حضرة الشيخ واقفًا عند رأسي، ممسكًا بعصاه المباركة.

فوضع العصا برفقٍ على رأسي وقال:

"أرسل الصلوات الوصفية".

فأرسلتُ الصلوات بكلّ كياني.

وعندما انتهيتُ منها، أفقتُ على نفسي، فإذا بي قد أمضيتُ ما يقارب سبع ساعاتٍ وأنا أردد الصلوات.

وغمرتني حالةٌ من سكينةٍ عميقة وخفة لا توصف.

ومنذ ذلك اليوم، لم يبقَ في جسدي أثرٌ لمرض الصدفية؛ لا جروح، ولا التهاب، ولا أيّ علامةٍ من تلك التي لازمتني زمنًا طويلًا.

الرواية 148 – شفاءُ مرضٍ مناعيٍّ ذاتيٍّ لتساقط الشعر

رواية لإحدى سالكات الطريقة

قبل مدةٍ من الزمن، أُصيبت حفيدتي – عندما بلغت نحو الرابعة من عمرها – بتساقطٍ في الشعر على هيئة بقعٍ دائريةٍ صغيرة في فروة الرأس. وبعد مراجعة أطباء متعددين وإجراء الفحوصات اللازمة، شُخّصت حالتها بأنها مصابةٌ بمرض الثعلبة البُقَعية، وهو مرضٌ مناعيّ ذاتيّ يهاجم فيه جهاز المناعة بصيلات الشعر خطأً.

ومع الأسف، تفاقمت الحالة بمرور الوقت، ولم يقتصر تساقط الشعر على فروة الرأس، بل امتدّ إلى الحاجبين والرموش، بل وحتى إلى الشعر الخفيف في أنحاء الجسم.

وبعد المرور بمراحل علاجية متعدّدة، ومع تضاؤل الأمل في الشفاء، اصطحبتُ الطفلة إلى التكيّة، واستمددتُ لها العون من شيخ الطريقة.

والحمد لله، بعد عدة أشهر من المواظبة على حضور حلقات الذكر في الطريقة، ومع ما صاحب ذلك من سكينةٍ نفسية وروحية، بدأت علامات التحسّن تظهر تدريجيًا، فتوقّف تساقط الشعر، ثم بدأ نموّه من جديد، حتى عادت الطفلة إلى حالٍ من العافية على نحوٍ غير متوقَّع.

الرواية 149 - شفاءُ مرضٍ جلديٍّ مناعيٍّ ذاتيّ

رواية لإحدى خليفات الطريقة

أُصيب أخي مصطفى بمرضٍ جلديٍّ مناعيٍّ ذاتي، فراجع أمهر أطباء المدينة، وتناول أفضل الأدوية، لكن حالته — مع الأسف — كانت تسوء يومًا بعد يوم. حتى إنه لم يعد يستطيع أن يخطو خطوةً واحدة؛ إذ كان جلد باطن قدميه قد أصبح رقيقًا للغاية، بحيث يتشقّق وينزف كلّما وضع قدمه على الأرض. وباختصار، عجز أفضل الأطباء عن معالجته، وكنا جميعًا في الأسرة في غاية القلق عليه.

وكانت أختي قد أخذت الطريقة حديثًا، فجاءت إلى التكيّة ليلة الخميس للمشاركة في الذكر الجماعي. وفي ختام المجلس، حين كان الحاضرون يردّدون النشيد:

"يا مصطفى، يا مصطفى، أنوارَ العالَم مصطفى"...

رفعت يديها، وبقلبٍ منكسر ناجت في سرّها قائلة:

"يا مصطفى، اشفِ مصطفى".

وبعد أيامٍ قليلة، شُفي مصطفى. وعندما ذهب إلى طبيبه لإجراء الفحص الأخير، أصيب الطبيب وجميع المرضى الحاضرين في العيادة بالدهشة. وأخذ بعضهم يسأله:

"ماذا فعلتَ حتى شُفيت بهذه السرعة، بينما نحن — مع أننا تحت إشراف الطبيب نفسه — لم نُشفَ بعد سنوات؟"

لكنهم لم يكونوا يعلمون سرّ الكنز الخفيّ في الطريقة الكسنزانية، ذلك العطاء الخاص الذي يُوهَب لقلةٍ من الناس دون غيرهم.

الرواية 150 – بشارةُ النور وضيافةٌ مقدَّرة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

قبل سنوات، قدم أحد خلفاء الطريقة من خارج البلاد لزيارتنا. واقترحنا أن نصطحبه إلى إحدى المناطق السياحية ذات الطبيعة الجميلة القريبة من المدينة لتجديد النشاط.

واقترح أحد الدراويش أن نذهب إلى فيلا صديقه الواقعة في مكانٍ أخضرَ هادئ. وبينما كنّا في الطريق، اتصل معتذرًا وقال إن عطلًا في الكهرباء في تلك المنطقة حال دون إمكانية استخدام الفيلا.

وبما أننا قطعنا مسافةً طويلة، قال أحد الخلفاء:

"فيلا زوج عمّتي قريبة من هنا، وهي فيلا كبيرة وفاخرة، لكن قد يكون من الصعب عليهم ترتيب الضيافة في هذا الوقت القصير".

ومع ذلك اتصل به. ولم تمضِ سوى جملٍ قليلة في المكالمة حتى قال فجأةً بنبرةٍ يملؤها التعجّب:

"سبحان الله"...

تساءلنا جميعًا عمّا يحدث. ثم أوضح أن زوج عمّته أخبره بأن عمّته – زوجته – رأت في قيلولة ذلك اليوم رؤيا عجيبة.

قالت إنها رأت نورًا عظيمًا ذهبيّ اللون ينزل من السماء نحو فيلتهم؛ نورًا لم يغطِّ البيت وحده، بل عمّ المنطقة كلّها، بل والحيّ بأسره، وملأ المكان سكينةً وهيبة.

وعلى أي حال، ما إن وصلنا إلى الفيلا حتى استقبلنا زوج العمّة والعمّة وأبناؤهما بترحيبٍ لا يوصف، وأقاموا لنا ضيافةً شهد جميع الدراويش بأنها لم يسبق لها مثيل؛ كأن القلوب كانت مهيّأة سلفًا، وكأن أصحاب الدار دُعوا قبل أن يصل الضيوف.

وهكذا، تحقّق ما رُئي في المنام نورًا وبشارةً، في عالم اليقظة ضيافةً وكرامة.

الرواية 151 - علامةٌ أزاحت السِّتر

رواية بقلم مؤلف الكتّاب

اتصلت بإحدى صديقات زوجتي، وهي ممّن دخلن الطريقة مع زوجها قبل سنوات، وروت لها حادثةً تحمل في طيّاتها عبرًا كثيرة.

كانت هذه السيدة قد سافرت قبل مدة إلى كندا لتسجيل ابنها الوحيد في الجامعة وترتيب إقامته هناك. وعند عودتها، كان الفراق شديد الوطأة عليها بسبب تعلّقها العاطفي الكبير به. قالت إنها في لحظات الوداع، وقلبها مكسور وعيناها تفيضان بالدموع، خاطبت في سرّها شيخ الطريقة قائلة:

"أستودعك هذا الابن، فهل أنت حافظٌ له؟"

وفي تلك اللحظة نفسها، وبينما كانت تبكي، ظهرت في الشقة — مع أن الأبواب والنوافذ كانت مغلقة — فراشةٌ كبيرة ذات لونٍ أخضرَ لامع. أخذت تدور في المكان، ثم

حطّت بهدوء على كتف ابنها. وكان المشهد مدهشًا لهما معًا، فرأت فيه علامةً على لطفٍ وعنايةٍ إلهية.

وبعد عودتها من السفر، بدأت تلاحظ تدريجيًا تغيّرًا في سلوك زوجها؛ فقد ترك الصلاة، وأهمل الذكر، وأصبح غير مبالٍ بالأمور الروحية. كان يعود إلى المنزل متأخرًا، واتسمت تصرفاته بشيءٍ من الخفاء. وحتى عندما قصّت عليه قصة الفراشة، لم يتأثر، بل سخر منها وأنكر ما كان عليه من التزامٍ روحي.

ثم وقع أمرٌ غير متوقَّع. ففي أحد الأيام رنّ هاتفها المحمول، ولما أجابت، تبيّن أن الاتصال قد صدر دون قصدٍ من هاتف زوجها. فسمعت صوته في مكان عمله، يتحدث هاتفيًا مع أقرب أصدقائه، ويقصّ عليه بتفصيلٍ قصة تعرّفه على امرأةٍ أخرى وعلاقته بها أثناء سفر زوجته إلى كندا. بقيت تستمع دون أن تتكلم حتى انقطع الاتصال.

وعندما عاد زوجها إلى البيت، طرحت عليه الموضوع بهدوء، وسردت عليه تفاصيل المكالمة. فشحب وجهه وسأل

مذهولًا:

"كيف عرفتِ؟"

وحين أخبرته بشأن الاتصال غير المقصود، انفجر باكيًا وطلب الصفح بانكسار. وأقرّ بأنه لم يكن أحدٌ يعلم بأمر تلك العلاقة، وأنه في ذلك اليوم تحديدًا – بدافع تأنيب الضمير – قرر للمرة الأولى أن يبوح بالأمر لصديقه المقرّب، وفي اللحظة نفسها انكشف السرّ بطريقةٍ لم يكن يتوقعها.

وقد رأت هذه السيدة في تلك الحادثة إنذارًا إلهيًا وعلامةً على عنايةٍ غيبية؛ استجابةً ربما لم تأتِ بالشكل الذي كانت تنتظره، لكنها جاءت في الوقت الذي كان فيه كشف الحقيقة ضرورةً لإنقاذ حياتهما الزوجية.

الرواية 152 – شكوى الأفاعي

رواية لأحد خلفاء الطريقة

منذ بدايات شبابي، حين التحقتُ بالطريقة، أحببتُ صيد الأفاعي وإظهار الكرامة في هذا المجال. وكان هذا الأمر في ذلك الوقت مسموحًا به للدراويش، لكنه مُنع منذ سنوات طويلة. وعلى كل حال، كنتُ آنذاك أقوم بذلك بإذنٍ صريح من شيخ الطريقة، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق).

في تلك السنوات كان أحد الأطباء المسؤولين عن جمع عينات الأفاعي لمؤسسة باستور يتردد إلى قريتنا، وكنتُ أساعده في صيد الأفاعي. وفي أحد الأيام سألني متعجباً: "ماذا فعلتَ حتى لا تلدغك الأفاعي؟"

فقلت له:

"أنا درويش، ولديّ إذن من شيخ الطريقة لصيد الأفاعي".

فسألني بنبرةٍ نصف جادّة:

"وإن أصبحتُ أنا أيضًا درويشًا، هل لن تلدغني الأفاعي؟"

فقلت:

"الأمر ليس مجرّد اسم الدروشة؛ بل الإذن والرابطة الروحية هما الأساس".

وبعد ذلك أدخلتُه في الطريقة. ثم ناولتُه بحذر أفعى سامة، فرأى بدهشة أن الأفعى هدأت في يده وبقيت ساكنة لا تبدي أيّ حركة عدوانية. وكان هذا المشهد بالنسبة إليه مفاجئًا للغاية.

وفي يومٍ آخر وضعتُ عدة أفاعٍ في سلةٍ وأحضرتها إلى حضرة شيخ الطريقة. وما إن فتحتُ السلة حتى رفعت الأفاعي رؤوسها وبدأت تحرّك أجسادها بحركةٍ متناسقة، كأنها تؤدي تحيةً أو استجابةً خاصة. فابتسم حضرة الشيخ وقال:

"ما شاء الله، ما شاء الله، ما أجمل هذه الأفاعي. دعها تبقى هنا عندنا".

وفي مرةٍ أخرى كنتُ قد أمسكتُ بعدة أفاعٍ أخرى لأحضرها إليه، لكن سفري تأخر قرابة أسبوعين لأسبابٍ مختلفة. وعندما وصلت أخيرًا وفتحت السلة، قال حضرة

الشيخ بلهجةٍ جادّةٍ مشوبةٍ بالتنبيه:
"لماذا أبقيتَ هذه الأفاعي كل هذا الوقت؟ إنها تشكو منك".

تأمل ختامي

تأييدًا لفكرة أن المخلوقات تتأثر أيضًا بحال أولياء الله وحضورهم، وقع حدثٌ في إحدى مراسم المولد الكبرى أمام آلاف الحاضرين. كان أحد الدراويش يعرض كرامةً مع أفعى، وكلما أطلقها في اتجاهٍ ما، كانت تغيّر مسارها على خلاف المتوقع وتتجه مباشرةً نحو شيخ الطريقة، كأنها تسعى إلى الاحتماء بجواره والبقاء في قربه.

ولأهل التأمل، فإن مثل هذه الوقائع ليست مجرد مشاهد مدهشة، بل تذكيرٌ بأن الإنسان إذا بلغ مرتبةً خاصة من صفاء الباطن ورحمة القلب، فإن دائرة تأثيره تتجاوز البشر لتشمل المخلوقات الأخرى أيضًا، التي تدرك بدورها ذلك الأمان والسكينة.

وفي مثل هذه الأحوال، لا تكون الرسالة في الكرامة نفسها، بل في رقة الحضور واتساع دائرة الرحمة.

الرواية 153 – عطرٌ فاح من الماء

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في أحد الأيام، خرجتُ مع جماعةٍ من الدراويش في سفرٍ للإرشاد ولقاء أهل القلوب. وكان بيننا أحد الخلفاء القدامى؛ شيخٌ وقور، رغم تقدّمه في السنّ كان يسير معنا بنشاطٍ وشوق. وكان قد خلع حذاءه ويمشي حافي القدمين، إذ يرى بعض الدراويش في ذلك نوعًا من الرياضة الروحية وزيادةً في ثواب الخدمة.

وبعد أن وصلنا إلى إحدى القرى، دعانا أحد أهلها إلى بيته. فلما جلسنا، التفت ذلك الخليفة إلى صاحبة البيت وقال:

"يا أختي، هل يمكنك أن تحضري قدرًا من الماء؟"

فلما جاءت بالماء، وضع قدميه فيه وغسلهما أمام الجميع. فمال لون الماء قليلًا إلى العكارة. ثم قال بهدوءٍ وثقة:

"من أراد أن يشرب من هذا الماء فليشرب".

في البداية عمّ المجلس شيءٌ من الضحك والدهشة. لكن بعد لحظاتٍ من الصمت، تقدّم أحد الدراويش، فغمس إصبعه في الماء وتذوّقه، ثم شرب منه بكأس وقال:

"يا إخوتي، اشربوا؛ من لم يشرب فاته الخير".

وبدأ الآخرون يشربون واحدًا بعد آخر. وشربتُ أنا أيضًا من ذلك الماء. وعلى خلاف ما توقّعت، كان له عطرٌ طيبٌ ورائحةٌ زكية، وطعمٌ مميّز ما زلت أذكره حتى اليوم.

وكان لهذا الخليفة – الذي لم أره منذ سنوات – أمرٌ عجيبٌ آخر. فعلى الرغم من أنه لم يكن يعرف القراءة والكتابة، كان أحيانًا يمسك ورقةً بيضاء ويتحدث بتركيزٍ وانسياب، كأنه يقرأ من نصٍّ مكتوب، ويستمرّ في بيان المعارف والمواعظ مدةً طويلة دون توقف.

الرواية 154 - شعرٌ في حلقة الذكر ورؤيا الميزان

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في أحد الأيام كنا قد ذهبنا إلى إحدى المدن للإرشاد، وكان مجلس الذكر قائمًا. وفي أثناء الحلقة، أخرج رجل – تبيّن لاحقًا أنه مهندس حاسوب ويشارك للمرة الأولى في مثل هذا المجلس – دفتراً صغيراً جداً من جيبه، وبدأ يكتب بسرعة. وبينما كان الدراويش منشغلين بالذكر والسماع والحركة، وقف هو في الحلقة يكتب بلا توقف في جوٍّ من الإضاءة الخافتة.

وبعد انتهاء الذكر، أطلعني على دفتره. كانت فيه عدة صفحات من الشعر، أبيات موزونة وقوية ذات معانٍ عرفانية عميقة عن الله والسلوك وحقيقة الطريق، بأسلوب يذكّر بأشعار كبار أهل التصوف. وكانت بعض السطور غير مكتملة، حتى إنه لم يستطع قراءة بعض ما كتب. وقال: "كان هناك من يُملي عليَّ هذه الأشعار، وأنا كنت فقط أكتب".

ثم روى حادثة غريبة من ماضيه. قال إنه قبل نحو عشر سنوات رأى في رؤيا واضحة شيخًا نورانيًا في صحراء. رفع ذلك الشيخ يديه إلى السماء، فنزل طائر عظيم يحمل ميزانًا ذهبي اللون. وفي إحدى كفتي الميزان كان يجلس رجل، بينما كانت الكفة الأخرى فارغة. فطلب منه الشيخ أن يجلس في الكفة الخالية. وبعد أن جلس، حمل الطائر الميزان وطار بهما في رحلة مدهشة عبر السماوات والمجرات، ثم عاد بهما إلى الأرض.

وفي المنام سأل ذلك الشيخ:

"من الرجل الجالس في كفة الميزان؟"

فأجابه:

"هو أنت — الحقيقة التي تبقى منك بعد الموت".

ثم أمره بالوضوء. وقال إنه حين توضأ رأى الماء كلما مسّ موضعًا من جسده أضاء بلونٍ أخضرَ نوراني. فقال له الشيخ: "هذا نور الوضوء، كما ورد في الأحاديث أن المؤمنين يُعرفون بآثار نور الوضوء".

ثم أُريَ له شيء من الحقائق المتعلقة بالصلاة والعبادة، وفجأة استيقظ من نومه.

وقال إنه بعد تلك الرؤيا مباشرة ظهرت فيه قدرة على قول الشعر، مع أنه منذ طفولته كان بعيدًا عن الأدب. واستمر ذلك الحال معه ما دام مستقيمًا في سلوكه الأخلاقي، لكن بعد أن ارتكب بعض الذنوب الكبيرة اختفت تلك الموهبة تمامًا. وفي تلك الليلة من الذكر، وبعد سنوات طويلة، عادت إليه تلك الحالة فجأة وبدأ يكتب الشعر من جديد.

وبعد عدة أشهر، جاء أحد خلفاء الطريقة من مدينة أخرى إلى منزلنا. ومن غير أن يعلم شيئًا عن هذه القصة، نقل حادثة عن أحد كبار خلفاء كردستان — الذي كان قد تُوفي حديثًا — وكانت تحمل تشابهًا عجيبًا مع رؤيا ذلك المهندس.

قال إن ذلك الخليفة ذكر أنه كان يومًا مع حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) يتفقدان أعمال البناء في تكيّة السليمانية. وبينما كانا يمشيان، التفت الشيخ فجأة إليه ونظر

في عينيه. وفي اللحظة نفسها وجد نفسه في صحراء. ورأى طائرًا عظيمًا شبيهًا بالصقر يحمل ميزانًا ذهبيًا من السماء. وفي إحدى الكفتين جلس شخص نوراني جدًا، حتى إنه لم يستطع الاقتراب منه لشدة نوره. فأمره الشيخ أن يجلس في الكفة الأخرى. ثم بدأت رحلة في السماوات والعوالم مع الشيخ وذلك الطائر، قبل أن يعودوا إلى الأرض.

ثم هبطوا في منطقة كان ذلك الخليفة يعرفها باسم "دالاهو". وبمجرد أن حرّك الشيخ يده نحوه عاد إلى حالته الطبيعية، بينما كان صوت غرابٍ كان يسمعه قبل ذلك لا يزال مستمراً — وكأن كل تلك المكاشفة حدثت في جزءٍ من ثانية.

ومن شدة دهشته وحيائه قال في نفسه لعل ما رآه كان وهماً. وفي تلك اللحظة نظر إليه الشيخ وقال:

"يا خليفة، كيف كانت دالاهو؟"

فتضاعفت دهشته. فسأل:

"سيدي، أكان ما رأيتُ حقيقة؟"

لكن الشيخ لم يعطه جوابًا صريحًا. ثم سأله:

"ومن كان ذلك الشخص النوراني في كفة الميزان؟"

فقال له:

"ستعرف لاحقًا، لا أستطيع أن أخبرك الآن".

هاتان الروايتان، رغم الفاصل الزمني بينهما وعدم وجود صلة بين راوييهما، ذكرتاني بأن الإشارات والأجوبة الغيبية قد تظهر أحيانًا في صورة رؤيا أو إلهام أو حالة مفاجئة — لا بقصد الاستعراض، بل لإيقاظ القلوب وتوجيه مسار الإنسان.

الرواية 155 – الهالة التي تلاشت فيها أنوار الوجود

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كانت المرة الأولى التي تشرفتُ فيها بزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) بعد سنواتٍ طويلة من البحث في ميادين العلوم الماورائية والمباحث الميتافيزيقية. قبل انضمامي

إلى الطريقة، أمضيتُ ما يقارب ثماني سنوات أتلقى تلك العلوم على أيدي أساتذة مختلفين، حتى صرتُ أنا نفسي أدرّسها وأُعرف بين الناس أستاذًا فيها. غير أنني، إثر حادثةٍ شديدة، وقعتُ في تسخير بعض الكائنات، فابتُليتُ ابتلاءً قاسيًا أوقعني في ضيقٍ شديدٍ في نفسي وروحي. وفي تلك الحال من العجز، نجوتُ بعناية أمير المؤمنين عليٍّ (ع)، ثم تعرّفتُ بعد ذلك بوقتٍ قصير – على نحوٍ عجيب – إلى الطريقة، فتبتُ من تلك المسالك الخطرة التي ذقتُ مرارتها.

في لقائي الأول، كنتُ جالسًا في حضرة الشيخ. كان المجلس مملوءًا بالسكينة والهيبة. وفجأةً سمعتُ في داخلي نداءً لطيفًا يقول:

"انظر إلى نور الشيخ".

وكان المقصود مشاهدة الهالة النورانية المحيطة به. غير أنني كنت أعلم أن النظر الفاحص دون إذنٍ يُعدّ سوء أدب. فقلتُ في سري:

"إن كان في ذلك إذن، فأشيروا إليّ".

وفي اللحظة نفسها، ومن غير أن يوجّه نظره إليّ، أدار حضرة الشيخ رأسه المبارك نحو الجمع، وأومأ برأسه مرتين برفق إلى الأعلى والأسفل؛ إشارةً صامتة، لكنها أوضح من أي كلام.

فركزتُ نظري الباطني – فإذا بي أمام أمرٍ عجيب. لم أرَ أي هالة. لا ذلك الإشعاع الذي يحيط بالإنسان، ولا ذلك اللمعان اللطيف الذي يُرى حتى حول الجمادات والنباتات. كأنني كنت أمام حضورٍ بلا محيط، ونورٍ بلا حاشية.

حاولتُ أن أرفع إدراكي إلى مستوى أعلى. وفي تلك اللحظة، جذبتني حالةٌ روحية فجائية إلى مرتبةٍ من الإدراك كان الفرق بينها وبين فهمي السابق كفرق القطرة عن البحر. ومن ذلك الأفق انكشفت لي حقيقةٌ يعجز اللسان عن وصفها.

ما رأيتُه لم يكن هالةً تحيط بإنسان، بل بحرًا لا حدّ له من النور – وكانت جميع أنوار الوجود فيه غارقةً ومتلاشية. لم تعد هناك هالة تحيط بوجودٍ ما؛ بل صار الوجود نفسه أفق النور، وسائر الأنوار مجرد ظلالٍ في ذلك اللانهاية.

الرواية 156 – بين نارين لا يثبت قلب السالك

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في إحدى الرحلات التي قمنا بها إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، كانت معنا امرأة تُعدّ من المرشدات المعروفات المرتبطات بساي بابا. وكان ساي بابا، المقيم في الهند آنذاك، من أشهر الشخصيات الروحية في العالم، وله ملايين الأتباع في بلدان مختلفة، وكان مزارُه مقصدًا دائمًا للزائرين. وكانت هذه السيدة تقود قوافل من المريدين لزيارته، وكان لها عنده قربٌ ظاهر، إذ كانت تجلس بين يديه، وقد أهدى لها خاتمًا يحمل علامةً خاصة.

وفي الليلة التي وصلنا فيها إلى تكية السليمانية، وبعد صلاة العشاء، أذن حضرة الشيخ بالمجلس. جلسنا في حضرته مع جمعٍ كبير – مئات الأشخاص – وكانت كلماته تنساب إلى القلوب كالماء الصافي. وبعد ذلك أُقيمت المدائح والذكر، ثم انتهى المجلس في ساعةٍ متأخرة من الليل، فعاد الحاضرون إلى أماكن راحتهم.

وبعد قليل، قطع صوت تلك السيدة سكون الليل. كانت واقفةً عند باب مكان إقامة الرجال، تصرخ في حالة اضطراب شديد وتناديني. فلما وصلتُ، وجدتها تبكي والناس مجتمعون حولها. وكانت تكرر:

"إنه رسول الله... إنه رسول الله... لا أستحق أن أبقى هنا"...

هدّأتها وقلت: ما هذا الاضطراب في مثل هذا الوقت من الليل؟ اهدئي واذهبي إلى الراحة. وبين دموعها قالت:

"عندما كان حضرة الشيخ يتكلم، رأيتُ فجأة عمامته قد أصبحت خضراء، وتبدّلت ملامح وجهه، وتحولت لحيته ونظراته إلى هيئة رسول الله ﷺ. لا أستطيع أن أحتمل هذا المشهد"...

وكان التأثر شديدًا عليها حتى كادت الكلمات لا تخرج من فمها.

وبصعوبة هدأناها في تلك الليلة وأوصلناها إلى قسم إقامة النساء.

وبعد تلك الرحلة، تقدمت هذه السيدة في الطريقة حتى وصلت إلى مقام الإرشاد، ودعت كثيرًا من أتباعها السابقين إلى هذا الطريق. ومع ذلك، وعلى الرغم من المكاشفة التي رأتها والكرامات الأخرى التي شهدتها، لم تقطع صلتها بساي بابا ولا بحلقة أتباعه.

وكنتُ أقول لها مرارًا:

"اخلعي هذا الخاتم من يدك. قلب السالك لا يحتمل قبلتين. ومن يقف بين شيخين فكأنما يقف بين سيفين. في هذا الطريق لا يمكن للقلب الواحد أن يحمل محبوبين".

ومع مرور الوقت بدأت هذه الازدواجية تُضعف صفاء حالها. وبدأ مسارٌ من التراجع الباطني، وتبعت ذلك بعض الزلات. وبعد مدة اتصلت بي وقالت إنها رأت في المنام حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق) — قبل أن يتولى مقام شيخ الطريقة — يضربها بسيف.

وكانت تلك الرؤيا بداية مرحلةٍ من الابتلاء: مرض شديد، وآلام نفسية، ثم ابتعاد عن الطريقة، وعودة كاملة إلى

طريقها السابق. وفي النهاية انتهت حياتها في حالةٍ من الضعف والانكسار.

وقد قال أهل السلوك: الطريق واحد، والقلب واحد. فإذا انقسم القلب بين جذبين متضادين، لم ينل كمال النور من هذا ولا من ذاك. وإنما تأتي الإجابة الإلهية تامةً واضحة عندما يتوجه القلب بوجهٍ واحدٍ وقصدٍ واحد.

الرواية 157 – عبيرٌ من طهارةٍ غيبية

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في المرة الأولى التي ذهبتُ فيها إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، كنتُ أتضايق من بُعد الحمّامات وكونها عامة. فقد كنت معتاداً على الاغتسال كل يوم، وإذا مرّ يومٌ دون حمام شعرتُ بالانزعاج من رائحة جسدي. وفي تلك الرحلة مضت أربعة أيام دون أن تتاح لي فرصة الاستحمام. وفي الليل، كنتُ قد تمددتُ متعباً تحت الغطاء.

قلتُ في نفسي: كيف لا أشمّ رائحةً غير طيبة مع أنني لم أستحم منذ أربعة أيام؟ وما إن خطرت هذه الفكرة في بالي حتى فاحت فجأة رائحةُ زهرةٍ عطرة قوية، عطرٍ حيٍّ منعش. فقمتُ من مكاني وأخذتُ أَشمّ المكان من حولي — فلم أجد شيئًا. ثم عدتُ إلى فراشي تحت الغطاء. هذه المرة كان واضحًا أن الرائحة تصدر من هناك. شممتُ يدي فوجدتها معطّرة، ومررتُ يدي على جسدي، حتى على المواضع التي يسرع إليها العرق عادةً — فإذا بها كلها تفوح بعطرٍ طيب.

وفي خلوة تلك الليلة أدركتُ أن الجواب أحيانًا لا يأتي في صورة كلام، بل في صورة حال؛ وأن الطهارة ليست من ماء الظاهر وحده.

تأمل ختامي

في السنوات الأولى من مشيخة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، كان أحد الخلفاء المقرّبين جدًا من حضرة الشيخ عبدالكريم — وهو شيخٌ مسنّ معروف بالكرامات —

ما يزال على قيد الحياة. وكان يُروى عنه أنه نادرًا ما يذهب إلى الحمّام، ومع ذلك كان دائم النظافة طيب الرائحة.

وكان إذا سُئل كيف يبقى طاهرًا مع تركه الاستحمام، يقول:

"الملائكة تغسّلني".

وقد قال أهل المعنى:

إذا غُسل الباطن بماء الذكر، لم يُحرم الظاهر نصيبَه من الطهارة.

الرواية 158 – علامةٌ من أجل التوبة

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في الطريقة، من يدعو الناس بصدقٍ إلى الله لا يشعر أنه وحده؛ فهو تحت العناية الإلهية وتوجّه شيخ الطريقة، حتى في اللحظات التي لا يكون قد أعدّ لها شيئًا.

في أحد الأيام، دخل إلى التكيّة جمعٌ من الشباب، وكان مظهرهم وسلوكهم يدلّ على أنهم غير معتادين على حضور

المجالس الدينية. جلسوا في مجلس الذكر، ثم لما انتهى المجلس وأرادوا المغادرة، تقدّم أحدهم وقال بنبرةٍ متحدّية:

"إن أردتَ مني أن أتوب، فعليك أن تُريني شيئًا".

فقلتُ له:

"إن تبتَ، فإنما تتوب لنفسك، لا من أجلي".

فقال:

"صحيح، لكنكم تدعون الناس إلى التوبة، فلا بدّ أن تقدّموا دليلًا على صحة كلامكم".

وفي تلك اللحظة، ومن غير قصدٍ مسبق أو تفكيرٍ معدّ، جرى كلامٌ على لساني. فالتفتُّ إليه وقلت:

"عمّا تبحث؟ أتجعل التوبة مشروطةً مع الله؟ إن قلتُ لك إن صديقك هذا عمره سبعٌ وعشرون سنةً وشهران، فهل تترك الذنب؟"

فتوقف الشاب الذي كان واقفًا إلى جانبه لحظة، وأخذ يفكّر، ثم قال بدهشة:

"هذا صحيح! عمري بالضبط سبعٌ وعشرون سنةً وشهران".

وكانت تلك الإشارة البسيطة غير المتوقعة كافية لتغيير أجواء المجلس. تبدّلت حالتهم، واستمرّ الحوار بينهم وبيننا. وفي النهاية رقّت قلوبهم جميعًا، فتابوا إلى الله، وأخذوا الطريقة.

وأحيانًا تكون إشارةٌ صغيرة — إذا صدرت عن صدقٍ وفي طريق الدعوة إلى الله — قادرةً على أن تفتح بابًا كبيرًا في القلوب.

الرواية 159 – حين صار صوت الديك ذكرًا

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل أن أقبل الطريقة، كنت محافظًا على الصلاة والصيام، لكن مع مرور الوقت أصابني نوع من الفتور والابتعاد عن الدين. وتدريجيًا نشأ في داخلي نظرٌ سلبيّ وشعورٌ من الشك تجاه الأمور الدينية، حتى زال ذلك الالتزام والشوق الذي كان في قلبي من قبل.

أما دخولي في الطريقة فقد وقع بصورة عجيبة وغير متوقعة، حتى وجدت نفسي في نهاية الأمر أسلك هذا الطريق من غير تخطيطٍ مسبق.

كان بيتنا فيلا ذات حديقة واسعة، وكنا نُربّي في الحديقة ديكًا كان يبدأ بالصياح كل يوم منذ أذان الفجر. وكان صوته يزعجني كثيرًا. فكلما سمعته غضبت وانزعجت، وكنت أسبّ الديك، وألوم من اشتراه، بل وألوم من كان سببًا في إدخاله إلى البيت. وقد بلغ بي هذا الضيق أحيانًا حدّ التذمّر في قلبي من نظام الخلق نفسه.

لكن بعد أن قبلت الطريقة، وقع في الليلة الأولى أمرٌ غيّر نظرتي تمامًا. ففي الصباح الباكر، حين سمعت صوت الديك، لاحظت أن صوته لم يعد يزعجني كما كان من قبل. أنصتُّ إليه بانتباه. هذه المرة بدا لي صوته مختلفًا، واضحًا كأنه يبدأ بـ "بسم الله الرحمن الرحيم"، ثم يردد كلمات تحمل معنى الحمد والثناء لله تعالى.

كان الصوت واضحًا في سمعي إلى حدٍّ لم يترك في قلبي شكًا. في تلك اللحظة أدركت أن هذا الديك، منذ ما قبل

الأذان وحتى طلوع الفجر، يسبّح الله بطريقته الخاصة — وأن الذي تغيّر في الحقيقة لم يكن صوته، بل سمعي أنا.

ومنذ ذلك اليوم فهمت أن التغيّر أحيانًا لا يقع في الأصوات من حولنا، بل في كيفية سماعنا لها.

الرواية 160 – خَتْمُ الدرويشية

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في يومٍ من الأيام، كنت أقوم بتدليك أحد خلفاء الطريقة القدامى. وكان منذ مدة يعاني ألمًا شديدًا في منطقة العنق والكتفين. وأثناء التدليك لاحظت آثار جروح قديمة ملتئمة على كتفيه. فسألته:

"ما هذه الآثار؟" فقال:

"في شبابي، حين كان القيام ببعض الأعمال الخارقة ولعبة السيوف ما يزال مسموحًا، كنت أمارس كثيرًا من ألعاب السيوف. وهذه آثار ضربات السيف".

وبين تلك الآثار رأيت علامة تشبه جرحًا دائريًا بحجم قطعة نقدية، قرب ما بين الكتفين. لا أذكر هل كانت في الجهة اليمنى أم اليسرى. فسألته:

"يا خليفتي، وهل هذه أيضًا من ذلك؟"

فقال:

"لا، لهذه قصة أخرى".

وبعد إلحاحي ابتسم، وبدأ يروي قصته فقال:

"حين كنت شابًا، أخذت الطريقة في زمن حضرة الشيخ عبدالكريم الكسنزان (ق). وفي أحد الأيام ذهبت إلى التكية لحضور الذكر. فسلمت على أحد الخلفاء وتحادثت معه، فقال لي بلطف:

"سلام يا درويش، أهلًا بك".

وفي تلك اللحظة اقترب خليفة آخر وقال:

"أهذا درويش؟ أيُّ درويشٍ هذا؟"!

انكسرت نفسي كثيرًا من هذا الكلام. وعدت إلى البيت حزين القلب. وبكيت كثيرًا، وقلت في خلوتي:

"يا شيخ عبدالكريم، لقد أخذت الطريقة لأكون درويشًا، ولأكون من أهل التوبة والذكر، ولكن خليفتك يقول لي إنك لست درويشًا".

وبينما أنا في ذلك البكاء غلبني النوم. فرأيت في المنام رجلًا يدخل من باب الغرفة. نخفت وسألته:

"من أنت؟"

فقال:

"يا بني لا تخف، أنا عبدالكريم شاه الكسنزان (جدّ الشيخ عبدالكريم الكسنزان)".

ثم سألني:

"ما الذي كسر قلبك؟"

فأخبرته بما حدث.

فقال لي:

"لا تقلق. أنت درويش، تعيش درويشًا وتموت درويشًا".

ثم رفع قميصي، ووضع شفتيه المباركتين بين كتفيّ ومصّ الموضع. فلما رفع رأسه رأيت شيئًا يشبه حبلًا أسود قد خرج من جسدي.

ثم قال مرة أخرى:

"أنت درويش، تعيش درويشًا وتموت درويشًا".

ثم ختم قائلًا:

"وهذه العلامة التي تراها، هي أثر تلك الرؤيا".

الرواية 161 – قرآن الفجر

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في إحدى الليالي كنت شديد التعب، ومع ذلك قررت — رغم الإرهاق — أن أخصّص ساعة للعبادة الليلية بدل النوم. قلت في نفسي إنني سأبقى مستيقظًا حتى أذان الفجر. فبقيت إلى طلوع الفجر مشتغلًا بالذكر والعبادة، ثم صلّيت صلاة الفجر وأديت أذكارها. وبعد ذلك قررت أن أستريح قليلًا.

وفي تلك اللحظة بدأت أصوات الطيور. فمقابل بيتنا أشجار كثيرة، والطيور كل يوم عند اقتراب شروق الشمس تجتمع

على الأغصان وتغرد بصوت مرتفع. وحين يعلو صخبها يصبح النوم صعباً.

في ذلك الصباح كنت متعباً جدًا بسبب سهر الليل. فلما سمعت أصوات الطيور قلت في نفسي:

"لن أستطيع النوم الآن، وغدًا لن أتمكن من العمل بتركيز، وسأكون مرهقًا".

وخاطبت الطيور في قلبي قائلًا:

"أرجوكم اذهبوا، فأنا متعب جدًا وأحتاج إلى النوم".

وفي تلك اللحظة سمعت صوت البلبل الذي اعتاد أن يغرد قرب البيت، لكن هذه المرة بدا صوته مختلفًا. كان صوته كأنه يبدأ بـ "أعوذ بالله"، ثم يشرع في تلاوة القرآن. نغمة هادئة واضحة تغسل القلب، وشعرت بموجة من السكينة والطمأنينة تسري في داخلي.

فالتفتُّ إلى زوجتي وقلت لها:

"هل تسمعين صوت القرآن؟"

فأجابت متعجبة:

"لا".

أما أنا فكان الصوت في سمعي واضحًا وعذبًا. ومع تلك النغمة التي بدت لي كتلاوة للقرآن، هدأ قلبي، وغرقت في نومٍ عميق.

وأحيانًا، بعد ليلة من العبادة، يأتي الجواب لا في كلمات البشر، بل في أنغام المخلوقات التي يسمعها القلب.

الرواية 162 – حين استدارت الأزهار نحو الذكر

رواية لأحد سالكي الطريقة

بعد أن أخذ أبنائي الطريقة، بدأ يُقام في بيتنا – بعد مدة – مجلس ذكر جماعي في أيام الاثنين. كان منزلنا يقع في حيٍّ شمالي، وله حديقة صغيرة لكنها خضراء جميلة؛ فيها أشجار الكاكي والكرز، وكانت أرجاء الحديقة مزدانة بأزهار البوق التي تتفتح ليلًا وتتجه عادةً نحو السماء.

أثناء إقامة الذكر، كنت أقف غالبًا خارج المبنى قرب باب الحديقة، حتى إذا جاء أحد في أثناء المجلس وطرق الباب أسمعه وأفتح له، لئلا يبقى ضيفٌ خلف الباب. وهناك، في

هدوء المكان، كنت أنا أيضًا أشتغل بالذكر، وغالبًا ما أغمض عيني.

لكنني لاحظت أمرًا أثار تساؤلي. ففي كل مرة، بعد انتهاء المجلس وفتح عيني، كنت أرى أن أزهار البوق — التي تنفتح عادةً متجهةً إلى الأعلى نحو السماء — قد مالت بشكل غير مألوف، وصارت متجهةً نحو البيت.

قلت في نفسي:

"هل يمكن أن يكون لهذا التغيّر في الاتجاه علاقة بمجلس الذكر؟"

لم أخبر أحدًا بما رأيت، وقررت أن أراقب الأمر بعناية في الأسبوع التالي. وفي تلك المرة، أثناء الذكر، أبقيت عيني مفتوحتين وركّزت نظري على الأزهار.

وفي تلك الليلة رأيت مشهدًا لم أنسه أبدًا:

فما إن بدأ ذكر "حيّ الله"، وارتفعت الأصوات مع ضرب الطبل والدف، حتى أخذت أزهار البوق واحدةً تلو الأخرى تدور باتجاه البيت الذي كان فيه مجلس الذكر، كأنها جميعًا قد توجهت نحوه.

وما زالت تلك الصورة، بوضوحها الأول، حيّة في ذاكرتي، مشهدًا من مشاهد مشاركة الطبيعة الصامتة في نغمة الذكر.

الرواية 163 – عبور النور بين القلوب

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنتُ قد أخذت الطريقة حديثًا، وكانت أحوال الدرويشية لا تزال غريبة عليّ. لم يكن لديّ فهمٌ واضح لما يجري في مجالس الذكر. وكنت أرى أحيانًا أحد الخلفاء القدامى، أثناء الذكر، يطلق نداءً بصوتٍ خاص، ثم بعده مباشرةً يقع بعض الحاضرين واحدًا بعد آخر في حالاتٍ غير مألوفة، فتظهر عليهم ردود أفعال غير عادية. وكان يدور في ذهني سؤال: ما هذه الحالات؟ ومن أين تنشأ؟

في أحد الأيام كنت جالسًا في التكية. وكان أحد الخلفاء القدامى – وقد توفاه الله الآن – يطلق كل بضع دقائق ثلاث نداءات متتابعة، ليست عالية جدًا، لكنها مؤثرة. وبعد

كل نداء كان بعض الحاضرين يتغيّر حالهم؛ فمنهم من يصرخ، ومنهم من يدخل في حالاتٍ خاصة.

كنت جالسًا بجانب أحد أصدقائي القدامى من الدراويش، فقلت له بنبرةٍ فيها شيء من السخرية:

"ما هذا التصرّف المصطنع؟ ما إن يطلق هذا الخليفة النداء حتى يبدأوا واحدًا تلو الآخر بالصراخ"!

ابتسم بهدوء وقال:

"ليس الأمر كما تظن".

وما إن أنهى كلامه حتى أصابتني حالة أشبه بالخَدَر والضعف. شعرت بأن جسدي قد تراخى، فوضعت رأسي على فخذه، ووضع هو شاله الأبيض على رأسي.

وفي تلك الحالة كنت كأنني أرى بعينٍ داخلية. رأيت نورًا يشبه البرق، بلونٍ أزرق فضّي، يدخل إلى قلب ذلك الخليفة. وفي اللحظة نفسها أطلق النداء. ثم خرج النور من قلبه ودخل إلى قلب أحد الدراويش، فصرخ هو أيضًا. ثم انتقل النور إلى قلب أخي الذي كان قد جاء معي، فأطلق بدوره نداءً. ثم

خرج النور من قلبه ودخل إلى قلب صديقي الذي كان رأسي على نخذه، ومنه وصل إلى قلبي.

في تلك اللحظة شعرت أن قلبي قد اتّسع فجأة، وأحسست بوخزة قوية فيه، فانطلق مني صراخٌ لا إرادي، حتى إنني دهشت من شدة صوتي.

وكان مما رأيته بوضوح أن هذا النور، كلما انتقل من قلبٍ إلى قلب، ازداد امتدادًا وعِظمًا.

وهنا أدركت أن أحوال الدراويش ليست تصنّعًا ولا تمثيلًا، بل هي تجلٍّ لتلقّي نورٍ ينتقل بين القلوب.

الرواية 164 – من المعارضة إلى اليقظة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

قبل أن أقبل الطريقة، كنت أتخذ موقفًا معارضًا لها، وكنت أظنّها طريقًا منحرفًا. وكان بعض أصدقائي ممن يميلون إلى التشدد الديني السطحي يكررون عليّ القول بأن هذا الطريق يبعد الإنسان عن الله وعن أهل البيت عليهم السلام. وقد

أدّى تكرار هذه الكلمات إلى تكوين صورة سلبية في ذهني، فكنت أعترض على الطريقة وأقف منها موقف الرفض.

ومع ذلك، جاء يوم رضيت فيه أخيرًا أن أبايع.

في لحظة البيعة أصابتني حالة لم أختبرها من قبل؛ شوق عميق إلى الله، وشعور بمحبة إلهية غمرت كياني كله. كنت أبكي بلا إرادة وألجأ إلى الله. كان ذلك الحال عميقًا إلى درجة يعجز اللسان عن وصفه.

لا أذكر تفاصيل تلك اللحظة بدقة، لكن مشهدًا واحدًا لا يزال راسخًا في ذاكرتي: عندما جاء دوري للبيعة مع شيخ الطريقة الحاضر، حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، رأيت — وأنا مغمض العينين — شخصين يتقدمان نحوي، وقالا لي:

"بسبب الشيخ محمد غُفرت لك جميع ذنوبك".

وكان في أيديهما شيء يشبه ورقة، فقاما بتمزيقها أمامي ثم انصرفا.

وقد جرت البيعة في وقت العصر، وكان في التكية بعد ذلك مجلس مولودي. وبقيت إلى الليل في حالٍ خاص من

الصفاء، أشعر بخفة عجيبة، كأن حملاً ثقيلاً قد رُفع عن روحي.

وفي تلك الليلة نفسها رأيت في المنام أن شخصًا يهزّني لأستيقظ. فلما فتحت عيني وجدت نفسي في الحرم للإمام علي بن موسى الرضا (ع). فقمت أمشي في الصحن، ورأيت عددًا كبيرًا من الناس نائمين على الأرض، بينما كان بضعة أشخاص بملابس خاصة يوقظون عددًا محدودًا منهم. وكان برد بلاط الصحن تحت قدميّ حقيقيًا إلى درجة أن إحساسه ما زال في ذاكرتي حتى اليوم.

وفي يوم الخميس، عندما ذهبت إلى التكية، رويت هذه القصة للخليفة. فقال لي:

"هذه الطريقة هي طريقة الإمام علي بن موسى الرضا، وهو أستاذ هذا الطريق. وأما أولئك النائمون فهم رمز للغافلين من الناس؛ فمنهم من يوقظه الله بلطفه، ومنهم من يتظاهر بالنوم ولا يقبل الهداية".

وكان لهذا التفسير أثر عميق في قلبي، وزاد يقيني وثباتي في هذا الطريق.

الرواية 165 - المفتاح الذي كان ينطفئ

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنت أعيش مع زوجتي وطفلَيَّ في بيتٍ داخل مزرعة. وفي فصل الشتاء كانت درجة الحرارة ليلًا تنخفض أحيانًا إلى أربع درجات تحت الصفر، لذلك كنا نستعمل مدفأة كهربائية لتدفئة البيت. وفي أحد الأيام أحضر لي أخي مدفأة كهربائية أقوى من المدفأة التي كانت لدينا. فقمت بتوصيلها بمقبسٍ مخصّص للأجهزة ذات الاستهلاك العالي، وله مفتاح قوي لا ينطفئ إلا بضغطٍ شديد.

وأثناء غيابي، وبينما كانت زوجتي وابنتي وحدهما في البيت، لاحظتا أمرًا غريبًا. فقد حدث عدة مرات في أثناء الليل أن مفتاح الكهرباء كان ينطفئ من تلقاء نفسه أمام أعينهما، ويصدر صوت "كليك" واضح. تكرر هذا الأمر مرات عديدة، ومن الطبيعي أن يثير ذلك الخوف في نفسيهما، حتى إن ابنتي صارت تخاف الذهاب إلى الحمام ليلًا.

كنت أنا أيضًا قلقًا، لكن في داخلي كنت أؤمن أن الأمر لا يمكن أن يكون من فعل كائنٍ شرير. فقد كنت قد سمعت في إحدى محاضرات حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) أن الدرويش إذا أتمَّ أذكاره وأوراده اليومية كاملة، فإن نفسه وأهله وماله وبيته يكونون في ذلك اليوم تحت حماية مشايخ الطريقة.

فعرضت الأمر على أحد الخلفاء القدامى، فقال لي: "لا تقلق. لا يصيب الدرويش الذاكر ضررٌ من الأرض ولا من السماء".

وبعد أن أديت أذكار ما بعد صلاة العشاء، دعوت في قلبي حضرة الشيخ شمس الدين الكسنزان (ق) أن يحلّ لي هذه المشكلة.

ومضى نحو شهر، وخلال هذه المدة تكرر هذا الحادث أربع مرات. ثم تعطّل قاطع الكهرباء الرئيسي، فاستدعينا كهربائيًا لتبديله. وبعد أن انتهى من تركيب القاطع الجديد، وقعت عيني – من باب الفضول – على المدفأة نفسها التي كانت تشغل تفكيري طوال الشهر.

وفي تلك اللحظة اكتشفت أن المدفأة، بسبب طريقة تعليقها غير الصحيحة، بدأت طبقتها البلاستيكية تذوب. وكان خطر الحريق حقيقياً، إذ كان من الممكن أن تشتعل وهي معلّقة، أو أن تسقط فتسبب حروقًا أو حريقًا في المنزل. عندها اتضح لي الأمر كله.

أدركت أن انطفاء المفتاح المتكرر لم يكن من عمل قوة شريرة، بل كان من لطف وحماية مشايخ الطريقة، حتى يبقى بيتي وأهلي في أمان من خطر الحريق.

سبحان الله — فهذه الطريقة ليست مجرد أقوال أو ادعاءات، بل هي بحرٌ من الكرامات والتجارب الروحية التي يراها الدرويش ويذوقها في هذا الطريق.

واللافت أنه في تلك الليلة نفسها، وقبل أن أبدأ أذكاري، فتحت يوتيوب، فظهر أمامي مباشرة مقطع لحضرة السلطان الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) يتحدث فيه عن حماية الدرويش الذاكر وبيته وأهله وأولاده — وكأنها إشارة أخرى تؤكد أن مشايخ الطريقة، بنور الله، يرعوننا ويحفظوننا.

الرواية 166 – جوابٌ خفيّ ونظرةٌ جامعة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كانت أول مرة أتشرف فيها بزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) في كربجنة. كنت قد دخلت الطريقة حديثًا، ولم تكن لديّ بعدُ معرفة واضحة بمفاهيم الطريق ولا بالأمور الروحية الغيبية المرتبطة به.

كان حضرة الشيخ جالسًا على كرسي قريب من مبنى قيد الإنشاء، وكنا نحن، مع مجموعة من الدراويش، نقف في صف أمامه. وكان الدراويش يتقدمون واحدًا تلو الآخر، فيجلسون على الأرض ويقبّلون ركبة الشيخ.

كنت أرتدي بنطالًا أسود جديدًا، فخطر في قلبي: "إذا جلست على الأرض فسيتّسخ لباسي." ومع ذلك تقدّمت، اقتداءً بالآخرين، وأديتُ الأدب كما فعلوا، ثم عدتُ إلى الصف.

بعد ذلك بدأ حضرة الشيخ بالكلام، فقال في مستهل حديثه إنه في زمن والده، حضرة الشيخ عبد الكريم

الكسنزان، كانت بعض القبائل الكردية تخيط ثيابًا جديدة وتأتي بها إلى كربجنة، ثم تمرغها في تراب المكان تبركًا، وبعد عودتهم يحتفظون بتلك الثياب، حتى إذا مات أحدهم وُضعت في تابوته طلبًا للبركة.

حين سمعت هذا الكلام أدركت أن ما دار في خاطري قبل قليل – من ضيقٍ بسبب اتساخ الثوب الجديد – قد جاءه الجواب، مع أني لم أنطق بكلمة.

ثم بدأت الموعظة. وأثناء كلامه، وعلى الرغم من أنه كان يضع نظارة شمسية، كنت ألحظ في بعض اللحظات حالًا عجيبًا في ملامحه ونظره؛ إذ كان ينتابني شعور بأن عينيه تتسعان اتساعًا هائلًا، حتى كأنهما تستوعبان الكون كله.

وكان هذا المشهد يبعث في قلبي هيبةً شديدة، حتى أكاد أرتجف من أثره. ثم ما يلبث أن يعود ذلك الوجه نفسه إلى هيئته الهادئة، فأرى أمامي شيخًا وقورًا عطوفًا يتحدث بلطف وطمأنينة. وقد تكرر هذا الحال ثلاث مرات أثناء حديثه.

لم تكن هذه التجربة من قبيل الإدراك الحسي المألوف، بل كانت حالة تُدرك في باطن الشعور، مقامًا يقع بين الهيبة والمحبة.

الرواية 167 – علامة قبل السفر

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كانت بداية تعرّفي إلى الطريقة قصة عجيبة لا تُنسى.

ففي أحد الأيام جاء أحد خلفاء الطريقة إلى مدينتنا مع مجموعة من الدراويش بقصد الإرشاد. ومن خلاله تعرّفت إلى الطريقة، واتفقنا أنه عندما يسافرون إلى السليمانية لزيارة أستاذ الطريقة سأرافقهم، فإذا اقتنعت بالطريق أخذت البيعة.

وبعد مدة اتصل بي وأخبرني أنهم سيتحركون في الأسبوع القادم. فقلت له إنني سأحضر مع ابن أختي، وهو أيضًا طبيب.

في ذلك اليوم كنت في عيادتي الواقعة في منطقة خارج المدينة. وكانت سيارتي متوقفة أمام العيادة، وكنت أراها من خلف الزجاج. وبينما كنت أعمل خطر في ذهني أن السفر في تلك الظروف قد يكون خطيرًا بسبب الاضطرابات في المنطقة. فقررت أن أتحدث مع ابن أختي عندما أعود إلى المدينة لأقنعه بالعدول عن هذه الرحلة.

كنت أقود السيارة في الطريق الجبلي المؤدي إلى المدينة، وفجأة لاحظت شيئًا يشبه قطعة خشب قرب الجهة اليمنى من المقود. فلما دققت النظر تجمّدت في مكاني — كان ثعبانًا. كان قد صعد من أرضية السيارة ووقف ساكنًا، بحيث كان رأسه قريبًا جدًا من يدي.

صرخت وضغطت المكابح وقفزت خارج السيارة. فتحرك الثعبان بسرعة واختفى تحت لوحة القيادة.

حيّرني كيف دخل إلى السيارة؛ فالأبواب كانت مغلقة، والسيارة كانت طوال الوقت أمام عيني وهي متوقفة أمام العيادة. وقفت مدة طويلة على جانب الطريق أترقب مرور سيارة تساعدني، لكن لم يمر أحد. فاضطررت أن أدخل

سروالي داخل حذائي العسكري، وجلست خلف المقود بحذر شديد، أراقب قدميّ طوال الطريق.

مرت دقائق ثقيلة مملوءة بالقلق. وفجأة شعرت ببرودة على يدي اليسرى. نظرت — فإذا بالثعبان نفسه قد خرج مرة أخرى، وهذه المرة على الجهة اليسرى من المقود، واقفًا ساكنًا كأنه ينظر إليّ.

صرخت مرة أخرى، وأوقفت السيارة وقفزت إلى الخارج.

بعد لحظات وصلت سيارة عابرة. وبمساعدة سائقها أخرجنا المقعد، فظهر ثعبان جعفري كبير يبلغ طوله نحو متر ونصف. استطعنا بعصا أن نلقيه خارج السيارة.

وثعبان الجعفري من أخطر أنواع الثعابين؛ فسمّه شديد الفتك، حتى إن لدغته قد تسبب نزيفًا في الرئتين خلال دقائق قليلة.

وقفت أفكر: لقد كان هذا الثعبان قادرًا أن يلدغني مرتين ويقتلني، لكنه لم يفعل.

وفي أعماق قلبي شعرت أن ما حدث لم يكن مجرد مصادفة، بل علامة – علامة كي لا أتراجع عن السفر خوفًا من الخطر، وألا أنصرف عن لقاء أستاذ الطريقة.

وفي تلك اللحظة قررت أن أضع الخوف جانبًا، وأن أشارك في تلك الرحلة.

الرواية 168 – قراءة القلوب

رواية بقلم مؤلف الكتاب

فيما يتعلق بالخليفة الذي روى حادثة الثعبان، أرى أنه من المناسب أن أذكر بدوري رواية مرتبطة بذلك الحدث.

فبعد أن جاء ذلك الطبيب وابن أخته – وهو طبيب أيضًا – معنا إلى السليمانية، توجهنا إلى مكان إقامة الدراويش. وبعد مدة قصيرة جاءا إليّ وقالا:

"يا خليفة، إن هذا المكان لا يبدو مناسبًا لإقامتنا، ونفكر في الذهاب إلى فندق".

فقلت لهما:

"وما المشكلة في هذا المكان؟"

قالا:

"تبدو الأغطية وكأنها استُعملت من قبل، ولا نعلم مدى نظافتها، كما أن مكان الإقامة نفسه ليس مريحًا".

فقلت لهما:

"لقد دخلنا ضيوفًا في دار أستاذ الطريقة، وليس من اللائق أن نترك المكان ونذهب إلى فندق".

فقالا:

"إذن سنبقى مستيقظين هذه الليلة ولن ننام على هذه الأغطية، وفي الصباح نعود إلى مدينتنا".

فقلت:

"كما ترون مناسباً".

وفي تلك الليلة ذهبنا جميعًا في جماعة لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وبعد انتهاء الموعظة والخطاب، التفت إليّ حضرة الشيخ وقال:

"يا خليفة، انقل الدراويش إلى مكان الإقامة في الطابق العلوي من التكية، فهو مخصص للضيوف".

فقلت:

"إن أذنتم لنا، فنحن نفضل البقاء مع الدراويش في القسم العام".

فقال:

"أعلم أنك تحب البقاء هناك، لكني أقول هذا من أجل بعض الضيوف الذين جاءوا معكم".

عند سماع هذه الكلمات اندهش الرجلان وشعرا بشيء من الحرج. وقد أخبرني لاحقًا ابن الأخت أنه قال لخاله:

"يبدو أن ما يُقال عن أستاذ الطريقة صحيح؛ أنه يطّلع على ما في قلوب الناس. وإلا كيف علم أننا غير مرتاحين في مكان الإقامة في الأسفل؟"

على أي حال، قمت بنقل الجميع إلى مكان الإقامة في الطابق العلوي، وكان مكانًا مرتبًا ومهيأً لاستقبال الضيوف.

وبعد قليل دخل أحد الدراويش، وكان يحمل أربع بطانيات جديدة ما تزال في أغلفتها. ومن بين نحو أربعين

شخصًا كان في المكان، توجه مباشرة إلى ذلك الطبيب وابن أخته وسلّمهما البطانيات.

كان لهذا الموقف أثر عميق في نفسيهما، فتغيرت نظرتهما إلى أجواء الطريقة وحالها. وفي تلك الليلة نفسها، أخذا الطريقة عن يقين وطمأنينة في القلب.

الرواية 169 – جواب بلا رسالة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

كنا نستعد للسفر مع مجموعة من الدراويش إلى السليمانية لزيارة أستاذ الطريقة. وقبل السفر جاءت إلى منزلنا زوجة أحد كبار وجهاء المدينة، وكانت هي وابنتها قد أخذتا الطريقة، وكنا نكنّ لهما احترامًا كبيرًا.

أعطتني ظرفًا مغلقًا وقالت:

"بلّغ سلامي إلى حضرة الأستاذ، وسلّمه هذه الرسالة، وإن أجاب عنها فأعد إليّ الجواب".

عندما وصلنا إلى السليمانية دخلت إلى حضرة الأستاذ، وشرحت له الأمر، ثم سلّمته الرسالة. فأعطاها لأحد الخدم، فوضعها على الرف في الغرفة.

وبعد يومين عدت لزيارته مرة أخرى، فرأيت أن الرسالة ما تزال في مكانها، لم تُفتح.

في هذه الأثناء اتصلت بي زوجتي وسألت:

"هل وصل الرد؟"

فأخبرتها بما حدث. فقلقت وقالت:

"لابد أن تذكّر الشيخ بالرسالة. فهذه العائلة من الشخصيات المرموقة في المدينة، وإن بقيت الرسالة بلا جواب فربما يتأذّون".

قلت لها:

"لا أجرؤ على مثل هذا التذكير".

حاولت مرات أن أطرح الموضوع، لكنني في كل مرة كنت أتراجع. وحتى في يوم الوداع، عندما ذهبت لزيارة الأستاذ مرة أخيرة، كانت الرسالة ما تزال على الرف كما هي.

عدت إلى مدينتي وأنا أشعر بشيء من القلق، وكنت أظن أن زوجتي وتلك العائلة سيغضبون مني بسبب ذلك.

لكن ما إن وصلت، حتى جاءت تلك السيدة مع ابنتها لزيارتي، بوجهٍ طلقٍ وكلمات شكرٍ كثيرة، وقالتا:

"لقد وصلنا جواب حضرة الشيخ".

تعجبت وسألت:

"وكيف ذلك؟"

فقالتا إن ابنتها رأت حضرة الشيخ في المنام قبل ليلتين، وقد خاطبها في الرؤيا وأخبرها أن زوجها سيعود مرة أخرى إلى طريق الإدمان، ولن يستطيع أن يبني لها حياة مستقرة، ونصحها ألا تضيع عمرها في هذا الطريق، وأن تتخذ قرارًا حاسمًا بشأن حياتها.

وعندها اتضح أن الموضوع الذي كتبوا عنه في الرسالة كان هو هذا القلق المتعلق بحياة ابنتهم، وأن الجواب الذي كانوا ينتظرونه قد وصلهم، ولكن بطريقة أخرى.

الرواية 170 – علامة لقلبٍ متردد

رواية لأحد خلفاء الطريقة

ذهبنا إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). كنت قد أخذت الطريقة حديثًا، غير أن الإيمان والاعتقاد العميق بأستاذ الطريقة لم يكن قد ترسّخ بعد في قلبي، وكنت قد جئت مع الدراويش بدافع الفضول أكثر من أي شيء آخر.

في تلك الليلة كنا نستريح مع جمعٍ كبير من الدراويش في قاعة واسعة. وكان أحد الدراويش يعمل في صناعة الكعك، فأرسل للجماعة عدة صناديق من الكعك على شكلين: مستدير وطويل.

وفي الصباح أخذني أحد الخلفاء القدامى جانبًا وقال: "كُلْ من هذا الكعك المستدير، فقد تبرّك. لقد جاء حضرة الشيخ الليلة إلى مكان النوم، ومسح بيده عليه، وأكل واحدة منه".

قلت في نفسي: ما أعجب هذا! ما أشدّ خيالهم! فنحن كنا مستيقظين في تلك الليلة ولم نرَ شيئًا من هذا.

وبعد مدة جاءني شخص آخر كان معروفًا بين الناس باشتغاله بعلومٍ غريبة، وكان هو أيضًا قد جاء في هذه الرحلة بدافع الفضول، فقال لي:

"رأيت حضرة الشيخ في المنام الليلة الماضية. لقد جاء إلى مكان نومنا، ومسح بيده على الكعك، وأكل واحدة منه".

فقلت له لأختبره:

"لقد أكل من الكعك الطويل، أليس كذلك؟"

فأجابني على الفور:

"لا، بل من الكعك المستدير".

وكان هذا التوافق والتطابق في القول أمرًا لافتًا بالنسبة لي، وأنا الذي كنت أنظر إلى الأمر بعين الشك، فأخذت أتأمل فيه مليًّا.

الرواية 171 - الباز الأشهب

رواية لأحد سالكي الطريقة

كنت قد سمعت كثيرًا من الحكايات عن حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ق) وعن لقبه "الباز الأشهب"، وكنت أحمل في قلبي محبة كبيرة له. وفي إحدى الليالي في التكية أعلن خليفتنا أن تلك الليلة هي ليلة ميلاده. وقال: إن هؤلاء العظماء في ليلة ميلادهم لا يأخذون الهدايا، بل يعطونها؛ فإذا كان لأحدكم طلب فليسأله منهم.

فتمنيت في قلبي أن أتشرف برؤيته في المنام أو في اليقظة. وفي تلك الليلة، عندما عدت إلى البيت، رأيت حلمًا عنه، ولكن عندما استيقظت نسيت الحلم، فحزنت كثيرًا لذلك.

وبعد أن ارتديت ملابسي، وبينما كنت أتهيأ للخروج من الشقة، وما إن فتحت الباب حتى رأيت على درابزين السلم بازًا أشهب كبيرًا؛ بازًا ذا ريش بارز على رأسه كأنه تاج، جالسًا على الكرة الخشبية في أعلى الدرابزين، ينظر إليّ بهيبة

خاصة. تجمدت لحظة من الخوف. أغلقت الباب وقلت في نفسي: لعلني أخطأت في الرؤية.

فتحت الباب مرة أخرى، فإذا به ما يزال في مكانه، ينظر إليّ بالهيبة نفسها. ناديت أبي وأخي الأصغر. فتحنا الباب ونظرنا إليه نحن الثلاثة. كان ينظر إلينا بهدوء ووقار، من غير أن يخاف أو يتحرك. وكنّا نقول بدهشة: بازٌ أشهب في شقة سكنية؟

دخل أخي إلى الداخل وأحضر ملاءة ليحاول الإمساك به. فنظر إليه الطائر بنظرته نفسها، وقبل أن يقترب منه، تحرك حركة سريعة، وفي أقل من ثوانٍ قليلة، خرج بهيبة عبر نافذة صغيرة كانت نصف مفتوحة وغادر المكان.

وكان موضع دهشتنا كيف استطاع طائر بتلك الضخامة أن يمر من تلك الفتحة الضيقة.

الرواية 172 – ثلاث شوكولاتاتٍ للتبرّك

رواية لأحد سالكي الطريقة

قبل أن أبدأ بذكر الرواية الأصلية، لا بدّ أن أحكي لكم رؤيا عجيبة رأيتها قبل مدة.

رأيت في المنام أنني كنت أتحدث مع خليفتنا في التكية. كان الخليفة يرتدي معطفًا طويلًا أسود اللون ذا ياقةٍ مغلقة، وكان واقفًا على سجادةٍ ذات أرضيةٍ صفراء. وبعد أن انتهى الحديث، وعندما كنت على وشك مغادرة الغرفة، ناداني. عدت إليه، فمدّ يده نحوي وفتحها. كان في كفّه ثلاث قطع كبيرة من الشوكولاتة. أعطاني إياها وقال:

"هذه تبرّك لك ولاثنين من أصدقائك"، وذكر اسميهما.

وبهذه المقدمة أنتقل إلى الرواية الأصلية التي وقعت بعد نحو أسبوعٍ من تلك الرؤيا:

قبل أن أنضم إلى الطريقة، لم يكن لديّ اعتقاد قوي بدين الإسلام، بل كنت أراه دينًا مفروضًا علينا ورثناه من آبائنا. لكن بعد دخولي في الطريقة تغيّر كل شيء تمامًا. وعندما

علمت أن الإمام علي بن موسى الرضا (ع) من مشايخ الطريقة الكسنزانية، امتلأ قلبي بحبٍ عجيب له. وصرت ألوم نفسي كثيرًا لأنني في مرات سابقة لم ألبِّ دعوة عائلتي لزيارة مرقده الشريف في مدينة مشهد.

على أية حال، قبل مدة مرض والدي، فأخذته لإجراء عملية جراحية إلى بيت عمتي التي تسكن في مدينة جرجان، وهي تبعد نحو ستمائة كيلومتر عن مشهد. وفي ذلك اليوم، في فترة بعد الظهر، قام الأطباء بإعداد والدي للعملية، وقرروا أن يُنقل إلى غرفة العمليات في الساعة السابعة صباحًا من اليوم التالي.

وأثناء عودتي إلى منزل عمتي، وقع بصري فجأة على لوحةٍ مكتوبٍ عليها: "600 كيلومتر إلى مشهد". وفجأة امتلأ قلبي بعشق الإمام الرضا. وفي لحظةٍ خطرت في ذهني فكرة أن أذهب إلى مشهد، أزور المرقد الشريف، ثم أعود لأكون في المستشفى في الساعة السابعة صباحًا من الغد. وضغطت قدمي على دواسة الوقود من غير شعور، وانطلقت بأقصى سرعة نحو مدينة مشهد. وصلت إلى هناك عند الساعة العاشرة ليلًا.

كانت تلك المرة الأولى التي أزور فيها هذه المدينة. لم أفعل شيئًا سوى اتباع اللوحات المرورية التي تشير إلى الطريق المؤدي إلى الحرم. كان الأمر كأن شخصًا آخر يقود السيارة بدلاً مني.

وعندما اقتربت من الحرم دخلت إلى موقف للسيارات، وبعد أن أوقفت السيارة بدأت أجري نحو باب الموقف. فجأة سمعت صوتًا ينادي بصوت مرتفع:

"أيها السيد! كيف دخلت إلى هنا؟"

توقفت، وإذا برجل يركض نحوي. قلت له:

"جئت بالسيارة. هل فعلت شيئًا خاطئًا؟"

قال:

"أي سيارة؟"

فأشرت إلى سيارتي. فقال متعجباً:

"أأنت جئت بهذه؟"

قلت:

"نعم. يمكنك أن تلمس محرك السيارة، فما زال ساخناً".

فقال:

"سبحان الله! أنا المسؤول عن هذا الموقف، وهذا الموقف مخصص لخَدَمة الحرم".

قلت معتذرًا:

"لم أكن أعلم. إذا أمرتني أخرجت السيارة فورًا".

فلوّح بمفاتيحه وقال:

"باب هذا الموقف مغلق، ومفتاحه معي. من أين أتيت؟"

قلت:

"أتيت من مدينة جرجان، وهذه أول مرة آتي إلى هنا. لم أكن أعرف المكان، فدخلت إليه عن طريق الخطأ".

فقال:

"تعال معي".

فأخذني معه، وسلّمني إلى أحد خَدَمة الحرم في الداخل، وتحدث معه قليلًا، ثم قال لي:

"يا أخي، عندما تزور الحرم ادعُ لي".

فقلت له:

"يا أخي، أنا نفسي بحاجة إلى من يدعو لي".

ثم أخذني الخادم الآخر إلى داخل الحرم، وطلب مني هو أيضًا دعاءً خاصًا له.

وبمجرد أن دخلت إلى ساحة الحرم الداخلية، جاء فجأة حمام أبيض مسرعًا نحوي، ومرّ فوق رأسي واختفى، حتى إن جسده لامس رأسي.

وفجأة بدأ جسمي يرتجف، واستغرق الأمر بعض الوقت حتى عدت إلى حالتي الطبيعية. ثم بدأت أمشي. وكلما قطعت بضع خطوات كان ذلك الحال يتكرر معي؛ فأقف قليلًا وأرتجف، ثم أواصل السير.

وفجأة جاء نحوي خادم طويل القامة وقال:

"من علّمك هذا؟"

قلت: "أي شيء؟"

قال: "هذا الأسلوب في الزيارة".

قلت: "لا أفهم عمّا تتحدث".

قال:

"هذه الأماكن التي توقفت عندها أثناء الزيارة هي تقليد قديم، لا يعرفه إلا عدد قليل من خَدَمة الحرم القدامى".

فقلت: "والله هذه أول مرة أزور فيها الحرم".

فقال:

"أكمل زيارتك، ثم اذهب إلى الطابق العلوي إلى السيد فلان. هو أعلم منا بهذه الأمور. سأذهب الآن إليه وأخبره عنك".

وبعد أن انتهيت من الزيارة – وكانت زيارة سريعة بسبب عجَلتي – صعدت إلى الطابق العلوي ودخلت مكتب الرجل الذي ذكر اسمه. استقبلني بحرارة، وتحدث معي قليلاً. وبما أنني كنت مستعجلًا، شكرته وتوجهت بسرعة نحو الباب.

وعندما فتحت الباب قال مرة أخرى:

"يا بني"!

فالتفت نحوه. مدّ يده نحوي وفتح قبضته. فإذا في كفه ثلاث قطع كبيرة من الشوكولاتة – هي نفسها التي رأيتها في المنام.

وفي لحظة واحدة وقعت عيناي على ثيابه، فإذا هي ثياب خَدَمة الحرم، وعلى السجادة ذات الأرضية الصفراء التي كان واقفًا عليها. عندها تجمدت في مكاني. لقد كان المشهد

نفسه الذي رأيته في المنام، إلا أن ملامحه لم تكن كملامح خليفتنا الذي رأيته في الحلم.

لم يكن هناك حاجة إلى سؤال. أخذت الشوكولاتات من يده، وخرجت مسرعًا أركض نحو موقف السيارات.

وعندما دخلت الموقف رأيت الرجل نفسه الذي استوقفني في البداية، وكان يتحدث مع عدة أشخاص. فلما رآني أشار إليهم وقال:

"هذا هو الشاب".

فأقبلوا جميعًا نحوي بسرعة، وطلبوا مني بتواضع أن أدعو لهم.

فقلت:

"دعوني وشأني! من أنا حتى أدعو لكم؟ أنا نفسي بحاجة إلى من يدعو لي".

وعلى كل حال، ركبت السيارة بسرعة، وانطلقت مسرعًا عائدًا إلى جرجان، حتى وصلت إلى المستشفى في الساعة السادسة والنصف صباحًا، قبل أن يُنقل والدي إلى غرفة العمليات بقليل.

الرواية 173 - ذكر الطائر

رواية لأحد سالكي الطريقة

كنت إنسانًا شديد الشك، وكان دخولي في الطريقة مصحوبًا بعدة أحداث غير عادية. أول تلك الأحداث وقع عندما جاء مدير المصنع، وكان هو نفسه خليفة للطريقة، بأحد الخلفاء الأكراد إلى مصنعنا. وعندما اقتربت منهما عرّفني المدير بذلك الخليفة. وعند مصافحتي له شعرت فجأة بشيء يشبه شرارة كهربائية هزّت قلبي وكل جسدي.

قال لي مدير المصنع إن ذلك الخليفة جاء مع بعض دراويشه إلى تكيّتهم للإرشاد، وإنني إن كنت مهتمًا يمكنني أن أذهب لزيارتهم. في البداية وافقت، لكنني بعد ذلك فكرت في نفسي أن هذه الأمور ربما تكون فيها شبهة شرعية، فتراجعت عن الفكرة.

في اليوم التالي كرر دعوته مرة أخرى. قلت في نفسي إن عملهم ليس صحيحًا، وإن طريقهم ليس حقًا. وفي تلك الليلة رأيت في المنام رجلًا نورانيًا يرتدي ثيابًا سوداء وعمامة

سوداء كانت مربوطة إلى عنقه، وكان كأن مسحوق الألماس قد نُثر على لحيته المباركة. قال لي:

"يا بني، اذهب ولا تخف. هذا الطريق حق".

استيقظت من النوم. وبالنظر إلى ما حدث لي سابقًا وإلى هذا المنام، قلت في نفسي: لعل في هذا الطريق حقيقة. غدًا سأذهب حتمًا.

وفي الصباح عندما ذهبت إلى المصنع أردت أن أذهب إلى مدير المصنع لأطلب منه عنوان المكان، لكن بعد قليل عاد الشك يتسلل إلى قلبي مرة أخرى وقلت لنفسي: دع الأمر، لقد أصبحت أتخيل أشياء.

وكان صوت آخر في داخلي يقول: اذهب، فزيارته تستحق. وبين هذين الصوتين بقيت مترددًا، حتى قلت في نفسي: إن دعاني مدير المصنع مرة أخرى فسأذهب.

ولم تكد هذه الفكرة تمر في ذهني حتى رنّ هاتفي. كان مدير المصنع، وقد كرر دعوته مرة أخرى.

وعلى أي حال، في ذلك المساء ذهبت إلى تكيّتهم وأخذت الطريقة. وعندما أخذت الطريقة شعرت وكأن

حملاً ثقيلاً قد أُزيل عن قلبي. بدأت بالأذكار، وكنت أشعر بحالٍ طيبٍ جدًا.

وكان مدير المصنع، الذي كان أيضًا خليفتنا، يؤكد علينا أن نستيقظ لصلاة الفجر وأن نقول أذكار الطريقة بعد الصلاة. وأنا الذي لم أكن أصلي حتى قبل ذلك، صرت ألتزم بهذا الأمر كل يوم، ومع ذلك كان الشك في أنني قد أفقد إيماني يعذبني أحيانًا.

وفي صباح أحد الأيام، بينما كنت أقف في شرفة المنزل أقول الأذكار بعد الصلاة، جاء بلبل وجلس على درابزين الشرفة. كنت أذكر الله، وكان البلبل يغرد، وكان صوته كأنه هو أيضًا يذكر الله.

من غير شعور بدأت أبكي من هذا المشهد. كنت أقول الذكر، وهذا الطائر أيضًا كان يذكر الله.

مددت يدي نحو الطائر وقلت:

"أيها الطائر، بالله عليك، إن كانت هذه الطريقة في سبيل الله، فتعال واجلس على يدي".

وفجأة طار البلبل من فوق الدرابزين، وجاء بهدوء عجيب، وجلس على كف يدي.

وهذه مجرد بعض الأمور الخارقة التي حدثت لي. وهناك أحداث أخرى كذلك، لكنني أكتفي بهذا القدر في الوقت الحاضر.

الرواية 174 – وقودٌ من حيث لا يُحتسب

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كنا قد ذهبنا بسيارتنا الخاصة مع مجموعة من الدراويش في مهمة إرشاد. وعند عودتنا كان الوقت يقارب الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كنا جميعًا متعبين ومنهكين ونحن في طريق الرجوع. كما أن كمية البنزين في السيارة كانت توشك على النفاد، وكانت محطات الوقود على الطريق إما مغلقة أو خالية من الوقود.

وفي اللحظات الأخيرة، بينما كنا نتقدم بقلق خشية نفاد البنزين، وصلنا إلى محطة وقود. كان هناك صف طويل من

السيارات يقف خارج المحطة، لكن داخل ساحة المحطة لم يكن هناك أي سيارة. دخلنا إلى المحطة وتوقفنا عند أحد المضخات، وبدأنا بتعبئة الوقود بشكل طبيعي.

وفجأة اندفع سائقو السيارات الذين كانوا ينتظرون في الصف خارج المحطة نحونا بسرعة، وقالوا متعجبين:

"كيف استطعتم تعبئة البنزين؟"

فأجبنا:

"كما نفعل دائمًا".

وفي تلك اللحظة خرج حارس المحطة مسرعًا من المكتب وسأل بدهشة:

"كيف شغّلتم المضخة؟ هذه المضخات مطفأة"!

ثم أوضح أن المسؤول عن المحطة قد أوقف المضخات بسبب نفاد الوقود وغادر المكان، وأن جميع السيارات تنتظر حتى الصباح لوصول صهريج الوقود.

سادت حالة من الدهشة والازدحام في المكان. اتصل الحارس بمسؤول المحطة وأخبره بما حدث، فعبّر هو الآخر عن دهشته عبر الهاتف. وبعد أن انتهينا من تعبئة الوقود،

دخلت بقية السيارات إلى ساحة المحطة، لكن على الرغم من أن المضخات كانت تعمل، لم يخرج منها أي بنزين بعد ذلك.

الرواية 175 – عطرُ خِدمةٍ خفيّ

رواية بقلم مؤلف الكتاب

كنت قد اصطحبتُ عددًا كبيرًا من الأشخاص المتعلمين، من بينهم طلاب في كلية طب الأسنان ومهندسون، إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وكان ذلك في اليوم الثاني من إقامتنا. ووفق البرنامج الذي أُعلن في اليوم السابق، كان من المقرر أن يحضر حضرة الشيخ إلى ساحة الذكر في الساعة العاشرة والنصف صباحًا، لنذهب نحن مع دراويش التكية الآخرين لزيارته.

وقبل الموعد بنحو عشر دقائق، جاء أحد المسؤولين عن الخدمات في التكية إلينا وطلب إرسال عدد من الأشخاص للمساعدة في نقل النفايات. وبما أن الجميع كان على وضوء ويرتدي لباسًا مناسبًا للزيارة، فمن الطبيعي أن لا يرغب أحد

في الذهاب للقيام بهذا العمل في تلك اللحظة. ومع ذلك تطوع أربعة أشخاص من بين الحاضرين.

وبعد نحو عشر دقائق، عندما ذهبنا إلى ساحة الذكر للزيارة، رأيت أولئك الأربعة هناك أيضًا. فظننت في البداية أنهم لم يذهبوا للقيام بالمهمة، ولكن عندما تحدثت معهم قصّوا عليّ حادثة عجيبة، وخلاصتها كما يلي:

كان عليهم أن ينقلوا حاويات نفايات كبيرة مصنوعة من البلاستيك من جانب المطبخ إلى نهاية ساحة التكية. ولأجل الإسراع كان كل واحد منهم يضع حاوية على كتفه ويسير بها مسرعًا. وبسبب وجود شقوق في بعض الحاويات، كان سائل النفايات يتسرب إلى ملابسهم، فتتلوث أجسادهم وثيابهم.

وبعد أن انتهوا من العمل قال بعضهم لبعض إنهم لن يتمكنوا من حضور الزيارة؛ لأن ملابسهم قد تلوثت ويحتاجون إلى الاغتسال، وحتى لو فعلوا ذلك فإن وقت اللقاء سيكون قد انتهى.

ولكنهم فجأة شعروا برائحة طيبة زكية، كأنها عطر الزهور، تفوح من أجسادهم وملابسهم؛ رائحة قالوا إنهم لم يشمّوا مثلها من قبل. فتعجبوا وفرحوا بذلك، وعدّوا ما حدث كرامة من الله تعالى، فسارعوا إلى ساحة الذكر.

والأعجب من ذلك أنهم عندما وصلوا إلى الساحة وجدوا أن حضرة الشيخ لم يكن قد حضر بعد، بل دخل بعد وصولهم بدقيقة أو دقيقتين فقط. وكانوا يظنون أنهم، بسبب طول المسافة وتكرار الذهاب والإياب، قد استغرقوا في العمل ما لا يقل عن نصف ساعة. ولكن عندما نظروا إلى الساعة تبيّن أن مجموع الوقت الذي استغرقه العمل لم يتجاوز سبع أو ثماني دقائق.

الرواية 176 – نجاةٌ في المنحدر

رواية بقلم مؤلف الكتاب

قبل يومين من عطلة العيد اتصلت بي عائلة المرحوم الخليفة عارف – الذي ذكرتُه مرارًا في هذا الكتاب – وأخبروني أن

حالته الصحية ليست على ما يرام. فانطلقت فورًا إلى كردستان لأحضره وأوصله إلى طبيب متخصص. وبعد نحو اثنتي عشرة ساعة من القيادة وصلت إلى منزله، وكان يقع في قرية جبلية.

أصرت زوجته أن أبقى تلك الليلة عندهم وننطلق في الصباح، لكنني لم أقبل؛ لأن عطلة العيد كانت على وشك أن تبدأ، ومع بدايتها يصبح الوصول إلى طبيب متخصص أمرًا صعبًا. لذلك أقللتُ الخليفة عارف وابنته ذات الثمانية عشر عامًا في السيارة، وانطلقت في طريق العودة بأقصى سرعة ممكنة.

وقبيل الفجر بقليل، استيقظت فجأة على صوت ارتطامٍ واهتزازٍ شديد في السيارة. فإذا بالسيارة تتحرك في منحدر على يسار الطريق، وكنت أنا والخليفة عارف وابنته جميعًا نردد معًا:

"يا رسول الله، يا رسول الله."

فسحبت المقود فورًا نحو اليمين، وتمكنت من السيطرة على السيارة وإعادتها من ذلك المنحدر الحاد إلى الطريق السريع.

ويبدو أنني كنت قد غفوت لحظات أثناء القيادة، فانحرفت السيارة بسرعة تقارب مئة كيلومتر في الساعة عن المسار الرئيسي، ونزلت من الساتر الترابي على جانب الطريق. ومع ذلك، وعلى نحوٍ مدهش، استمرت في الحركة دون أن تنقلب أو تصطدم بشيء خطير، ولم يصب السيارة أو ركابها أي أذى.

الرواية 177 – كَمَنْدُ الهداية

رواية لأحد خلفاء الطريقة

بعد عدة أشهر من تشرفي بالطريقة، ذهبت إلى التكية للمشاركة في الذكر الجماعي. وفي أثناء الذكر، وبينما كانت عيناي مغمضتين، طرأت عليّ حالة أشبه بالمكاشفة. فرأيت نفسي واقفًا على قمة جبل، وفي أسفله كانت تنتشر الحيوانات المفترسة والمخلوقات الوحشية ووجوه خبيثة.

وعندما نظرت أمامي رأيت جبلًا آخر. وعلى قمته كان عرش عظيم أشبه بالعرش الملكي، يجلس عليه رجل جليل متكئ على عصا، وخلفه اصطف مشايخ الطريقة.

وفيما بعد، عندما ازداد اطلاعي على الطريقة، أدركت أن ذلك الرجل النوراني هو الغوث الأعظم حضرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني (ق).

وفي تلك الحالة رأيت أن الغوث الأعظم أشار بيده إلى حضرة السلطان محمد المحمد الكسنزان (ق) وأمره أن يمسكني. فألقى حضرة السلطان نحوي حبلًا عظيمًا يبلغ قطره نحو خمسة سنتيمترات. فالتف الحبل حول خصري، وجذبني به نحوه، حتى الجبل الذي كنت واقفًا عليه. ومع اقترابي اندمج الجبلان في جبل واحد، ووصلت إلى حضرته.

تأمل ختامي

إن رؤيا الجذب بالحبل قد شاهدها كثير من الدراويش، ولذلك يسمون هذه الحالة "الكمند."

وفي هذا السياق يمكن ذكر رواية أخرى: فقد قال أحد الدراويش يومًا: "رأيت في المنام أنني كنت مع حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) على جزيرة يحيط بها ماء ملوث. وكان على كتفي حبل أبيض غليظ ملفوف. وكان أحد الدراويش يغرق في الماء، وكان رأسه يطفو ثم يغيب مرارًا. فقلت لحضرة الشيخ: سيدي، أتأذن لي أن ألقي إليه الحبل؟ فقال: دعه، فإنه لا يستحق".

وعندما ذكر اسم ذلك الدرويش الذي كان يغرق، وقعت في حيرة، لأنه كان من أفضل دراويش تكيّتنا. لكن مع الأسف، بعد مدة تبين أنه قد سقط سقوطًا شديدًا، وتحقق ما رآه ذلك الدرويش في المنام.

الرواية 178 – الشيخ نهرو نور جميع المشايخ

رواية لأحد سالكي الطريقة

في سحر يوم الخميس، بالتزامن مع أذان الفجر، رأيت في المنام أن حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) واقف في

ميدانٍ واسعٍ جداً. وكان أمامه جمعٌ لا يُحصى من الدراويش والخلفاء والمرشدين، ومن الشيوخ والشباب، ومن أناسٍ ينتمون إلى مذاهب وأقوام مختلفة؛ وكان عددهم كبيراً إلى حدٍّ لا يمكن عَدُّه.

كان المكان مظلماً، لكن النور الذي كان يشعّ من وجوده أنار ذلك الجمع العظيم.

رفع حضرته يده بحالةٍ من الجدية والغضب وقال:

"كل من لا يطيع الشيخ نهرو لم يطعني، وادعاؤه محبتي كذب. لقد أعلنتُ قبل عشرين سنة من انتقالي أن شيخكم بعدي سيكون الشيخ نهرو. وكان كثير من الخلفاء حاضرين في ذلك الوقت، لكنهم لم يعملوا بهذه الوصية.

والآن بعض الخلفاء، بحجة محبتهم الكبيرة لي، لا يقبلون الشيخ نهرو؛ لكن محبتهم ليست صادقة، بل هي نفاق. فلا تتبعوهم.

الصديق الصادق هو من يطيع أوامر الشيخ. وكل من يطيع الشيخ نهرو فقد أطاعنا، لأن جميع الأنوار من النور

المحمدي، والشيخ نهرو هو نور جميع المشايخ. ومن لا يطيعه سيُحرم من هذا النور".

وبعد هذا الكلام أنهى حضرته حديثه.

الرواية 179 – إنذار شيخ الطريقة

رواية لأحد خلفاء الطريقة

في يومٍ من الأيام، عندما كان الشيخ عبد الكريم الكسنزان (ق) في إيران، أقام أحد التجار المعروفين في مدينة سنندج مأدبةً كبيرة تكريماً لحضرة الشيخ، وحضرها عددٌ كبير من الناس. وكان شيخٌ من إحدى الطرق الأخرى، وله عددٌ كبير من المريدين، جالساً قريباً من حضرة الشيخ.

فالتفت إليه الشيخ وقال:

"يا فلان! ما هذا الذي أقمتَه من تمثيل دور الشيخ؟ يوم القيامة ستكون مفضوح الوجه أمام الله ورسول الله ﷺ".

فاحمرّ وجه ذلك الشيخ، وساد المجلس صمتٌ خاص.

ومضت سنوات، ثم أصبح الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق) خليفةً لوالده وشيخاً للطريقة. وفي أثناء الثورة في إيران قُتل جميع مريدي ذلك الشيخ، ودُمّرت تكاياهم، فاضطرّ الشيخ إلى الفرار إلى العراق.

وفي أحد الأيام كنت في بغداد في حضرة الشيخ محمد المحمد (ق)، فجاء ذلك الشيخ لزيارته. فقُدّم له الشاي. وجلستُ إلى جانبه وسلّمت عليه.

فقال لي:

"يبدو أن ملامحك مألوفة لدي".

فقلت له:

"نعم، أتذكر أننا في سنة كذا كنّا في سنندج، في ضيافة ذلك التاجر، في مجلس الشيخ عبد الكريم (ق)".

ففكّر قليلاً، ثم فجأةً أصبح لون وجهه أبيض كالجص. وبعد دقائق من الصمت اعتذر من حضرة الشيخ، ثم غادر المجلس.

الرواية 180 – مريد في نار جهنم

رواية لأحد سالكي الطريقة

كنتُ لمدة سنتين مريداً لشيخٍ تبيّن لي لاحقاً أنه كان من خلفاء الشيخ عبد الكريم الكسنزان (ق)، لكنه بعد وفاته لم يقبل بخلافة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، وأعلن نفسه شيخاً.

كان هذا الشخص مغروراً ومتشدداً إلى درجة أننا لم نكن نجرؤ على الاقتراب منه، وكنا نتواصل معه غالباً عن طريق أحد خلفائه. وكنا نظن أن ذلك الخليفة أيضاً من كبار أولياء الله.

وفجأةً توفي ذلك الخليفة إثر سكتةٍ قلبية، فحزنّا عليه وأقمنا له العزاء. وفي ليلة السابع رأيته في المنام، فرأيته واقعاً في وسط نارٍ عظيمة، وكان يصرخ قائلاً:

"والله إن هذا الشيخ كاذب... والله إن هذا الشيخ كاذب".

فحطّم هذا المنام جميع معتقداتي.

فذهبت لزيارة الشيخ، وكان هناك جمعٌ كبير من الناس.

فقال لي بلهجةٍ متكبّرة جداً:

"يا درويش، ماذا تريد؟"

قلت:

"سيدي، رأيتُ مناماً وأريد أن أعرضه عليكم".

قال" :قل".

فقلت" :سيدي، أود أن أقوله على انفراد".

فقال بلهجةٍ حازمة:

"قلتُ لك قل، ليس عندنا شيءٌ خاص".

فاضطررت إلى أن أروي المنام أمام الحاضرين.

فتغيّر لون الشيخ فجأة، وبدأت شفتاه ترتجفان. وبعد لحظة صمت قصيرة قال:

"والله إنني أقول لهم إنني لست شيخاً، ولكنهم هم الذين جعلوني شيخاً".

بعد تلك الرؤيا لم أذهب إليه مرةً أخرى، وبعد مدةٍ من البحث تعرّفتُ - مصادفةً - على الطريقة الكسنزانية.

لكنني سمعت أن ذلك الشيخ استمر في أعماله السابقة. وبعد عدة سنوات اعتقلته الحكومة، وقاموا بحلق شعره الطويل، وتفرّق مريدوه. ثم أصيب بسكتةٍ دماغية فأصبح جسده مشلولاً.

وفي أحد الأيام، عندما أخذوه إلى الحديقة ليستنشق بعض الهواء، ساءت حالته فجأة. فاتصلوا بالشرطة وبالإسعاف، ولكن الغريب أن المساعدة لم تصل لمدة تقارب ساعة، فمات هناك على كرسيه المتحرك.

ومع ذلك، بعد وفاته قام ابنه – من خلال الدعاية – بجمع الدراويش من جديد حوله، مدّعياً أن والده قد نصّبه شيخاً، ولا يزالون يواصلون تلك الطريقة نفسها.

الرواية 181 – حقيقة السماوات السبع

رواية لإحدى سالكات الطريقة

كنتُ قد سمعتُ مراراً من مشايخ الطريقة الكسنزانية أنهم يقولون: إذا التزم السالك بتعليمات الطريقة التزاماً صحيحاً

وبقي وفياً لبيعته، فإن يده توضع يوم القيامة في يد رسول الله ﷺ. ولمن يشك في هذا الكلام أنقل الرؤيا التي رأيتها بعد وفاة والدي.

كان والدي من خلفاء الطريقة الكسنزانية الملتزمين، وقد انتقل إلى رحمة الله قبل بضع سنوات. وبعد وفاته كانت والدتي شديدة الجزع، وكانت تبكي باستمرار. وفي إحدى الليالي رأيت والدي في المنام، فقال لي:

"قولي لأمك ألا تبكي كثيراً، فأنا عند رسول الله ﷺ، ولكن بسبب جزعها أضطر إلى أن أعود إلى الأسفل مراراً".

فلما رويتُ هذا المنام لوالدتي هدأت، وخفّ حزنها وجزعها كثيراً.

وبعد مدة رأيت والدي مرة أخرى في المنام، فسألته عن السماوات السبع. فقال:

"نعم، إن وجود السماوات السبع حقيقة. فالطبقة السابعة هي نور الله ورسول الله ﷺ. والطبقة السادسة للأنبياء وبعض الأولياء الخاصين. وأنا في الطبقة الخامسة. وليس

ذلك بسببي أنا، بل بفضل مشايخ الطريقة. ومع ذلك أُؤذَن لي بلقاء رسول الله ﷺ".

الرواية 182 – البحث عن الشيخ المجهول

رواية لأحد سالكي الطريقة

كنتُ لسنواتٍ في طريقةٍ أخرى، وكان شيخ طريقتنا ـ وهو شخص صاحب كرامات ـ قد توفي. ولم أكن أعلم شيئاً عن الطريقة الكسنزانية ولا عن كون شيخ الطريقة كردياً، لكن منذ ذلك الوقت وقع أمرٌ جعلني دائماً في بحثٍ عن شخصٍ كردي ليتولى رعايتي في هذا الطريق بعد أستاذي المرحوم، وكنت في قلبي مطمئناً أن درجته أعلى من درجة أستاذي الراحل. وكانت القصة كما يلي:

قبل وفاة أستاذي بثلاثة أيام، أخبر أبناءه وأفراد أسرته أنه سيفارق الدنيا في يومٍ معين، وأوصاهم أنه بعد وفاته يتركوه في غرفته، لأن ثلاثة أشخاص سيأتون لزيارته، ويجب أن

يسمحوا لهم بالدخول إلى الغرفة والبقاء معه وحدهم لبعض الوقت، ثم بعد خروجهم يأخذونه للدفن.

وقد توفي الأستاذ تماماً في الوقت الذي ذكره. وبعد نحو نصف ساعة سُمع جرس الباب. فدخل إلى المنزل رجلٌ كردي مسنّ ومعه شابان قويّا البنية يرتديان الزي الكردي. ومن غير أسئلة إضافية قالوا إنهم يريدون الذهاب إلى الأستاذ. فدُلّوا على الغرفة وأغلقوا الباب من الداخل. وبعد نحو عشرين دقيقة خرجوا.

قال الرجل المسنّ: "أحضروا خرطوم ماء والأدوات، نريد أن نغسل أستاذكم".

وبمساعدة رجال العائلة غسلوا جسد الأستاذ.

وبينما كان جسده عارياً على السرير، التفت الرجل المسنّ إلى أبنائه وقال:

"هل تعرفون هذا؟"

فقال ابنه وهو يبكي:

"بالطبع، إنه أبونا".

فقال الرجل المسنّ:

"لا، أنتم لا تعرفونه".

فقال الابن بانزعاج:

"كيف؟ أتعني أننا لا نعرف أبانا وأنت تعرفه؟"

عندئذٍ مدّ الرجل يده نحو القماش الذي كانوا قد وضعوه على عورة الأستاذ، فتحرّك الجسد الميت، وتحركت يداه نحو القماش. فصرخ الحاضرون، وأغمي على أحدهم من شدة الخوف.

فقال الرجل المسنّ:

"لو كان لديكم القدرة على تحمّل ذلك، لكان قد جلس وتحدث معكم".

وبعد هذه الكلمات غادر الثلاثة المكان، من غير أن يجيبوا عن أسئلة الحاضرين حول من يكونون وما الذي جاءوا لأجله.

وكان موضع العجب أن الأشخاص الأكراد نادراً ما كانوا يُرَون في تلك المنطقة. وفي ذلك الوقت كان ظني أنهم قد

أُرسلوا من قبل شخص أعلى مقاماً من أستاذنا، وربما كان مقصدهم من البقاء معه وحدهم أمراً يتعلق بمقام شيخِيّته.

وبعد سنواتٍ عديدة، تعرّفت بطريقةٍ عجيبة على الطريقة الكسنزانية، وزرت حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق)، فقلت في نفسي: هذا هو الشخص الذي كنت أبحث عنه منذ سنوات طويلة.

الرواية 183 - عودة الحاسوب المحمول بشكلٍ مدهش

رواية لإحدى سالكات الطريقة

في يومٍ من الأيام خرجتُ مع أخي من المنزل لإصلاح حاسوبي المحمول. تجوّلنا لعدّة ساعات، نحو ثلاث إلى أربع ساعات، بين متاجر مختلفة لعلّ أحداً يستطيع إصلاحه، لكننا لم نصل إلى نتيجة.

كنّا قد تعبنا وشعرنا بالجوع. ويبدو أنني كنت قد تركت الحاسوب في أحد تلك المتاجر، ولكن الغريب أنني لم أشعر

أبداً بأن حقيبة الحاسوب قد خفّ وزنها حتى أشك في أنها أصبحت فارغة.

وعندما عدنا إلى المنزل وفتحتُ الحقيبة، رأيت أن الحاسوب ليس بداخلها. اضطربنا كثيراً وقلقنا قلقاً شديداً. فبدأنا نتصل بكل متجرٍ كان لدينا بطاقته أو رقمه، ونسألهم إن كنا قد تركنا الحاسوب هناك أم لا.

كنتُ حزينة ومضطربة إلى درجة أنني لم أعد أملك الرغبة في الذهاب إلى مجلس ذكر يوم الخميس. ومن جهةٍ أخرى كان لديّ بعد صباح يومين امتحان في اللغة.

فقلتُ في نفسي:

"لقد حضرتُ هذا الأسبوع مجلس ذكرٍ واحداً، فلن أذهب هذه الليلة. حاسوبي المحمول قد ضاع، وبعد يومين لديّ امتحان لغة، وأنا أيضاً متعبة. الأفضل أن أنام مبكراً هذه الليلة".

لكنني فجأة شعرتُ في داخلي أنه ينبغي لي أن أتغلب على هذه الفكرة. فقلت لنفسي:

"استحي! اذهبي إلى مجلس الذكر".

واعتذرتُ في قلبي من الأستاذ بسبب هذه الأفكار وهذا التراخي. ثم توضأتُ واستعددتُ للذهاب إلى مجلس الذكر.

وفي تلك اللحظة سمعتُ صوت صراخ أخي وهو يقول:

"هيه! تعالي إلى هنا"!

نخفتُ وركضتُ إليه مسرعة. فرأيته واقفاً مندهشاً كأنه قد تجمّد في مكانه. فقال:

"لا بد أن هذا من بركة الطريقة"!

فنظرتُ فرأيت الحاسوب المحمول موضوعاً بالضبط في المكان نفسه الذي كنا قد جلسنا عليه قبل نحو ساعة.

كان الحاسوب على أريكة الجلوس في البيت،

مع أننا كنا قد نظرنا إلى ذلك المكان نفسه وبحثنا فيه مراتٍ عديدة من قبل.

الرواية 184 – آيةٌ وجدت موضعها

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام ذهبتُ مع مجموعةٍ من الدراويش إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وكنتُ قد حملتُ معي هديةً أيضاً، وهي لوحةٌ مصنوعة من البلاط، كُتبت فيها الآية الخامسة من سورة القصص بخطٍ خاص وبأسلوبٍ حديث:

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ

وقبل أن نصل إلى حضرة الشيخ، رأى أحدُ خلفاء الطريقة ـ وكان مسؤولاً عن استراحة الدراويش ـ تلك اللوحة. ومع أنه كان يحفظ جزءاً كبيراً من القرآن الكريم، إلا أنه بسبب الخط الخاص والمختلف للوحة استغرق بعض الوقت حتى استطاع قراءة الآية قراءةً صحيحة.

ثم قال:

"هذه الآية مناسبة جداً لحال الدراويش. اطلب من حضرة

الشيخ أن يأذن بأن تُنصَب هذه اللوحة في هذه الاستراحة التي نحن فيها". وكانت هناك عدة استراحات مخصصة للدراويش.

وبعد قليل وصلنا إلى حضرة الشيخ. وما إن وقع نظره على اللوحة حتى قرأ الآية من غير تردد، ثم قال:

"لوحة جميلة جداً".

وبعد انتهاء الزيارة عدتُ إلى الاستراحة وذهبتُ إلى ذلك الخليفة نفسه. ولم تمضِ إلا دقائق قليلة حتى دخل فجأة رجلان يحملان اللوحة ومعهما آلة الحفر. ومن غير أي توضيح قاما بتثبيت اللوحة على الجدار مباشرة فوق المكان الذي كان ذلك الخليفة يجلس فيه.

فشكرني الخليفة بسرور وقال: "أشكرك لأنك طلبتَ من حضرة الشيخ أن تُنصَب هذه اللوحة في هذه الاستراحة".

فقلتُ له متعجباً:

"أنا لم أجد أصلاً فرصةً لأطلب من حضرة الشيخ مثل هذا الطلب". وفي الحقيقة، كان حضرة الشيخ قد أصدر أمر تثبيت اللوحة بنفسه، من غير أن أقول له شيئاً.

الرواية 185 – عودة الأنوار

رواية بقلم مؤلف الكتاب

في يومٍ من الأيام ذهبتُ مع مجموعةٍ من الدراويش إلى السليمانية لزيارة حضرة الشيخ محمد المحمد الكسنزان (ق). وفي ذلك اللقاء استقبل حضرة الشيخ مجموعةً منا في منزله، ولكن بسبب ضيق المكان لم يتمكن بعض من كانوا معنا من الدخول، فاضطروا إلى العودة إلى الاستراحة.

وعندما خرجتُ من منزل حضرة الشيخ رأيت أحد الدراويش الذين كانوا قد جاءوا معنا واقفاً في الخارج وهو يبكي بشدة. فذهبتُ إليه وواسيتُه وقلتُ له:

"إن شاء الله ستتاح لك غداً فرصة لزيارة حضرة الشيخ".

وفي تلك الليلة، وقد كان الوقت متأخراً، كنتُ في الاستراحة، فرأيت ذلك الدرويش نفسه يدخل، ولا تزال الدموع في عينيه، وجاء مباشرة نحوي. وقال بحماس:

"لقد قلتُ في قلبي لحضرة الشيخ: إن لم ترني هذه الليلة فسأبقى واقفاً هنا حتى الصباح ولن أغادر هذا المكان".

ثم تابع قائلاً:

"وفجأةً ظهر أمام قدميّ نوران أخضران؛ أحدهما بقطر يقارب عشرة سنتيمترات، والآخر نحو خمسة سنتيمترات. وبدآ يدوران حولي".

وكان يقول إن حالةً من الوجد والفرح العميق قد غمرته لم يعرف مثلها في حياته قط. وكان شديد التأثر إلى درجة أنه سقط على الأرض وأخذ يلمس تلك الأنوار. وبعد دقائق اختفت الأنوار.

ومنذ اليوم التالي، مع أنه كان قد تشرف برؤية حضرة الشيخ أيضاً بين الجموع، كان يذهب كل ليلة إلى تلك النقطة نفسها ويكرر في قلبه ذلك الطلب؛ لكن الأنوار لم تظهر مرة أخرى. وكان يعود كل ليلة إلى الاستراحة حزيناً، ويأتي إليّ باكياً، ويتمنى أن يمنحه شيخ الطريقة مرة أخرى تلك الحالة الروحية. ومع ذلك، وخلال الأيام الأربعة التي مكثناها هناك، لم يحدث شيء من ذلك.

وفي اليوم الخامس، عند المساء، كنّا جميعاً قد ركبنا الحافلة أمام باب التكية استعداداً للعودة. وكان ذلك الشاب يجلس بالقرب مني وهو في حالةٍ من الحزن الشديد.

وفجأةً نهض من مكانه وقفز من الحافلة وبدأ يركض مسرعاً.

وبعد نحو نصف ساعة عاد وهو يبكي، وجاء إليّ وقال: "فجأةً سمعتُ في قلبي حضرة الشيخ يقول لي: تعال إلى تلك النقطة".

وكان يقول إنه عندما وصل إلى هناك ظهرت تلك الأنوار الخضراء نفسها مرة أخرى، وظلت تدور حوله بضع دقائق، ثم اختفت.

الملحق الختامي للكتاب
في كيفية قراءة الروايات ونسبتها والمسؤولية الأخلاقية المرتبطة بها

هذا الكتاب مجموعة من الروايات المعيشة؛ روايات يلتقي فيها الإنسان والدعاء والتوكل وتجربة الحضور الإلهي في الحياة اليومية. ولذلك من المناسب، في ختام الكتاب، التنبيه إلى بعض الأمور التي لا تُعدّ تكراراً للمباحث النظرية في الطريقة، ولا شرحاً لمفاهيم الكرامة والمعجزة، بل تتعلق بكيفية التعامل الصحيح مع الروايات نفسها.

أولاً: إن هذه الروايات ليست "موضوعاً للنقاش" بقدر ما هي "موضوع للتأمل". فوظيفتها الأساسية أن تثير الأسئلة في داخل الإنسان، لا أن تقدّم إجاباتٍ قطعية من الخارج. وهذا الكتاب لا يسعى إلى بناء رؤية مغلقة للعالم، بل يريد أن يفتح المجال الداخلي لدى القارئ ليكون أكثر استعداداً للرؤية والاستماع والتفكير.

ثانياً: إن الرواية العرفانية بطبيعتها مرتبطة بالتجربة الشخصية. والتجربة ليست شيئاً يمكن نقله إلى الآخرين نقلاً دقيقاً، بل يمكن فقط الإشارة إلى بعض ملامحها. لذلك فإن كل رواية هي ظلّ للحقيقة وليست الحقيقة كلها. وينبغي للقارئ أن يضع هذا الفارق الدقيق في ذهنه: فما يقرؤه هو انعكاس لتجربة، لا التجربة نفسها.

ثالثاً: إن هذا الكتاب ليس بديلاً عن السلوك العملي، ولا عن الأخلاق الدينية، ولا عن الالتزام بالشريعة. فلا رواية، مهما كانت مؤثرة، يمكن أن تحلّ محل الصلاة والصدق والأمانة وطهارة النية والمسؤولية الأخلاقية. وإذا شعر القارئ أن هذه الروايات تبعده عن أداء واجباته، فعليه أن يعلم أنه قد ابتعد عن روح الكتاب.

رابعاً: إن نشر الروايات العرفانية يرتبط دائماً بمسؤولية. فكثير من التجارب الروحية في أصلها شأنٌ خاص بين الإنسان وربه. وما ورد في هذا الكتاب هو من الروايات التي حملت بعداً تربوياً أو إلهامياً أو دعوياً. غير أن ذلك لا يعني

أن كل تجربة تصلح للنشر العام، فالصمت في كثير من الأحيان هو في حد ذاته حفظٌ لحرمة التجربة الإلهية.

خامساً: إن نسبة الأمور إلى الله تعالى نسبةً قطعية تستدعي دائماً قدراً من الحذر. ففي التراث العرفاني يُعدّ التواضع في تفسير التجارب أصلاً أساسياً. فالسالك الحقيقي لا يقول غالباً: "رأيت"، بل يقول: "هكذا جرى لي"، ولا يدّعي: "علمت"، بل يقول: "هكذا فهمت". وهذا التواضع نفسه علامة على سلامة الطريق.

سادساً: لا ينبغي للقارئ أن يشعر بأنه ملزم بقبول جميع الروايات. فهذا الكتاب ليس كتاب إيمانٍ مفروض. فقد يتفاعل القارئ مع بعض الروايات، ويتأملُ في بعضها الآخر، وربما يتردد تجاه بعضها. وهذا أمر طبيعي تماماً، ولا يتعارض مع روح البحث الروحي.

سابعاً: إن الوظيفة النهائية لهذه الروايات هي بناء "إحساس حضور الله في الحياة"، لا رسم صورة لأشخاص خارقين للعادة. فإذا أصبح نظر الإنسان بعد قراءة الكتاب إلى الدعاء

أكثر قرباً وصدقاً، وأصبح التوكل في قلبه أكثر واقعية، وتعاظم رجاؤه في رحمة الله، فقد أدّى هذا الكتاب غايته.

وأخيراً، فإن هذا الكتاب لم يُكتب لتعريف الحقيقة أو حصرها، بل كُتب ليُلفت انتباه الإنسان إلى الحقيقة؛ تلك الحقيقة التي لا تُحصر في الكلمات، ولا تُقيد بالروايات، ولا تكتمل في الكتب. فالكتاب مجرد إشارة، أما الأهم فهو الطريق الذي يبدأ في قلب القارئ بعد أن يُغلق هذه الصفحات.

وفي الختام، يجدر التنبيه إلى أن هذا الكتاب لم يُكتب بقصد شرح بنية الطريقة أو عرض مباحث تعليمية عنها. فالروايات الواردة فيه ليست سوى انعكاس لتجارب معيشة، وليست بديلاً عن المعرفة المنهجية بالطريقة. ولهذا جرى في هذا العمل تجنب الخوض التفصيلي في الجوانب النظرية والتاريخية والتعليمية المتعلقة بالطريقة.

أما من يرغب في التعرف إلى الطريقة العلية القادرية الكسنزانية بصورة أدق وأوثق وأكثر تنظيماً، فيمكنه الرجوع إلى الموقع على العنوان التالي:

www.qadiri-kasnazani.com

حيث تتوافر فيه معلومات أكثر تفصيلاً عن مبادئ الطريقة وتاريخها وبنيتها وبرامجها.

فهذا الكتاب إنما يرمي إلى فتح نافذة على التجربة الروحية، لا إلى أن يكون بديلاً عن المصادر التعليمية والتعريف الرسمي بالطريقة.

القارئ الكريم،

إذا أيقظت هذه الصفحات في داخلك سؤالًا، أو فتحت بابًا للتأمّل، أو حرّكت إحساسًا هادئًا في القلب، فيسعدني ويشرّفني أن أسمع منك. أفكارك، وتساؤلاتك، وتجاربك موضع ترحيب دائم، ويسعدني أن أوجّهك إلى كتابات ومصادر أخرى متصلة بهذا الطريق، بحسب ما يناسب اهتمامك وحاجتك. يمكنك التواصل معي مباشرة عبر الوسائل التالية:

واتساب:

https://wa.me/9647731718421

رابط قناة التلغرام:

https://t.me/nahvalnoor

البريد الإلكتروني:

hamidrezaansari1103@gmail.com

مع خالص التقدير،

د. حميد رضا أنصاري